تذكير الأخلاء بفوائد غزوة الأبواء

إعداد
د/ سيد عبد العال

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق وخاتم الأنبياء وسيد المرسلين؛ سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم. أما بعد:

فلقد حثنا الله تعالى على أن نتأسى برسوله صلى الله عليه وسلم؛ حيث يقول تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ (الأحزاب: ٢١)، ولا شك أن مما يعين على حسن التأسي برسول الله صلى الله عليه وسلم معرفة سيرته وشمائله؛ فهي في كثير منها بيان عملي لنصوص القرآن والسنة، ومن ثم نكتب في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم نلتمس منها القدوة ونأخذ منها العبرة بعنوان "تذكير الأخلاء بفوائد غزوة الأبواء".

سياق أحداث الغزوة

لم تكن هذه الغزوة من الناحية العسكرية عريضة الذيل مترامية الأحداث، ومع ذلك فقد اشتملت على كثير من الفوائد التي تنفع المسلم؛ ولقد غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه الشريفة غزوة الأبواء، ويقال لها: ودان، يريد قريشًا وبني ضمرة، وهي أول غزوة غزاها بنفسه، وكانت في صفر على رأس اثني عشر شهرًا من مهاجره، وحمل لواءه حمزة بن عبد المطلب، وكان أبيض، واستخلف على المدينة سعد بن عبادة، وخرج في المهاجرين خاصة يعترض عيرًا لقريش، فلم يلق كيدًا، وفي هذه الغزوة وادع مخشي بن عمرو الضمري وكان سيد بني ضمرة في زمانه على ألا يغزو بني ضمرة، ولا يغزوه، ولا أن يكثروا عليه جمعا، ولا يعينوا عليه عدوا، وكتب بينه وبينهم كتابًا، وكانت غيبته خمس عشرة ليلة. (زاد المعاد ١٤٨/٣)، وسيرة

Upload by: altawhedmag.com

ابن هشام ت السقا (١/ ٥٩١).

وفي هذا الحدث مسائل:

الأولى: في ذكر اسم هذه الغزوة؛ حيث إن لها اسمين:

الأول: غزوة الأبواء: قال البخاري: قال: ابن إسحاق: "أول ما غزا النبي صلى الله عليه وسلم: الأبواء". (صحيح البخاري ٥/ ٧١).

والأبواء: الأبواء واد من أودية الحجاز التهامية، كثير المياه والزرع، يلتقي فيه واديا الفرع والقاحة فيتكون من التقائهما وادي الأبواء، كتكون وادي مر الظهران من التقاء النخلتين، وينحدر وادي الأبواء إلى البحر جاعلا أنقاض ودان على يساره، وثم طريق إلى هرشى، ويمر ببلدة مستورة ثم يبحر. ويسمى اليوم «وادي الخريبة» غير أن اسم الأبواء معروف لدى المثقفين، وسكانه: بنو محمد من بني عمرو، وبنو أيوب من البلادية من بني عمرو. (النبي القائد (٢٩/ ١)، والمعالم الجغرافية: (٣٦)، ودلائل البيهقي (٣/ ٩).

الثاني: ودان: وهي قرية جامعة من أمهات القرى من عمل الفرع. (السيرة النبوية ابن هشام (١/ ٥٩١).

والأبواء وودان: مكانان متقاربان: قال ابن حجر: وليس بين ما وقع في "السيرة" وبين ما نقله البخاريّ عن ابن إسحاق اختلاف: لأن الأبواء وودّان مكانان متقاربان، بينهما ستة أميال، أو ثمانية، ولهذا وقع في حديث الصعب بن جثّامة: وهو بالأبواء، أو بودّان. (صحيح البخاري (١٨٢٥)، وانظر: جوامع السيرة (ص: ١٥).

الثانية: تاريخ الغزوة:

كان خروجه صلى الله عليه وسلم إلى الأبواء في صفر على رأس اثني عشر شهرًا من مهاجره. (السيرة ابن هشام (١/ ٥٩١)، وقد خالف الطبري في تاريخ الغزوة فحكى الإجماع على أنها في ربيع).

وقال المباركفوري: في صفر سنة ٢ هـ الموافق أغسطس سنة ٦٢٣م. (الرحيق المختوم (ص: ١٧٩).

ومن العلماء من عدها في أحداث السنة الأولى كابن سيد الناس وابن جماعة (عيون الأثر (٢/ ٣٥٢)، والمختصر الكبير (٥٧). ومنهم من عدها في أحداث السنة الثانية كابن حبان. (السيرة النبوية لابن حبان (١/ ١٥٢)، ووقتها عند الكل واحد وبيان ذلك أنهم اختلفوا في طريقة العد فمن جعل أول السنة شهر ربيع جعلها في السنة الأولى ومن جعل أول السنة محرم جعلها في السنة الثانية.

الثالثة: وهي أول غزوة غزاها النبي صلى الله عليه وسلم بنفسه؟

قال ابن هشام: وهي أول غزوة غزاها. (سيرة ابن هشام (١/ ٥٩١).

وقال البخاري: قال: ابن إسحاق: " أول ما غزا النبي صلى الله عليه وسلم: الأبواء، ثم بواط، ثم العشيرة " قال موسى بن عقبة: أول غزوة غزاها النبي صلى الله عليه وسلم يعني بنفسه- الأبواء. (صحيح البخاري (٥/ ٧١).

وعن زيد بن أرقم، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم غزا تسع عشرة، وأنه غزا معه سبع عشرة غزوة وأن أول غزوة غزاها؟ قال: ذات العسير أو العشير. (البخاري (٣٩٤٩)، ومسلم (١٢٥٤). وظاهره يخالف ما نقل عن أهل السير.

والجمع من وجوه:

الأول: أن تكون الغزوات التي قبل الأبواء خفيت على زيد لصغره.

الثاني: أن يكون قصد زيد أنها أول غزوة غزاها هو مع النبي صلى الله عليه وسلم.

الثالث: أن تكون غزوات صغيرة لم تشتهر، فإن من عد من الصحابة ذكر أعظمها.

الرابع: أن يقال: إن زيدا أخبر عما عنده،

Upload by: altawhedmag.com

والله تعالى أعلم. (فتح الباري (٧/ ٢٨٠)، وفتح المنعم (٧/ ٣٨٦)، وعمدة القاري (١٧/ ٧٤)، وسيرة ابن كثير (٢/ ٣٦٢)، والمفهم (٣/ ٦٩٢).

الرابعة: الهدف من الغزوة

الوصول إلى ودان لتهديد طريق قريش التجارية بين مكة والشام وذلك؛ لأن الحال بينهم كانت حالة حرب، والعمل على التحالف مع القبائل المسيطرة على هذه الطريق. (الرسول القائد (٨٨)).

الخامسة: الدروس والعبر:

- متى شرع الجهاد:

شرع الجهاد في أوائل السنة الثانية للهجرة، ولعل من الحكمة في ذلك انشغال المسلمين في السنة الأولى بتنظيم أحوالهم الدينية والدنيوية كبنائهم المسجد النبوي، وأمور معايشهم، وطرق اكتسابهم وتنظيم أحوالهم السياسية؛ كعقد التآخي بينهم، ومواعدتهم اليهود المساكنين لهم في المدينة، كي يأمنوا شرورهم، وذهب الأستاذ صالح الشامي إلى أن الإذن بالجهاد كان في أواخر السنة الأولى للهجرة. (السيرة للصلابي (٥/ ٧٢٢)، والسيرة لأبي شهبة (١/ ٧٥و٧٦)، ومعين السيرة (١٧٥).

- الفرق بين السرية والغزوة:

يطلق كتاب السير في الغالب على كل مجموعة من المسلمين خرج بها النبي صلى الله عليه وسلم ليلقى عدوه غزوة، سواء حدث فيها قتال أو لم يحدث، وسواء كان عددها كبيرًا أو صغيرًا، ويطلق على كل مجموعة من المسلمين يرسلها النبي صلى الله عليه وسلم لاعتراض عدو كلمة: سرية أو بعث، وقد يحدث فيها قتال وقد لا يحدث، وقد تكون لرصد أخبار عدوه أو غيره، وغالبًا ما يكون عدد الذين يخرجون في السرايا قليلاً؛ لأن مهمتهم محددة في مناوشة العدو وإخافته وإرباكه. (السيرة النبوية (٥/ ٧٢٣)، وفي ظلال السيرة (١٢).

- فيها خروجه صلى الله عليه وسلم ومخاطرته بنفسه الشريفة حيث خرج مجاهدا في سبيل الله، وجلده صلى الله عليه وسلم على أمر الله؛ فقد خرج في الصيف بشدة الحر لمسافة طويلة.

- مشروعية الاستخلاف:

فينبغي لكل أمير يترك موضع إمارته لحاجة ولمدة قد تطول أن يستخلف من يكون على الناس بعده، وأنه ينبغي أن يستخلف من تنتظم كلمة الناس عليه لسابقته في الدين أو لشرفه في العشيرة.

قال الله تعالى: ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ۚ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ (الأعراف/١٤٢).

وهذا يعم جميع المستويات حتى الإدارات الصغيرة وتنزل إلى مستوى الأسرة؛ فإذا سافر الوالد أو ذهب بعيدًا يستخلف من أبنائه وذويه من يصلح لقيادة الأسرة حتى لا تتفكك وتنحل عراها عندما تفتقد الإدارة الصحيحة والتوجيه السليم والكلمة المسموعة المطاعة.

- فهم الصحابة أنه لا يجوز قصد المدنيين بالقتل ولذلك سألوا عن قتلهم دون قصد؛ عن ابن عباس، عن الصعب بن جثامة رضي الله عنهم، قال: مر بي النبي صلى الله عليه وسلم بالأبواء، أو بودان، وسئل عن أهل الدار يبيتون من المشركين، فيصاب من نسائهم وذراريهم قال: "هم منهم" (صحيح البخاري ٣٠١٢).

ففي سؤال الصحابة للنبي صلى الله عليه وسلم عن قتل المدنيين غير المحاربين من دون قصد ما يدل على أنه ثبت لديهم النهي عن قصد قتل المدنيين غير المحاربين. ـــ إرشاد البرية إلى أخلاقيات الحرب (١٦٤).

- مشروعية التحالف العسكري والمعاهدات بين المسلمين وغيرهم من الأمم فأمتنا ليست منعزلة عن عالمها ولا تعلن الحرب على كل

Upload by: altawhedmag.com

من خالفها، ويبدو أن النبي صلى الله عليه وسلم انتهز هذه الفرصة في غزوة الأبواء؛ فعقد حلفًا عسكريًا مع شيخ بني ضمرة؛ فقد كان موقع بلاده ذا قيمة عسكرية لا تقدر بثمن في الصراع بين الدولة الإسلامية الناشئة وقريش؛ ولذلك عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم على ضمان حيدتهم، في حال وقوع صدام مسلح بين المدينة وأهل مكة، وكانت خطته صلى الله عليه وسلم حتى وقعة بدر أن يزعج قوافل قريش بإرسال مجموعات صغيرة من المهاجرين، وخاصة أن هذه القوافل كانت غير مصحوبة بجيش يحميها، وهو أمر لم تفكر فيه قريش حتى تلك اللحظة. (السيرة النبوية (٥/ ٧٢٤)، ونشأة الدولة الإسلامية عون الشريف (٤٣).

وهو حلف عدم اعتداء وفق المصطلح الحديث. (السيرة النبوية للصلابي (٥/ ٧٢٥)، والفقه السياسي، خالد سليمان الفهداوي (ص ١١٩).

وقد دلت هذه الموادعة على أن مقتضيات السياسة الشرعية قد تدفع المسلمين إلى التحالف العسكري أو الاقتصادي أو التجاري، مع أي من الكتل القائمة، وأن التحالف السياسي له أصل في الشريعة، وضرورة يوجبها استهداف رفع الضرر الحاصل أو المرتقب (السيرة النبوية للصلابي(٥/ ٧٢٥)، وأن التحالف مبني على قاعدة رفع الضرر، والمصلحة المشتركة، وأن تكون لأصل الحلف غاية شرعية معلومة، وأن يكون للمسلمين في الحلف قرار ورأي، أما إذا كانوا أتباعًا ومنفذين كما في بعض الأحلاف الحديثة؛ فهذا لا ينطبق عليه الأصل الشرعي، وعلى قيادة الأمة أن تستوعب هدي النبي صلى الله عليه وسلم في حركته السياسية، وأن تفهم القاعدة الشرعية التي تقول: "لا ضرر ولا ضرار" (السيرة النبوية للصلابي (٣٦٨).

وقد شرط النبي صلى الله عليه وسلم على بني ضمرة ألا يحاربوا من دخل في دين الله، حتى يكون لهم النصر على من اعتدى عليهم أو حاول الاعتداء، وفي هذا إبعاد للعقبات التي يمكن أن تقف في طريق الدعوة؛ فقد أوجبت هذه المعاهدة على بني ضمرة ألا يحاربوا هذا الدين أو يقفوا في طريقه.

وتعتبر هذه المعاهدة كسبًا سياسيًا وعسكريًا للمسلمين لا يُستهان به. (السيرة النبوية (٥/ ٧٢٦)، ودولة الرسول من التكوين إلى التمكين، (٥٣٠)، والدعوة الإسلامية عبد الغفار عزيز (٢٩٦).

- وفيها حكمته صلى الله عليه وسلم كقائد عسكري، إذ عاهد قومًا على طريق حركته وحركة سراياه، فأمن بهذا العهد جزءًا مهمًا من الطريق، ويدرك العسكري المجرب أن فعله صلى الله عليه وسلم مكسب كبير وعمل موفق جليل، خاصة أنه يرسل أعدادًا محدودة العدد.

قال القرطبي: "وإن كان للمسلمين مصلحة في الصلح، لنفع يجتلبونه أو ضرر يدفعونه فلا بأس أن يبتدئ المسلمون به إذا احتاجوا إليه" (تفسير القرطبي (٨/ ٤٠).

- ومما يعلم من الدين بالضرورة وجوب الوفاء بهذه العهود؛ فإذا ما خاف ولي الأمر من نقض الحليف عهده نبذ إليه عهده وقال له: لا عهد بيننا كما قال تعالى: وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء إن الله لا يحب الخائنين.

- وفيها ما يجب على أمراء الجهاد من بذل كل الأسباب الشرعية لسلامة جنودهم طالما وُجد لذلك سبيل، وأي تهاون في ذلك هو خيانة للأمانة وقصور في الأداء. (النبي القائد (٢٨/ ١).

- وفيها فضيلة لحمزة ولسعد بن عبادة رضي الله عنهما.

والحمد لله رب العالمين.

Upload by: altawhedmag.com

سرية نخلة

د/ سيد عبد العال

الحمد لله رب العالمين، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك، وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله صلى الله عليه وسلم.

أما بعد: فإن النبي صلى الله عليه وسلم كان يخرج في الغزوات ويبعث السرايا والبعوث؛ وكان من ذلك سرية نخلة، وهي موضوعنا في هذا العدد.

اسمها: سرية نخلة في رجب سنة ٢هـ الموافق يناير سنة ٦٢٤م، وتسمَّى بسريَّة الأشهر الحرم، وتسمَّى أيضًا بسريَّة عبد الله بن جحش. (إنارة الدجى: ٣٩).

سياق السرية:

عن جندب بن عبد الله "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث رهطًا، وبعث عليهم أبا عبيدة؛ فلما أخذ لينطلق؛ بكى صبابةً- محبةً واشتياقًا- إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فبعث رجلاً مكانه يقال له: عبد الله بن جحش؛ وبعث معه بثمانية رهط من المهاجرين، وكتب له كتابًا وأمره أن لا ينظر فيه حتى يسير يومين ثم ينظر فيه؛ فيمضي لما أمره ولا يستكره من أصحابه أحدًا- وذكر أسماءهم: فالأمير عبد الله بن جحش، ومعه عكاشة بن محصن وعتبة بن غزوان وسعد بن أبي وقاص وعامر بن ربيعة وواقد بن عبد الله وخالد بن البكير وسهيل بن بيضاء- .

فلما سار عبد الله بن جحش يومين؛ فتح الكتاب ونظر فيه؛ فإذا فيه: إذا نظرت في كتابي هذا؛ فسر حتى تنزل نخلة بين مكة والطائف؛ فترصد بها قريشا، وتعلم لنا من أخبارهم ولم يأمره بقتال؛ فلما نظر عبد الله بن جحش في الكتاب؛ قال: سمعًا وطاعة؛ ثم قال لأصحابه: قد أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم: أن أمضي إلى نخلة: فأرصد بها قريشا: حتى

Upload by: altawhedmag.com

آتيه منهم بخبر، وقد نهاني: أن أستكره أحدًا منكم: فمن كان منكم يريد الشهادة، ويرغب فيها: فلينطلق ومن كره ذلك: فليرجع. أما أنا فماضٍ لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم: فمضى ومضى معه أصحابه: فلم يتخلف عنه منهم أحد. وسلك على الحجاز حتى إذا كان بمعدن فوق الفرع يقال له: بُحران: أضل سعد بن أبي وقاص وعتبة بن غزوان بعيرًا لهما كانا عليه يعتقبانه: فتخلفا عليه في طلبه ومضى عبد الله بن جحش وبقية أصحابه حتى نزل بنخلة: فمرت به عير لقريش تحمل زبيبًا وأدمًا فيها منهم عمرو بن الحضرمي، وعثمان بن عبد الله بن المغيرة وأخوه نوفل بن عبد الله بن المغيرة المخزوميان، والحكم بن كيسان، فلما رآهم القوم: هابوهم وقد نزلوا قريبًا منهم: فتشاور القوم فيهم: فقال القوم: والله لئن تركتم القوم هذه الليلة: ليدخلن الحرم: فليمتنعن به منكم، ولئن قتلتموهم لتقتلنهم في الشهر الحرام: فتردد القوم: فهابوا الإقدام عليهم: ثم شجعوا عليهم وأجمعوا على قتل من قدروا عليه منهم وأخذ ما معهم: فرمى واقد بن عبد الله التميمي عمرو بن الحضرمي بسهم: فقتله، واستأسر عثمان بن عبد الله والحكم بن كيسان، وأفلت نوفل بن عبد الله: فأعجزهم. وقدم عبد الله بن جحش وأصحابه بالعير والأسيرين حتى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة.

وقد ذكر بعض آل عبد الله بن جحش: أن عبد الله بن جحش قال لأصحابه: إن لرسول الله صلى الله عليه وسلم خمس ما غنمتم وذلك قبل أن يفرض الخمس من الغنائم: فعزل لرسول الله صلى الله عليه وسلم خمس العير، وقسم سائرها على أصحابه: فلما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "ما أمرتكم بقتال في الشهر الحرام": فوقف العير والأسيرين، وأبى أن يأخذ من ذلك شيئًا.

فلما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك سُقط في أيدي القوم وظنوا أنهم قد هلكوا وعنفهم المسلمون فيما صنعوا وقالوا لهم: صنعتم ما لم تؤمروا به، وقاتلتم في الشهر الحرام ولم تؤمروا بقتال، وقالت قريش: قد استحل محمد وأصحابه الشهر الحرام: فسفكوا فيه الدم وأخذوا فيه الأموال وأسروا فيه الرجال: فقال من يرد عليهم من المسلمين ممن كان بمكة: إنما أصابوا ما أصابوا في جمادى: فلما أكثر الناس في ذلك أنزل الله عز وجل على رسوله صلى الله عليه وسلم: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ﴾ البقرة: ٢١٧.

فلما نزل القرآن بهذا الأمر وفرج الله عن المسلمين ما كانوا فيه من الشفق: قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم العير والأسيرين. (رواه الطبراني: ١٦٧٠).

الدروس والعبر:

١- أبو عبيدة رضي الله عنه سمع وأطاع، ولكنه بكى حرصًا منه على القرب من رسول الله صلى الله عليه وسلم: فتأمل حرارة الشوق التي أبكت أبا عبيدة، وتصور حبه لملازمة رسول الله صلى الله عليه وسلم التي جعلته يشفق عليه ويبقيه جواره: ليبعث بطلاً آخر.

٢- جاء في هذا الخبر: أن النبي صلى الله عليه وسلم كتب لأمير السرية كتابًا، وأمره أن لا ينظر فيه حتى يسير يومين، وهذا مثل لتطبيق مبدأ مهم من مبادئ الحرب وهو إخفاء الخطط الحربية ومنها خط السير حتى يكون الجيش في أمان من كيد الأعداء: فالمدينة كانت آنذاك تضم اليهود والوثنيين ومن المتوقع: أن يسارع هؤلاء إلى إخبار أهل مكة بخط سير تلك السرية الموجهة ضدهم: فلما سار أفراد السرية وهم أنفسهم لا يعلمون اتجاههم: أصبح النبي صلى الله عليه وسلم آمنًا من انكشاف الهدف المقصود.

٣- موقف أولئك الصحابة الذين سمعوا وأطاعوا جميعًا وساروا إلى منطقة أعدائهم وتجاوزوها حتى كانوا من ورائهم، وهذا شاهد على قوة إيمان الصحابة رضي الله عنهم واستهانتهم بأنفسهم في سبيل الله تعالى.

Upload by: altawhedmag.com

٤- التشويه الإعلامي منذ القدم: ففي هذا الخبر عبرة للمسلمين بما قام به المشركون من تشويه إعلامي خطير لسمعة المسلمين حيث شهروا بهم فيما جرى من أصحاب تلك السرية من القتل وأخذ الأموال والسبي في الشهر الحرام وقد كان ذلك في آخر يوم من شهر رجب... والكفار عادة يغتنمون كل فرصة لتشويه سمعة المسلمين، فحينما ظفر كفار مكة بهذه المخالفة التي تعني انتهاكًا لأمر يقدسه العرب اغتنموا ذلك للتشهير بالمسلمين، وقد طمعوا من خلال هذا الاتهام في أن يضعفوا من مكانة المسلمين وأن ينفروا الناس من قبول دعوة الإسلام، ولقد حصل التساؤل من المسلمين فيما صنع أصحاب تلك السرية، ولاموا إخوانهم على ما حدث ونزل القرآن في بيان هذا الأمر وفي الرد على مقاتلة المشركين وذلك في قوله تعالى: «يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه.....» الآية.

٥- كيل المشركين بمكيالين في هذه القصة: قال المباركفوري: فقد صرح هذا الوحي بأن الضجة التي افتعلها المشركون لإثارة الريبة في سيرة المقاتلين المسلمين لا مساغ لها؛ فإن الحرمات المقدسة قد انتهكت كلها في محاربة الإسلام، واضطهاد أهله، ألم يكن المسلمون مقيمين بالبلد الحرام حين تقرر سلب أموالهم وقتل نبيهم؟ فما الذي أعاد لهذه الحرمات قداستها فجأة؛ فأصبح انتهاكها معرة وشناعة؟ لا جرم أنّ الدعاية التي أخذ ينشرها المشركون دعاية ثبتنى على وقاحة.

٦- في هذا الخبر نموذج من حرص النبي صلى الله عليه وسلم على جنود المسلمين؛ حيث أجل فداء الأسيرين من المشركين حتى عودة ذينك الصاحبين اللذين تخلفا عن سرية المسلمين، وهدد بقتل أسيري المشركين فيما لو قتلوا ذينك الصحابيين، وفي هذا ضمان لسلامتهما؛ حيث إنه من المظنون بكفار مكة أن يقتلوا الصحابيين لو ظفروا بهما. (الرحيق المختوم: ص١٨١).

٧- براءة الشريعة من الأخطاء الفردية التي لم يقع بها الأشخاص: فسواء قتل ذلك المشرك في جمادى أو في رجب أو في رمضان؛ فرسول الله صلى الله عليه وسلم لم يأمر بذلك إنما هي حماسة المهاجرين المقهورين المطرودين من ديارهم وأموالهم ولا ذنب لهم سوى أن يقولوا لا إله إلا الله، فلم يتمالكوا أنفسهم- وهم بشر- عندما رأوا أموالهم التي غصبتها قريش واغتصبتها تسيل أمامهم تجارة تنمو بين أيدي المشركين وهم الحفاة الذين تشققت أقدامهم من العوز والفقر، وأضناهم الجوع والتعب.

فتأمل حال سعد وعتبة وهما ينطلقان على جمل واحد يركب هذا مرة وهذا مرة، أما الآن فلا جمل لهما، لقد ندّ وهرب وهما يركضان على أقدامهما المتشققة خلفه يذرعان بطون الأودية والشعاب ولا أحد غير الله يعلم ما سيحدث لهما

٨- العدل والإنصاف: قال ابن القيم: والمقصود: أن الله سبحانه حكم بين أوليائه وأعدائه بالعدل والإنصاف، ولم يبرئ أولياءه من ارتكاب الإثم بالقتال في الشهر الحرام، بل أخبر: أنه كبير وأن ما عليه أعداؤه المشركون أكبر وأعظم من مجرد القتال في الشهر الحرام، فهم أحق بالذم والعيب والعقوبة، لا سيما وأولياؤه كانوا متأولين في قتالهم ذلك. (زاد المعاد: ١٥٢/٣).

وبعد ذلك أطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم سراح الأسيرين، وأدى دية المقتول إلى أوليائه. (الرحيق المختوم: ص١٨١).

١٠- صحة الرواية بالمناولة: قال البخاري في صحيحه: واحتج بعض أهل الحجاز في المناولة بحديث النبي صلى الله عليه وسلم حيث كتب لأمير السرية كتابا وقال: "لا تقرأه حتى تبلغ مكان كذا وكذا"؛ فلما بلغ ذلك المكان قرأه على الناس، وأخبرهم بأمر النبي صلى الله عليه وسلم. (صحيح البخاري: ٢٣/١).

والحمد لله رب العالمين.

Upload by: altawhedmag.com

الحلقة 1

غزوة بدر

إعداد: د/ سيد عبد العال

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله وسلم عليه.

أما بعد: فما أحوج الأمة لدراسة مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ لأخذ الدروس والعبر، ولتتعلم منها الآداب الرفيعة، والأخلاق الحميدة، والعقائد السليمة، والعبادة الصحيحة، ومن ثم قال علي بن حسين: "كنا نُعلِّم مغازي النبي صلَّى اللهُ عليه وسلَّم وسراياه كما نعلم السورة من القرآن". وعن إسماعيل بن محمد بن سعد قال: كان أبي يعلمنا مغازي النبي صلَّى اللهُ عليه وسلَّم ويعدها علينا، وسراياه ويقول: يا بني، هذه مآثر آبائكم، فلا تضيعوا ذكرها. (مختصر تاريخ دمشق: ٢/ ١٨٦).

وها نحن الآن مع أول لقاء مسلح بين فسطاط الكفر والإيمان؛ مع غزوة بدر الكبرى، ويقال لها بدر القتال، وبدر الثانية، وهي الوقعة العظيمة التي فرق الله فيها بين الحق والباطل (الفصول في السيرة (ص: ١٢٨). قال ابن عبد البر: وكانت أشرف غزواته وأعظمها حرمة عند الله وعند رسوله وعند المسلمين غزوة بدر الكبرى، حيث قتل الله صناديد قريش، وأظهر دينه وأعزه الله من يومئذ، وكانت بدر في السنة الثانية من الهجرة لسبع عشرة من رمضان صبيحة يوم الجمعة. (الاستيعاب (١/ ٤٣).

وسوف نعرضها بإذن الله تعالى على مرحلتين

الأولى: نسرد أحداث الغزوة سردًا يصورها في ذهن القارئ إذا اكتملت.

الثانية: نذكر فيها الدروس والعبر؛ ليأخذ المسلمون منها الزاد في مقارعة الأعداء ومنازلة الخصوم وفي الدعوة إلى الله. (غزوة بدر الكبرى دروس وعبر: ص: ٣).

بين يدي الحدث:

هاجر النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة بعد أن وقف زعماء مكة في وجه دعوته، وما إن وصل إلى المدينة حتى أرسلوا إلى أهل المدينة تهديدًا يقولون فيه: «إنكم آويتم صاحبنا، وإنا نُقسم بالله: لتُقاتلنَّه، أو لتُخرجُنَّه، أو لنسيرن إليكم بأجمعنا، حتى نقتل مقاتلتكم ونستبيح نساءكم». (سنن أبي داود (٣٠٠٤) وإسناده صحيح).

وتجاه هذا التحريض أخذ النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه جانب الحيطة والحذر: فكانوا لا يبيتون إلا بالسلاح ولا يصبحون إلا فيه، وكانوا يحرسون النبي صلى الله عليه وسلم حتى نزل: «والله يعصمك من الناس» فأخرج النبي صلى الله عليه وسلم رأسه من القبة فقال: أيها الناس انصرفوا عني: فقد عصمني الله عز وجل. (سنن الترمذي

Upload by: altawhedmag.com

(٣٠٤٦) وحسنه الألباني).

مشروعية القتال:

وفي هذه الظروف أذن الله للمؤمنين في القتال دفاعا عن أنفسهم؛ قال ابن القيم: فلما استقر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة، وأيده الله بنصره بعباده المؤمنين الأنصار، وألف بين قلوبهم بعد العداوة والإحن التي كانت بينهم؛ فمنعته أنصار الله وكتيبة الإسلام من الأسود والأحمر، وبذلوا نفوسهم دونه، وقدموا محبته على محبة الآباء والأبناء والأزواج، وكان أولى بهم من أنفسهم، وكانت العرب واليهود قد رمتهم عن قوس واحدة، وشمروا لهم عن ساق العداوة والمحاربة، والله سبحانه يأمرهم بالصبر والعفو والصفح حتى قويت الشوكة؛ فأذن لهم حينئذ في القتال؛ فقال تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ (الحج: ٣٩). (زاد المعاد (٣/ ٦٢) قال ابن عباس: هي أول آية أنزلت في القتال. (سنن الترمذي (٣١٧١)، والنسائي (٣٠٨٥) وحسنه الترمذي وصححه الألباني).

فأرسل السرايا وخرج في الغزوات

- لإشعار عدوه بقوة المسلمين وقدرتهم على صد أي اعتداء يتعرضون له.
- وتهديد قريش في قوافلها التجارية إلى الشام.
- واختبار قوة القبائل المحيطة بالمدينة، ومحاولة كسبها بالمواداعة أو المحالفة.

ولقد حققت السرايا والغزوات قبيل بدر كثيراً من أهدافها؛ فقد حالف النبي- صلى الله عليه وسلم قبيلة جهينة أكبر القبائل المنتشرة غربي المدينة، وأدرك زعماء مكة أن تجارتهم الرئيسية أصبحت في خطر؛ فصاروا يأخذون الحيطة كلما اقتربوا من المنطقة (النص التاريخي: ٢).

غزوة العشيرة

وفي جمادى الآخرة من السنة الثانية للهجرة خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في مائة وخمسين مقاتلاً؛ لاعتراض قافلة كبيرة خرجت من مكة إلى الشام بقيادة أبي سفيان بن حرب، حتى إذا وصل النبي صلى الله عليه وسلم إلى ذي العُشيرة تبين له: أن القافلة تجاوزت إلى الشام؛ فأقام فيها مدة وادع خلالها بني مدلج وحلفاءهم من بني ضَمْرة ورجع إلى المدينة مترقبًا عودة القافلة، وهذه هي العير التي خرج في طلبها حين رجعت من الشام (زاد المعاد (٣/ ١٤٩).

وقد أقامت القافلة في الشام إلى نهاية شعبان، بقيادة أبي سفيان ثم اتجهت إلى مكة، ولما اقتربت من الحجاز؛ تحسس الأخبار، فلما بلغه مخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وقصده إياه؛ بادر إلى تحويل مسارها إلى طريق الساحل، وفي نفس الوقت أرسل عمرو بن ضمضم الغفاري إلى قريش يستنفرها لإنقاذ قافلتها وأموالها. (السيرة للصلابي (٣٩٣).

وقد كان وقع خبر القافلة شديدًا على قريش، التي اشتاط زعماؤها غضبًا لما يرونه من امتهان للكرامة، وتعريض للمصالح الاقتصادية للأخطار؛ خاصة وأن الصريخ جاءهم بصورة مثيرة جدًا يتأثر بها كل من رآها، أو سمع بها، إذ جاءهم وقد حول رحله وجدع أنف بعيره، وشق قميصه من قُبل ومن دُبر، ودخل مكة وهو ينادي بأعلى صوته: يا معشر قريش: اللطيمة، اللطيمة.- يعني القافلة- أموالكم مع أبي سفيان قد عرض لها محمد في أصحابه، لا أرى أن تدركوها، الغوث، الغوث.

ومع أن أبا سفيان عندما نجا بالقافلة أرسل إلى زعماء قريش رسالة أخبرهم فيها بنجاته والقافلة، وطلب منهم العودة إلى مكة، إلا أن أغلبهم أصر على التقدم نحو بدر من أجل تأديب المسلمين وتأمين سلامة طريق التجارة القرشية، وإشعار القبائل العربية الأخرى بمدى قوة قريش وسلطانها. (السيرة النبوية للصلابي: ٣٩٣).

فنهضوا مسرعين وأوعبوا في الخروج؛ فلم يتخلف من أشرافهم أحد سوى أبي لهب، فإنه عوض عنه رجلًا كان له عليه دين، وحشدوا فيمن حولهم من قبائل العرب، ولم يتخلف عنهم أحد من بطون قريش إلا بني عدي، فلم يخرج معهم منهم أحد (زاد المعاد (٣/ ١٥٤). وقد أشار الحق تبارك وتعالى صفة خروجهم بقوله: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِم بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ (الأنفال: ٤٧). (مختصر زاد المعاد (١٤١)، وابن

Upload by: altawhedmag.com

هشام (٢/ ١٨٦).

موقف أمية بن خلف:

وهذا موقف عجيب يخبرك عما كان عليه القوم من العناد والكبر حيث رفض أمية بن خلف القعود عن هذه الحرب ولكن لماذا؟

لأن سعد بن معاذ قال له يومًا: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إنهم قاتلوك! قال: إياي؟ قال: نعم. قال: بمكة؟ قال: لا أدري: قال: والله ما يكذب محمد: ففزع لذلك أمية فزعًا شديدًا...فلما كان يوم بدر استنفر أبو جهل الناس: فكره أمية أن يخرج. فأتاه أبو جهل فقال: يا أبا صفوان، إنك متى ما يراك الناس قد تخلفت، وأنت سيد أهل الوادي، تخلفوا معك. فلم يزل به أبو جهل حتى قال: أما إذ غلبتني: فوالله لأشترين أجود بعير بمكة.(البخاري (٣٦٣٢و٣٩٥٠). يعني: فاستعد عليه للهرب إذا خفت شيئًا.(فتح الباري (٧/ ٢٨٤).

فتأمل قول أمية «والله ما يكذب محمد» وهو صريح في التصديق القهري من أمية لأخبار النبي صلى الله عليه وسلم! فلم الحرب إذا؟! ولكنهم «جحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا»

وقد أكرهوا على الخروج معهم من كان يميل إلى المسلمين كالعباس بن عبد المطلب، ونوفل بن الحارث، وطالب بن أبي طالب، وعقيل ابن أبي طالب. (دلائل النبوة (٣/ ١٠٥).

عدة جيش المشركين:

عند ذلك تحرك جيش المشركين في ألف رجل (صحيح مسلم (١٧٦٣). ومائة فرس وعدد كبير من الابل يقودهم أبو جهل بن هشام ويحمل ألويتهم أبو عزيز بن عمير والنضر بن الحارث وطلحة بن أبي طلحة وكلهم من بني عبد الدار، ومعهم القيان والدفوف وكانوا ينحرون في يوم عشرة من الابل وفي يوم تسعة. (دلائل النبوة ٣/ ١٠٩).

وفي جانب المسلمين أرسل النبي صلى الله عليه وسلم بسبس بن عمرو وعدي بن أبي الزغباء يتسقطان أخبار القافلة: فسارا حتى أتيا حيًا من جهينة قريبًا من ساحل البحر: فسألوهم عن العير وعن تجار قريش فأخبروهما بقرب وصولها: فرجعا إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأخبراه: فندب النبي صلى الله عليه وسلم المسلمين للخروج وقال: «إن لنا طلبة- شيئًا نطلبه- فمن كان ظهره حاضرًا: فليركب معنا: فاستأذنه بعض الصحابة، أن يجلبوا رواحلهم من بعض مناطق المدينة: فلم يأذن لهم» (دلائل النبوة للبيهقي (٣/ ١٠٣)، وصحيح مسلم (٣/ ١٥٠٩).

خروج النبي صلى الله عليه وسلم

ثم خرج صلى الله عليه وسلم يوم السبت الثاني عشر من رمضان. وقال ابن هشام: خرج يوم الاثنين لثمان خلون من رمضان (ابن سعد (٢/ ١٢) وقال ابن هشام (٢/ ٢٥١)، ومعه ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً من أصحابه (صحيح مسلم (١٧٦٣).

واستخلف على المدينة وعلى الصلاة ابن أم مكتوم. فلما كان بالروحاء رد أبا لبابة بن عبد المنذر واستعمله على المدينة. (الفصول في السيرة (ص: ١٢٨).

وفي الطريق توقف واستعرض الجيش: فرد من لم يبلغ الخامسة عشرة من عمره، ومن هؤلاء عبد الله بن عمر والبراء بن عازب. (صحيح البخاري (٣٩٥٦).

ووزع رسول الله صلى الله عليه وسلم الألوية، فأعطى اللواء العام لمصعب بن عمير، ولواء المهاجرين لعلي بن أبي طالب، ولواء الأنصار لسعد بن معاذ، وجعل على المؤخرة قيس بن أبي صعصعة. ولم يكن معه من الخيل سوى فرس الزبير، وفرس المقداد بن الأسود الكندي، ومن الإبل سبعون بعيراً يعتقب الرجلان والثلاثة فأكثر على البعير الواحد. (الفصول في السيرة (١٢٩).

ولما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم حالهم دعا لهم فقال: «اللهم إنهم حفاة فاحملهم، اللهم إنهم عراة فاكسهم، اللهم إنهم جياع فأشبعهم» (سنن أبي داود (٢٧٤٧)، وحسنه الألباني في الصحيحة (١٠٠٣).

وللحديث بقية إن شاء الله. والحمد لله رب العالمين.

Upload by: altawhedmag.com

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من نبي لا بعده أما بعد؛ فإن لدراسة السيرة النبوية أعظم الأثر في صياغة شخصية المسلم قائدا وتابعًا آمرا ومأمورا وفي كل حال ولذلك أوصى بها السابقون؛ ومن ذلك ما قال الزهري "في علم المغازي علم الآخرة والدنيا"

وها نحن نواصل السير في صحبة أهل بدر، ولا نزال في الطريق إلى موطن النصر وعلى مقربة من يوم الفرقان، ونذكر الآن ثلاثة مواقف

الأول: مشاركة النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه في المشقة والنعب

لقد كان جيش بدر في حالة إعواز من الظهر؛ حيث كان معهم سبعون من الإبل يتناوبون عليها حتى إن النبي صلى الله عليه وسلم لما رأى حالهم دعا لهم فقال: "اللهم إنهم حفاة؛ فاحملهم، اللهم إنهم عراة فاكسهم، اللهم إنهم جياع فأشبعهم". وهنا تتجلى عظمة القائد صلى الله عليه وسلم؛ حيث يشترك معهم في التناوب على المشي؛

عَنْ ابْنِ مَسْعُود رضي الله عنه قَالَ: كُنَّا يَوْمَ بَدْرٍ كُلُّ ثَلاثَةٍ عَلَى بَعِيرٍ، كَانَ أَبُو لُبَابَةَ، وَعَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، زَمِيلَيْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: وَكَانَتْ عُقْبَةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: فَقَالا: نَحْنُ نَمْشِي عَنْكَ! فَقَالَ: " مَا أَنْتُمَا بِأَقْوَى مِنِّي، وَلا أَنَا بِأَغْنَى عَنِ الأَجْرِ مِنْكُمَا! "

فما أروع هذا الموقف عندما يستوي القائد والجند في تحمل الشدائد وقد تملكهم الصدق في التطلع إلى رضوان الله! وكيف لا يحتمل الجند المشاق وقائدهم يسابقهم في ذلك، ولا يرضى أن يكون دونهم في مواجهتها، وهو في الخامسة والخمسين من عمره!!. وهذا درس عظيم للقادة على مختلف المستويات بداية من قيادة الأسرة حتى قيادة الأمة؛ ليعلم الجميع: أن مواساة القائد جنده بنفسه وما يستطيع تستخرج من الجندي أقصى الطاقات وأعلى الطاعات وأشد الحب، وحياة الرسول صلى الله عليه وسلم مليئة بهذه المواساة والمساواة إلا إذا كان هناك عذر، أو كان هناك تقعيد لمبدأ.

وقوله: "زميلي رسول الله صلى الله عليه وسلم" أي: عديليه، فالزميل هو الذي يركب معك على دابة واحدة بالتناوب أي: أن ثلاثتهم يتعاقبون بالركوب على بعير واحد..

Upload by: altawhedmag.com

وقوله: "نمشي عنك"؛ أي: نمشي في جميع الطريق لتركب أنت: ففيه منقبة لأبي لبابة وعلي رضي الله عنهما.

وفيه غاية التواضع منه صلى الله عليه وسلم، والمواساة مع الرفقاء، والافتقار إلى الله تعالى.

وفيه حرص النبي صلى الله عليه وسلم على الأجر، وتعليمه للأمة مكارم الأخلاق.

الثاني: عظمة القائد في الحس الأمني وأخذ الحيطة لجيشه

لحق بالمسلمين رجل يعرض على النبي صلى الله عليه وسلم أن يشترك معه في الحرب ولما كان هذا الرجل مشركا والنبي صلى الله عليه وسلم لا يعلم نيته رفضه في بادئ الأمر حتى أسلم: فعن عائشة رضي الله عنها قالت: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل بدر، فلما كان بحرة الوبرة أدركه رجل قد كان يذكر منه جراءة ونجدة، ففرح أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رأوه، فلما أدركه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: جئت لأتبعك وأصيب معك، قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: "تؤمن بالله ورسوله؟" قال: لا، قال: "فارجع، فلن أستعين بمشرك". قالت: ثم مضى حتى إذا كنا بالشجرة أدركه الرجل، فقال له كما قال أول مرة، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم كما قال أول مرة، قال: "فارجع، فلن أستعين بمشرك"، قال: ثم رجع فأدركه بالبيداء، فقال له كما قال أول مرة: "تؤمن بالله ورسوله؟" قال: نعم، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: "فانطلق"

قوله: " حرة الوبرة ": بفتح الباء وسكونها: موضع على نحو أربعة أميال من المدينة.

وقوله صلى الله عليه وسلم: " ارجع فلن أستعين بمشرك " فيه رفض الاستعانة بالمشركين في الحرب، وقد جاء في حديث آخر: أن النبي صلى الله عليه وسلم استعان بصفوان بن أمية قبل أن يسلم، وبه استدل من قال: بالجواز.

والحق أنه لا تعارض بينهما: فنحمل حديث عائشة رضي الله عنها في غزوة بدر على أمرين أحدهما: أن الأصل عدم الاستعانة بالمشركين في الحرب.

الثاني: أن الرجل أراد أن يشارك بنفسه ولا نعلم نيته: فلا يؤمن غدره، فوجب أخذ الحذر والحيطة لا سيما والنبي صلى الله عليه وسلم معلم للأمة.

ويحمل الحديث الثاني: على أنه لم يشترك في الحرب بنفسه وإنما استعار منه النبي صلى الله عليه وسلم سلاحا ثم رده إليه.

ويقال أيضا: إن الحكم يختلف باختلاف الأشخاص والظروف، والتحريم أقرب في مثل ظروف بدر.

وقال ابن عثيمين: فإن قيل: أليس النبي صلى الله عليه وسلم قد استعان بصفوان بن أمية في استعارة الدروع منه؟ قلنا: بلى لكن هذه استعانة بالمال، والذي نفاه الرسول صلى الله عليه وسلم هنا الاستعانة بالنفس؛ لأنه إذا أعاننا بنفسه لا نأمن خيانته أن يدل الأعداء على خفايا أسرارنا أما الاستعانة بالمال: فلا بأس، لأن الذين استعملوا الدروع هم المسلمون: فلا ضرر علينا: فلا يعارض هذا الحديث.

فإن قال قائل: أليس قد استعان النبي صلى الله عليه وسلم بعبد الله بن أريقط في الهجرة وهو مشرك؟

فالجواب: أنه أمن خيانته: فمتى أمنا من خيانتهم واستفدنا منهم بالرأي أو بالقتال: فلا بأس: لأن الحكم يدور مع العلة وجودا وعدما... فالذي يظهر: أن الأصل منع الاستعانة بالمشركين في الحرب لكن إذا كان هناك مصلحة ومنفعة محققة مع الأمن من غدرهم ومكرهم: فإن ذلك لا بأس به: لأنه مصلحة بلا مضرة والحكم يدور مع علته وجودا وعدما. فتح ذي الجلال والإكرام (٥/ ٤٦٩)

الثالث مشورته صلى الله عليه وسلم لأصحابه

فقد ارتحل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتى إذا كان ببعض الطريق نزل وقد أتاه الخبر عن قريش بمسيرهم: واصرارهم على الحرب: فاستشار رسول الله - صلى الله عليه

Upload by: altawhedmag.com

وسلم - الناس وأخبرهم عن قريش ...

وخشي فريق منهم المواجهة في وقت لم يتوقعوا فيه حربا كبيرة، ولم يستعدوا لها بكامل عدتهم؛ وفيهم نزل قول الله تعالى: "كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وإن فريقًا من المؤمنين لكارهون. يجادلونك في الحق بعدما تبين كأنما يساقون إلى الموت وهو ينظرون. وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين"

وتكلم قادة المهاجرين، منهم أبوبكر وعمر والمقداد بن عمرو رضي الله عنهم، وأظهروا شوقهم للمواجهة مهما كانت النتيجة؛ فعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم شاور الناس يوم بدر، فتكلم أبو بكر [فقال وأحسن؛ فأعرض عنه، ثم تكلم عمر] فقال وأحسن، فأعرض عنه

عن ابن مسعود رضي الله عنه، قال: شهدت من المقداد بن الأسود مشهدًا، لأن أكون صاحبه أحب إليّ مما عدل به، أتى النبي صلى الله عليه وسلم - وكان رجلا فارسا- وهو يدعو على المشركين، فقال: فقال: أبشر يا نبي الله، والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى صلى الله عليه وسلم: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون ولكن امض ونحن معك؛ نقاتل عن يمينك، وعن شمالك، وبين يديك وخلفك حتى يفتح الله عليك فكأنه سري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم أشرق وجهه وسره"

ورغم عظمة ما قاله قادة المهاجرين متضمنًا إقرار الأنصار؛ لأنهم يسمعون ولم ينكروا إلا أن النبي صلى الله عليه وسلم استمر قائلا: أشيروا عليّ أيها الناس، وإنما يريد الأنصار، وذلك أنهم عدد الناس، وأنهم حين بايعوه بالعقبة، قالوا: يا رسول الله: إنا براء من ذمامك حتى تصل إلى ديارنا، فإذا وصلت إلينا، فأنت في ذمتنا نمنعك مما نمنع منه أبناءنا ونساءنا؛ فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخوف ألا تكون الأنصار ترى عليها نصره إلا ممن دهمه بالمدينة من عدوه، وأن ليس عليهم أن يسير بهم إلى عدو من بلادهم.

فما أروع ما قالوا!

عن أنس بن مالك، قال: " استشار النبي صلى الله عليه وسلم مخرجه إلى بدر؟ فقال قائل الأنصار: تستشيرنا يا نبي الله! إنا لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى عليه السلام: اذهب أنت وربك فقاتلا، إنا هاهنا قاعدون، ولكن والذي بعثك بالحق، لو ضربت أكبادها إلى برك الغماد لاتبعناك.

فتأمل هذا الرد، وكأنه ألهمه من كلام المقداد؛ رضي الله عنهم جميعا، أو هو اتحاد المبدأ ووحدة الهدف؛ فاتفق الكلام، ويأتي دور سعد بن معاذ رضي الله عنه سيد الأوس؛ لما سمع قول النبي صلى الله عليه وسلم قال: والله لكأنك تريدنا يا رسول الله؟ قال: أجل! قال: قد آمنا بك وصدقناك، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا، على السمع والطاعة، فامض يا رسول الله لما أردت فنحن معك، فو الذي بعثك بالحق، لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك، ما تخلف منا رجل واحد، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غدا، إنا لصبر في الحرب، صدق في اللقاء، لعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله..؛ فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقول سعد، ونشطه ذلك.

وأما سعد بن عبادة رضي الله عنه؛ فقال: والذي نفسي بيده، لو أمرتنا أن نخيضها البحر لأخضناها، ولو أمرتنا: أن نضرب أكبادها إلى برك الغماد لفعلنا.

وفي هذه المشورة فوائد كثيرة ويكفيك أن تتذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم يوحى إليه ومع ذلك يقول: أشيروا علي أيها الناس؛ ففيه دليل على أنه يشرع للإمام أن يستشير أصحابه الموثوق بهم دينا وعقلا.

والحمد لله رب العالمين.

Upload by: altawhedmag.com

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين.

أما بعد: فما زلنا في غزوة بدر الكبرى، وبعد أن استشار النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه رضي الله عنهم ندب رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس، فانطلقوا نحو بدر:

وعن أنس رضي الله عنه: فندب رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس، فانطلقوا حتى نزلوا بدرًا، ووردت عليهم روايا قريش، وفيهم غلام أسود، فأخذوه، فكانوا يسألونه عن أبي سفيان، وأصحابه، فيقول: ما لي علم بأبي سفيان، ولكن هذا أبو جهل، وعتبة، وشيبة، وأمية بن خلف، فإذا قال ذلك ضربوه، فقال: نعم، أنا أخبركم، هذا أبو سفيان، فإذا تركوه، فسألوه، فقال: ما لي بأبي سفيان علم، ولكن هذا أبو جهل، وعتبة، وشيبة، وأمية بن خلف، في الناس، فإذا قال هذا -أيضًا- ضربوه، ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلي، فلما رأى ذلك انصرف، قال: «والذي نفسي بيده، لتضربوه إذا صدقكم، وتتركوه إذا كذبكم»، قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «هذا مصرع فلان»، قال: ويضع يده على الأرض «هاهنا، هاهنا»، قال: فما ماط أحدهم عن موضع يد رسول الله صلى الله عليه وسلم. (صحيح مسلم ١٧٧٩).

ثم قال: سيروا وأبشروا، فإن الله تعالى قد وعدني إحدى الطائفتين.

وعن أنس قال: كنا مع عمر بين مكة والمدينة... ثم أنشأ يحدثنا عن أهل بدر، فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم، كان يرينا مصارع أهل بدر، بالأمس، يقول: «هذا مصرع فلان غدًا، إن شاء الله»، قال: فقال عمر: فوالذي بعثه بالحق ما أخطؤوا الحدود التي حد رسول الله صلى الله عليه وسلم. (صحيح مسلم ٢٨٧٣).

وعن علي رضي الله عنه سار رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بدر، وبدر بئر: فسبقنا المشركين إليها، فوجدنا فيها رجلين منهم، أحدهما مولى عقبة: فأخذناه، فجعلنا نقول له: كم القوم؟ فيقول: هم والله كثير عددهم، شديد بأسهم: فجعل المسلمون إذ قال ذلك ضربوه، حتى انتهوا به إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له: «كم القوم؟» قال: هم والله كثير عددهم، شديد بأسهم فجهد النبي صلى الله عليه وسلم أن يخبره كم هم، فأبى ثم إن النبي صلى الله عليه وسلم سأله: «كم ينحرون من الجزر؟» فقال: عشرا كل يوم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «القوم ألف، كل جزور لمائة» (مسند أحمد (٩٤٨) وهو صحيح).

Upload by: altawhedmag.com

وفي هذا السياق فوائد:

١- الروايا: حوامل الماء أي ورعاتها

٢- وقوله: «فما ماط أحدهم» أي: فما بعُدَ مصرعُ أحدهم عن موضع إشارة يده صلى الله عليه وسلم.

٣- وفي ضرب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم غلام قريش: ليسألوه، جواز تهديد المتهم وتخويفه ليصدق.

٤- وجواز ضرب الأسير من العدو لمعنى يوجب ذلك، ويستخبر ما عنده من سر العدو.

٥- ويحتج به في تهديد الحكام للمتهمين ليصدقوا عن أحوالهم، وينكشف لهم تهمتهم. (فتح المنعم (٧/ ٢٥٠)، وإكمال المعلم (٦/ ١٣٧).

وقيده الخطابي فقال: وفيه دليل على جواز ضرب الأسير الكافر إذا كان في ضربه طائل. (معالم السنن ٢/ ٢٨٦).

٦- انصرافه صلى الله عليه وسلم من الصلاة فيه استحباب تخفيفها إذا عرض أمر في أثنائها.

٧- وفيه معجزتان إحداهما: إخباره صلى الله عليه وسلم بمصرع جبابرتهم فلم يبرح أحد مصرعه.

الثانية: إخباره صلى الله عليه وسلم بأن الغلام الذي كانوا يضربونه يصدق إذا تركوه ويكذب إذا ضربوه وكان كذلك في نفس الأمر والله أعلم. (شرح النووي على مسلم ١٢/ ١٢٦).

٨- فيه دليل على أن المتهم إذا أقر بما يتهم به يترك ضربه ويصدق في الظاهر. (شرح سنن أبي داود لابن رسلان (١١/ ٥٠٧).

٩- فيه: ما كان عليه صلى الله عليه وسلم من شغل أوقاته بالصلاة النافلة حتى في وقت الشدة. (فتح المنعم (٧/ ٢٥٠)

١٠- وفيه: أن المصلي إذا كان في صلاته: فتكلم عنده القوم ففهم ما يقولونه لم تبطل صلاته: لأن رسول الله- صلى الله عليه وسلم- فهم ما جرى لأصحابه مع الغلام، وأجابهم بعد انقضاء صلاته بما دل على أنه فهم ما جرى لهم. (الإفصاح ٥/ ٣٦٥).

١١- ويستفاد من حديث أنس عن عمر تعليم الكبار للصغار ورواية المغازي لهم. وفيه رواية صحابي عن صحابي.

١٢- المصرع: موضع المصروع، وهو الملقى على الأرض، وإخبار الرسول صلى الله عليه وسلم بذلك من أعظم المعجزات الدالة على صدقه. (كشف المشكل لابن الجوزي (١/ ١٤٨).

مشورة صائبة من سعد:

قال ابْنُ إِسْحاقَ: فحدَّثني عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ، أَنَّهُ حُدِّثَ أَنَّ سعْد بْنَ مُعاذٍ قال يا نَبِيَّ اللَّهِ أَلا نَبْني لَكَ عَرِيشًا تَكُونُ فيه ونُعِدُّ عِنْدَكَ رِكَائِبَكَ، ثُمَّ نَلْقَى عَدُوَّنَا، فَإِنْ أَعَزَّنَا اللَّهُ وَأَظْهَرَنَا عَلَى عَدُوِّنَا كَانَ ذَلِكَ مَا أَحْبَبْنَا، وَإِنْ كَانَتِ الأُخْرَى جَلَسْتَ عَلَى رِكَائِبِكَ فَلَحِقْتَ بِمَنْ وَرَاءَنَا مِنْ قَوْمِنَا، فَقَدْ تَخَلَّفَ عَنْكَ أَقْوَامٌ مَا نَحْنُ بِأَشَدَّ حُبًّا لَكَ مِنْهُمْ، وَلَوْ ظَنُّوا أَنَّكَ تَلْقَى حَرْبًا مَا تَخَلَّفُوا عَنْكَ، يَمْنَعُكَ اللَّهُ بِهِمْ يُنَاصِحُونَكَ وَيُجَاهِدُونَ مَعَكَ فَأَثْنَى عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَيْرًا وَدَعَا لَهُ بِخَيْرٍ، ثُمَّ بُنِيَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَرِيشٌ كَانَ فِيهِ. (السيرة لابن كثير (٢/ ٤٠٣).

ويشهد له حديث ابن عباس الآتي، وفيه فضيلة لسعد رضي الله عنه.

ليلة بدر: كانت ليلة الجمعة السابع عشر من شهر رمضان وهناك أشياء بارزة في هذه الليلة منها ما يلي:

١- دعاء النبي صلى الله عليه وسلم: قال علي رضي الله عنه في حديثه السابق: ثُمَّ إِنَّهُ أَصَابَنَا مِنَ اللَّيْلِ طَشٌّ مِنْ مَطَرٍ، فَانْطَلَقْنَا تَحْتَ الشَّجَرِ وَالْحِجَفِ نَسْتَظِلُّ تَحْتَهَا، مِنَ الْمَطَرِ، وَبَاتَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْعُو رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَيَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنَّكَ إِنْ تُهْلِكْ هَذِهِ الْفِئَةَ لَا تُعْبَدْ». قَالَ: فَلَمَّا طَلَعَ الْفَجْرُ نَادَى: «الصَّلَاةَ عِبَادَ اللَّهِ». فَجَاءَ النَّاسُ مِنْ تَحْتِ الشَّجَرِ، وَالْحِجَفِ، فَصَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَحَرَّضَ عَلَى الْقِتَالِ. (مسند أحمد (٩٤٨) وإسناده صحيح).

عن عَبْد الله بْن عَبَّاس، قال: حدَّثني عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ نَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْمُشْرِكِينَ وَهُمْ أَلْفٌ،

Upload by: altawhedmag.com

وأصحابُه ثلاثُ مائة وتسعة عشر رجلًا، فاستقبل نبيُّ الله صلى الله عليه وسلم القبلة، ثم مدَّ يديه، فجعل يهتف بربه: «اللهم أنجزْ لي ما وعدتني، اللهم آتِ ما وعدتني، اللهم إن تُهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تُعبد في الأرض»، فما زال يهتف بربه، مادًا يديه مستقبل القبلة، حتى سقط رداؤه عن منكبيه، فأتاه أبو بكر فأخذ رداءه، فألقاه على منكبيه، ثم التزمه من ورائه، وقال: يا نبيَّ الله، كفاك مُناشدتك ربك، فإنه سينجزُ لك ما وعدك، فأنزل الله عز وجل: ﴿إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني مُمدكم بألف من الملائكة مُردفين﴾ (الأنفال: ٩) فأمدَّه الله بالملائكة. (صحيح مسلم ١٧٦٣).

عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال النبيُّ صلى الله عليه وسلم، وهو في قُبة: «اللهم إني أنشُدُك عهدك ووعدك، اللهم إن شئت لم تُعبد بعد اليوم»، فأخذ أبو بكر بيده، فقال: حسبُك يا رسول الله، فقد ألححت على ربك وهو في الدرع، فخرج وهو يقول: ﴿سيُهزَمُ الجمعُ ويُولُّون الدُّبر بل الساعةُ موعدُهم، والساعةُ أدهى وأمر﴾ (القمر: ٤٦) (صحيح البخاري (٢٩١٥).

٢- النعاس:

فقال الله تعالى: ﴿إذ يُغشيكُمُ النُّعاسَ أمَنةً منْهُ﴾: قال ابن كثير: يُذكِّرهم الله بما أنعم به عليهم من إلقائه النُّعاس عليهم، أمانًا من خوفهم الذي حصل لهم من كثرة عدوهم وقلة عددهم، وعن عليٍّ، رضي الله عنه، قال: ما كان فينا فارسٌ يوم بدر غيرُ المقداد، ولقد رأيتُنا وما فينا إلا نائمٌ إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم، يُصلي تحت شجرة ويبكي حتى أصبح. (مسند أحمد (١١٦١) وإسناده صحيح).

وعن عبد الله بن مسعود، رضي الله عنه، أنه قال: النُّعاس في القتال أمنةٌ من الله.

وكأن ذلك كان سجية للمؤمنين عند شدة البأس لتكون قلوبهم آمنة مطمئنة بنصر الله. وهذا من فضل الله ورحمته بهم ونعمه عليهم.

٣- المطر: ﴿وينزل عليكم من السماء ماء﴾ أي: المطر الذي أصابهم تلك الليلة، فحبس المشركين أن يسبقوا إلى الماء، وخلى سبيل المسلمين إليه ﴿ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان، وليربط على قلوبكم ويثبت به الأقدام﴾ أي ليُذهب عنكم شك الشيطان، لتخويفه إياهم عدوهم، واستجلاد الأرض لهم، حتى انتهوا إلى منزلهم الذي سبقوا إليه عدوهم. (تفسير ابن كثير (٢٢/٤)، وابن هشام (٦٦٧/١).

وفي هذه الأحداث فوائد: منها أن الدعاء من أسباب النصر والتمكين، وفيها أهمية الأخذ بالأسباب من حيث الدعاء واتخاذ القبة وملازمة أبي بكر للنبي صلى الله عليه وسلم؛ ليكون ثاني اثنين في الدعاء ورفع الرداء على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفيه قوة يقين أبي بكر رضي الله عنه وتأييد الله للمؤمنين بالمطر؛ فكان نافعًا لهم مضرًا لأعدائهم.

قال الخطابي: لا يجوز أن يتوهم أحد أن أبا بكر كان أوثق بربه من النبي صلى الله عليه وسلم في تلك الحال، بل الحامل للنبي صلى الله عليه وسلم على ذلك شفقته على أصحابه وتقوية قلوبهم؛ لأنه كان أول مشهد شهده؛ فبالغ في التوجه والدعاء والابتهال لتسكن نفوسهم عند ذلك؛ لأنهم كانوا يعلمون أن وسيلته مستجابة، فلما قال له أبو بكر ما قال كفَّ عن ذلك، وعلم أنه استُجيب له لما وجد أبو بكر في نفسه من القوة والطمأنينة، فلهذا عقب بقوله: «سيُهزم الجمع»، انتهى، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم في تلك الحالة في مقام الخوف وهو أكمل حالات الصلاة، وجاز عنده أن لا يقع النصر يومئذ لأن وعده بالنصر لم يكن معينًا لتلك الواقعة وإنما كان مجملًا، هذا الذي يظهر. (فتح الباري ٢٨٩/٧).

وفيها فوائد أخرى نكملها في العدد القادم- إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

Upload by: altawhedmag.com

الحلقة 4

غزوة بدر

إعداد: د/ سيد عبد العال

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين.

أما بعد: فما زلنا في الطريق إلى موطن العزة والشرف؛ إلى غزوة بدر الكبرى وما فيها من الدروس والعبر، وقد انتهينا في العدد السابق إلى مبيت المسلمين ليلة بدر وذكرنا: أن الله تعالى أمنهم بالنوم وطهرهم بالمطر. وأما النبي صلى الله عليه وسلم: فبات قائمًا يصلي كما في حديث عليٍّ رضي الله عنه قال: "ولقد رأيتنا وما فينا إلا نائمٌ، إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم بات تحت شجرةٍ يصلي، ويبكي، حتى أصبح" مسند أحمد (١٠٢٣).

وهنا يبدو لنا أمر آخر قبل الوصول إلى أرض المعركة؛ حيث نقف وقفة مع التصوير القرآني لكل من الفئتين في عين الأخرى وحاصله ثلاثة أحوال:

الأولى: منام يزف بشرى وطمأنة للمسلمين

قال الله تعالى: "إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ" (الأنفال: ٤٣)، وكان ذلك في منامه تلك الليلة؛ فرآهم رسول الله في نومه أقل مما كانوا. البداية والنهاية (٥/ ٨٥).

وقال الطبري: أي: يُريكهُمْ في نومك قليلاً فتُخبرُهم بذلك، حتى قويتْ قلوبُهُم واجترءوا على حرب عدوهم. ولو أراك ربك عدوك وعددهم كثيرًا لفشل أصحابك؛ فجبنوا وخافوا، ولم يقدروا على حرب القوم، ولتنازعوا في ذلك، ولكنَّ الله سلمهم من ذلك بما أراك في منامك من الرؤيا...اهـ

وعلى إثر هذه الرؤيا أشرقت في وجوه الصحابة شمس جديدة، ويوم جديد؛ فتنفسوا هواءً منعشًا؛ وصباحًا طريًا بالصلاة والمطر، الأرض أمامهم ساكنة ملبدة لا غبار فيها، والأجواء تملأ صدور المؤمنين حماسًا وثقة بالله ووعده...

الحال الثاني: تقليل كلا الفريقين في عين الآخر عند بداية التقاء الصفين:

قال تعالى: "وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ" (الأنفال: ٤٤)؛ قال القرطبي: كان هذا في ابتداء القتال... تفسير القرطبي (٨/ ٢٣).

قال ابن كثير: وقوله "وإذ يريكموهم إذ التقيتم في أعينكم قليلا" وهذا أيضا من لطفه تعالى بهم إذ أراهم إياهم قليلا في رأي العين فيجرئهم عليهم ويطمعهم فيهم... وقوله "ويقللكم في أعينهم ليقضي الله أمرا كان مفعولا" أي: ليلقي بينهم الحرب للنقمة ممن أراد الانتقام منه، والإنعام على من أراد تمام النعمة عليه من أهل ولايته ومعنى هذا، أنه تعالى أغرى كلا من الفريقين بالآخر وقللهُ

Upload by: altawhedmag.com

في عينه ليطمع فيه، وذلك عند المواجهة. تفسير ابن كثير (٤/ ٦١).

الحال الثالث: أثناء المعركة؛ حيث كثر الله المؤمنين في عين الكافرين بنزول الملائكة معهم ليلقي الرعب في قلوب الكافرين، وذلك في قوله تعالى: " قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ " (آل عمران: ١٣).

وقد ذكر ابن كثير في قوله: وأصح الأقوال في ذلك إن شاء الله: أن الله أبقى المؤمنين على ما هم عليه من الكثرة في أعين الكافرين وقلل الكافرين في أعين المؤمنين قال ابن كثير: فلما التحم القتال، وأيد الله المؤمنين بألف من الملائكة مردفين بقي حزب الكفار يرى حزب الإيمان ضعفيه كما قال تعالى " قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ " وهذا هو الجمع بين هاتين الآيتين فإن كلا منهما حق وصدق ولله الحمد والمنة. (تفسير ابن كثير ٤/ ٦١).

وقال أيضا: فعندما تقابل الفريقان، قلل الله كلا منهما في أعين الآخرين، ليجترئ هؤلاء على هؤلاء، وهؤلاء على هؤلاء، لما له في ذلك من الحكمة البالغة، وليس هذا معارضا لقوله تعالى في سورة " آل عمران " « قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ » (آل عمران: ١٣)؛ فإن المعنى في ذلك، على أصح القولين: أن الفرقة الكافرة ترى الفرقة المؤمنة مثلي عدد الكافرة، على الصحيح -أيضا-، وذلك عند التحام الحرب، والمسايفة أوقع الله الوهن والرعب في قلوب الذين كفروا، فاستدرجهم أولا بأن أراهم إياهم عند المواجهة قليلا، ثم أيد المؤمنين بنصره؛ فجعلهم في أعين الكافرين على الضعف منهم، حتى وهنوا وضعفوا وغلبوا، ولهذا قال: « وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ » (آل عمران: ١٣). البداية والنهاية (٥/ ٨٥).

وهذا ما قرره القرطبي في تفسير سورة الأنفال حيث قال: "ويقللكم في أعينهم" كان هذا في ابتداء القتال فلما أخذوا في القتال عظم المسلمون في أعينهم؛ فكثروا، كما قال: "يرونهم مثليهم رأي العين" تفسير القرطبي (٨/ ٢٣).

فائدة: قرأ نافع وأبو جعفر ويعقوب: "ترونهم مثليهم رأي العين" والباقون بالياء، والجمهور من الناس على أن الفاعل بترون هم المؤمنون، والضمير المتصل هو للكفار، وعلى هذا يكون المسلمون يرون الكفار ضعفيهم ومن الحكمة في ذلك أن يجأر المسلمون في الدعاء والابتهال وأيضا حتى يستجمعوا قوتهم ولا يستهينوا بهم؛ ففي مرحلة الإعداد يرونهم كثرة؛ فيستعدون، وفي ساحة القتال يرونهم قلة؛ فتقوى قلوبهم وهذا في بعض الأحوال كما سبق بيانه.

وعلى فرض أنه عام فهو لا يتعارض مع آية الأنفال؛ لأنها تثبت تقليل الكافرين وهذه تثبت: أنهم مثليهم وقد كانوا ثلاثة أضعاف المسلمين؛ فإذا رأوهم مثليهم؛ فقد قللوا في أعينهم؛ قال القرطبي: أعلمنا الله: أنه قللهم في أعين المؤمنين؛ فيكون المعنى: ترون أيها المؤمنون المشركين مثليكم في العدد وقد كانوا ثلاثة أمثالهم؛ فقلل الله المشركين في أعين المسلمين؛ فأراهم إياهم مثلي عدتهم لتقوى أنفسهم، ويقع التجاسر، وقد كانوا أعلموا: أن المائة منهم تغلب المائتين من الكفار، وقلل المسلمين في أعين المشركين ليجترءوا عليهم - في بعض الأحوال- فينفذ حكم الله فيهم" (الرياض الناضرة في توجيه القراءات المتواترة (١٣٦) وتفسير القرطبي (٤/ ٢٥).

خطر التهويل الإعلامي لقوة الأعداء

وهذا يبين لك خطر التهويل الإعلامي لجيوش العدو في عصرنا الحاضر وهو ما يسمى بالحرب الباردة؛ لأن بيننا أناسًا قد أدمنوا التهويل من قوة الأعداء مما يبث الوهن والضعف في قلوب المسلمين ليس فقط في مجال الحرب والقتال بل تخطى ذلك إلى البحث العلمي والتطوير والاختراع بل وحتى مسابقات اللعب-لأنهم يعظمون شأنها- يظهرون في ذلك كله قوة العدو، وضعف المسلمين وتأخرهم ليس على سبيل حث المسلمين على التغيير من أوضاعهم بل لأجل بث الوهن في قلوبهم واشعال اليأس في نفوسهم؛ قال الشنقيطي: ومن ذكر أسباب الهزيمة من

Upload by: altawhedmag.com

رُعب القُلوب، وأسباب النَّصر من السَّكينة والطُّمأنينة، تعلَمُ مَدى تأثير الدَّعايات في الأوبئة الأخيرة، وما سُمِّيَ بالحرب الباردة من كلام وإرجاف ممَّا ينبغي الحذرُ منه أشدَّ الحذر، وقد حذَّر اللَّهُ تعالى منه في قوله تعالى: "قد يعلمُ اللَّهُ المعوِّقينَ منكُم والقائلينَ لإخوانهم هلُمَّ إلينا ولا يأتونَ البأسَ إلَّا قليلاً"...كما بيَّن تعالى أثر الدعاية الحسنة في قوله تعالى: "وأعدُّوا لهُم ما استطعتُم من قُوَّة ومن رباط الخيل تُرهبونَ به عدوَّ اللَّه وعدوَّكُم وآخرينَ من دونهم"... وما أجراهُ اللَّهُ في غزوة بدر من هذا القبيل أكبرُ دليل عمليٌّ، إذ يُقلِّلُ كلُّ فريقٍ في أعيُنِ الآخرين، كما قال تعالى: "إذ يُريكَهُمُ اللَّهُ في منامكَ قليلاً ولو أراكَهُم كثيرًا لفشلتُم ولتنازعتُم في الأمرِ ولكنَّ اللَّه سلَّم...الخ الآيات"، وهذا كلُّهُ ممَّا ينبغي الاستفادةُ منهُ اليومَ على العدوِّ في قضيَّة الإسلام والمسلمين. (أضواء البيان ٨/ ٢٢).

ولا شك أن الثقة والقوة المعنوية لا تقل شأنًا عن قوة السلاح وكثرة العدد في أرض المعركة؛ فلما تحقق في نفوس المسلمين كان من أظهر الأسباب في تحقيق النصر.

عودة إلى الجيش وتنظيم الصفوف:

قال ابن كثير: وقد صفَّ رسولُ اللَّه صلَّى اللَّهُ عليه وسلَّم أصحابَهُ وعباهم أحسن تعبية.

وراجع سنن الترمذي (١٦٧٧)، ومسند البزار (٩٩٨). يقال: عبأت الجيش تعبئة؛ أي: "رتبتهم في مواضعهم، وهيأتهم للحرب". النهاية (١٦٨/٣).

عظمة القائد ومحبة الجنود له صلى الله عليه وسلم

وأسند ابنُ إسحاقَ: أن رسولَ اللَّه صلَّى اللَّهُ عليه وسلَّم عدَّلَ صفوفَ أصحابه يومَ بدر، وفي يده قدحٌ يُعدِّلُ به القوم، فمرَّ بسواد بن غزيَّة حليف بني عديِّ بن النَّجار وهو مُستنتِلٌ - متقدم أو خارج من الصف- من الصَّفِّ؛ فطعَنَ في بطنه بالقدح وقال: " استوِ يا سوادُ "؛ فقال: يا رسولَ اللَّه أوجعتَني! وقد بعثكَ اللَّهُ بالحقِّ والعدلِ فأقدني!! فكشفَ رسولُ اللَّه صلَّى اللَّهُ عليه وسلَّم عن بطنه؛ فقال: استقِد. قال: فاعتنقَهُ فقبَّلَ بطنَهُ، فقال: ما حملكَ على هذا يا سوادُ؟ قال: يا رسولَ اللَّه حضرَ ما ترى، فأردتُ أن يكونَ آخرَ العهدِ بكَ أن يمسَّ جلدي جلدَكَ؛ فدعا لهُ رسولُ اللَّه صلَّى اللَّهُ عليه وسلَّم بخيرٍ. (ابن هشام (٢٦٦/٢)، وحسنه الألباني في الصحيحة (٢٨٣٥)، وانظر: الروض الأنف (٨٣/٥).

وعلى كلٍ فإن قصته توضح نموذج التعليم الإسلامي في العدل؛ فالنبي صلى الله عليه وسلم استعد حتى يقتص منه أحد من أمته، وقدم له جسده الشريف، تلك هي العدالة الحقيقية.

ومن فوائده:

- حرص الإسلام على النظام.

- العدل المطلق؛ فمع أنه صلى الله عليه وسلم لم يكن ظالمًا لسواد إلا أنه سمح له بأخذ ما يظنه حقًا تطييبًا لخاطره وبيانًا لقمة العدل والإحسان.

- حب الجندي لقائده.

- تذكر الموت والشهادة.

- جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم مبارك، ومسه فيه بركة، ولهذا حرص عليها سواد.

- البطن ليس بعورة بدليل: أن النبي صلى الله عليه وسلم كشف عنه، ويحمل على ما عليه الجمهور؛ أي: ما فوق السرة، أي: كشف له ما فوقها.

- تواضع القائد مع جنده، وهي صفة من صفات الجيش المنصور.

- اتصاف القائد بالرأفة والاهتمام بأصحابه وعمل ما يصلح حالهم في الدين والدنيا، وأن يتولى أمرهم بنفسه - قدر الاستطاعة- محبة وشفقة. (النبي القائد (٧٧/ ٢)، وغزوة بدر الكبرى دروس وعبر: ٧٢).هذا عن حال المسلمين؛ فماذا عن جيش المشركين قبل المعركة؟ وما هي صفة خروجهم؟ هذا ما تناوله في العدد القادم إن شاء الله تعالى، والحمد لله رب العالمين.

Upload by: altawhedmag.com

الحلقة 5

غزوة بدر

إعداد د/ سيد عبد العال

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد؛ فنكمل ما سبق من أحداث غزوة بدر الكبرى، وقد تناولنا في العدد السابق حال كل من الفريقين في عين الآخر، ثم عرجنا إلى تسوية صفوف المسلمين، وما كان من سواد بن غزية رضي الله عنه، والآن نكمل -بعون الله تعالى- ما كان من أحداث.

نزول جيش قريش إلى وادي بدر ووقوع الاشتباك فيه:

قال ابن هشام: أمّا قُرَيْشٌ: فقضت ليلة بدْرٍ في مُعسكرها بالعُدْوة القُصْوى. ابن هشام (٢/٢٦٠).

وقد ذكر الله تعالى نزول الفريقين فقال: " "إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا" أي: إذ أنتم نُزُولٌ بِعُدْوَةِ الْوَادِي الدُّنْيَا الْقَرِيبَةِ إلى الْمَدِينَةِ. "وَهُمْ" أي: الْمُشْرِكُونَ نُزُولٌ "بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى" أي: الْبَعِيدَةِ الَّتِي مِنْ نَاحِيَةِ مَكَّةَ. "وَالرَّكْبُ" أي: الْعِيرُ الَّذِي فِيهِ أَبُو سُفْيَانَ بِمَا مَعَهُ مِنَ التِّجَارَةِ "أَسْفَلَ مِنْكُمْ" أي: مِمَّا يَلِي سِيفَ الْبَحْرِ "وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ" أي: أَنْتُمْ وَالْمُشْرِكُونَ إلى مكان "لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ" أي: وَلَوْ كَانَ ذَلِكَ عَنْ مِيعَادٍ مِنْكُمْ وَمِنْهُمْ، ثُمَّ بَلَغَكُمْ كَثْرَةُ عَدَدِهِمْ وَقِلَّةُ عَدَدِكُمْ، مَا لَقِيتُمُوهُمْ، "وَلَكِنْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا" أي: لِيَقْضِيَ اللَّهُ مَا أَرَادَ بِقُدْرَتِهِ مِنْ إِعْزَازِ الْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ، وَإِذْلَالِ الشِّرْكِ وَأَهْلِهِ، عَنْ غَيْرِ مَلَإٍ مِنْكُمْ؛ فَفَعَلَ مَا أَرَادَ مِنْ ذَلِكَ بِلُطْفِهِ. تفسير ابن كثير (٤/٦٦).

ولَمَّا اطْمَأَنَّتْ قُرَيْشٌ بَعَثَتْ عُمَيْرَ بْنَ وَهْبٍ لِيَحْزُرَ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-، وَيَأْتِيَهُمْ بِعَدَدِهِمْ وَعُدَّتِهِمْ، فَأَخْبَرَهم أنهم ثَلَاثُمِائَةٍ رَجُلٍ يَزِيدُونَ قَلِيلًا أَوْ يَنْقُصُونَ... ثم قال: وَلَكِنِّي قَدْ رَأَيْتُ، الْبَلَايَا تَحْمِلُ الْمَنَايَا؛ نَوَاضِحُ يَثْرِبَ تَحْمِلُ السُّمَّ النَّاقِعَ، وَاللَّهِ مَا أَرَى أَنْ يُقْتَلَ رَجُلٌ مِنْهُمْ، حَتَّى يَقْتُلَ رَجُلًا مِنْكُمْ، فَإِذَا أَصَابُوا مِنْكُمْ أَعْدَادَهُمْ فَمَا خَيْرُ الْعَيْشِ بَعْدَ ذَلِكَ؟ فَرَوْا رَأْيَكُمْ... فَلَمَّا سَمِعَ حَكِيمُ بْنُ حِزَامٍ ذَلِكَ أَتَى عُتْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ فَقَالَ: هَلْ لَكَ إِلَى خَيْرٍ تُذْكَرُ بِهِ إِلَى آخِرِ الدَّهْرِ؟

قَالَ: وَمَا ذَاكَ؟ قَالَ: تَرْجِعُ بِالنَّاسِ، وَتَحْمِلُ أَمْرَ حَلِيفِكَ عَمْرِو بْنِ الْحَضْرَمِيِّ، وَتَرْجِعُ بِالنَّاسِ، فَقَالَ: قَدْ فَعَلْتُ... فَأْتِ أَبَا جَهْلٍ فَإِنِّي لَا أَخْشَى أَنْ يَشْجُرَ أَمْرَ النَّاسِ غَيْرُهُ. السيرة النبوية (٣-١٦٩)، وقال الألباني في هذا السند: حسن إن شاء الله.

وقد ارْتَحَلَتْ قُرَيْشٌ حِينَ أَصْبَحَتْ، فَأَقْبَلَتْ، فَلَمَّا رَآهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

Upload by: altawhedmag.com

اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها، تحادك وتكذب رسولك. اللهم فنصرك الذي وعدتني. اللهم أحنهم الغداة. سيرة ابن هشام (٦٢١/١).

وعن علي رضي الله عنه: فلما دنا القوم منا وصافقناهم إذا رجل منهم على جمل له أحمر يسير في القوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا علي ناد لي حمزة وكان أقربهم من المشركين من صاحب الجمل الأحمر وماذا يقول لهم. ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن يكن في القوم أحد يأمر بخير: فعسى أن يكون صاحب الجمل الأحمر". فجاء حمزة فقال: هو عتبة بن ربيعة وهو ينهى عن القتال ويقول لهم: يا قوم إني أرى قوما مستميتين لا تصلون إليهم وفيكم خير يا قوم اعصبوها اليوم برأسي وقولوا جبن عتبة بن ربيعة وقد علمتم أني لست بأجبنكم! قال: فسمع ذلك أبو جهل: فقال: أنت تقول هذا والله لو غيرك يقول هذا لأعضضته. قد ملأت رئتك جوفك رعبا! فقال عتبة: إياي تعير يا مصفر استه ستعلم اليوم أينا الجبان. مسند أحمد (٩٤٨)، والمستدرك (٤٨٨٢) وصححه الحاكم والشيخ أحمد شاكر.

وتعجل أبو جهل وبعث إلى عامر الحضرمي- أخي عمرو الحضرمي المقتول في سرية عبد الله بن جحش-رضي الله عنه- فقال له: هذا حليفك-أي عتبة- يريد أن يرجع بالناس. وقد رأيت ثأرك بعينك. فقم فانشد خفرتك ومقتل أخيك. فقام عامر يصرخ: واعمراه، واعمراه، فحمي القوم، وحقب أمرهم، واستوسقوا على ما هم عليه من الشر. وأفسد على الناس الرأي الذي دعاهم إليه عتبة وهكذا تغلب الطيش على الحكمة. السيرة النبوية كما جاءت في الأحاديث الصحيحة (٧٧/٢).

توجيهات النبي صلى الله عليه وسلم قبل المعركة

عن أنس بن مالك-رضي الله عنه- قال: وجاء المشركون. فقال رسول الله-صلى الله عليه وسلم-: "لا يتقدمن أحد منكم إلى شيء حتى أكون أنا أوذنه". صحيح مسلم (١٩٠١). ومسند أحمد (١٢٤٢١) وهذا لفظ أحمد. ولفظ مسلم "حتى أكون أنا دونه" أي: قدامه متقدما في ذلك الشيء: لئلا يفوت شيء من المصالح التي لا تعلمونها. شرح النووي على مسلم (٤٥/١٣). وعليه فمعناهما واحد.

خطة القتال وكيفيته

ثم وضع النبي صلى الله عليه وسلم خطة القتال على خلاف المعهود عند العرب في ذلك الوقت: حيث أمرهم الرسول صلى الله عليه وسلم أن يكسروا هجمات المشركين: وهم مرابطون في مواقعهم: فعن حمزة بن أبي أسيد، عن أبيه، قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر، حين صففنا لقريش وصفوا لنا: "إذا أكثبوكم فعليكم بالنبل واستبقوا نبلكم" البخاري (٢٩٠٠و٣٩٨٥).

قوله: "إذا أكثبوكم": أي: إذا قربوا منكم وأصله من الكثب وهو القرب يقول: إذا دنوا منكم فارموهم ولا ترموهم على بعد. "واستبقوا نبلكم" "النبل": السهم: يعني: ارموهم بالنبل، ولكن لا ترموهم بجميع نبالكم، بل اتركوا بعض نبالكم، فإنكم لو رميتم بجميع نبالكم: فحينئذ بقيتم بلا نبل فغلبوا عليكم.

وقال ابن حجر: وفي رواية له "ولا تسلوا السيوف حتى يغشوكم" فظهر أن معنى الحديث الأمر بترك الرمي والقتال حتى يقربوا: لأنهم إذا رموهم على بعد قد لا تصل إليهم وتذهب في غير منفعة والى ذلك الإشارة بقوله واستبقوا نبلكم وعرف بقوله "ولا تسلوا السيوف حتى يغشوكم" أن المراد بالقرب المطلوب في الرمي قرب نسبي بحيث تنالهم السهام. اهـ. والمقصود: حافظوا على الذخيرة، ولا تقوموا بإهدار هذه السهام. المفاتيح (٤٠٤/٤)، ومعالم السنن (٢٧٨/٢)، وكشف المشكل (١٣٣/٢)، وفتح الباري (٩٢/٦).

وقال ابن رسلان: "ولا تسلوا السيوف" فيه النهي عن سل السيوف في غير وقت القتال، وتقدم النهي عن تعاطيه مسلولا. وفي معناه والمشي به مسلولا، وكذا إذا كان العدو بعيدا لا يسل.

وهذا يظهر حسن التدبير العسكري، وذلك حينما أمرهم بالدفاع عن بعد برمي السهام، والاقتصاد في رميها، وسل السيوف عند تداخل الصفوف فحسب. شرح سنن أبي داود (٤٦٧/١١).

Upload by: altawhedmag.com

ولا شك أن هذا التكتيك النبوي يحتاج منا إلى وقفة: حتى نعرف صفة مهمة من صفات الجيش المنصور، فمن صفات الجيش المنصور: الإعداد الجيد والأخذ بكل أسباب النصر المادية، والعمل بكل ما هو متاح في اليد لتحقيق النصر، عملا بقوله تعالى: «وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ» (الأنفال:٦٠).

إشفاق ودعاء

ثُمَّ عدَلَ رسُولُ اللَّهِ صلى اللَّهُ عليه وسلَّم الصُّفوف ورجع إلى العريش: فدخله ومعهُ أبو بكرٍ ليس معهُ فيه غيرُهُ، وكان سعدُ بنُ مُعاذ رضي اللَّهُ عنه واقفًا على باب العريش متقلدًا بالسَّيف ومعهُ رجالٌ من الأنصار، يحرسُون رسُول اللَّه صلى اللَّهُ عليه وسلَّم. السيرة لابن كثير (٤١١/٢).

وأخرج البزَّار في مُسنده بسندٍ صحيح عن عليِّ بن أبي طالبٍ-رضي اللَّه عنه- قال: يا أيُّها النَّاسُ مَنْ أشجعُ النَّاس؟ فقالُوا: أنْت يا أمير المُؤمنين، فقال: أما إنِّي ما بارزني أحدٌ إلا انتصفتُ منه، ولكنْ هو أبو بكرٍ، إنَّا جعلْنا لرسُول اللَّه-صلى اللَّه عليه وسلم- عريشًا، فقُلْنا مَنْ يكُونُ مع رسُول اللَّه-صلى اللَّه عليه وسلم- يهْوي إليْه أحدٌ من المُشركين، فواللَّه ما دنا منَّا أحدٌ إلا أبُو بكرٍ شاهرًا بالسَّيف على رأس رسُول اللَّه-صلى اللَّه عليه وسلم-، لا يهْوي إليْه أحدٌ إلا أهوى عليْه، فهذا أشجعُ النَّاس... فهذه خُصوصيَّة للصِّدِّيق، حيثُ هو مع الرَّسُول في العريش، كما كان معهُ في الغار رضي اللَّهُ عنْهُ وأرْضاه.

وعن ابن عبَّاس رضيَ اللَّهُ عنْهُما، قال: قال النَّبيُّ صلى اللَّهُ عليه وسلَّم، وهُو في قبَّة: "اللَّهُمَّ إنِّي أنْشُدُكَ عهْدكَ ووعْدكَ، اللَّهُمَّ إنْ شئْتَ لمْ تُعْبدْ بعْد اليوْم": فأخذ أبُو بكرٍ بيده، فقال: حسْبُك يا رسُول اللَّه، فقدْ ألححْتَ على ربِّك، وهُو في الدِّرْع، فخرج وهُو يقُول: «سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ» (القمر: ٤٦)، صحيح البخاري (٢٩١٥).

وعن ابن عبَّاسٍ، يقُولُ: حدَّثني عُمرُ بنُ الخطَّاب، قال: لمَّا كان يوْمُ بدْرٍ نظر رسُولُ اللَّه صلى اللَّهُ عليه وسلَّم إلى المُشركين وهُمْ ألفٌ، وأصْحابُهُ ثلاثُ مائة وتسْعة عشر رجُلا، فاسْتقْبل نبيُّ اللَّه صلى اللَّهُ عليه وسلَّم القبْلة، ثُمَّ مدَّ يديْه، فجعل يهْتفُ بربِّه: "اللَّهُمَّ أنْجزْ لي ما وعدْتني، اللَّهُمَّ آت ما وعدْتني، اللَّهُمَّ إنْ تُهْلكْ هذه العصابة منْ أهْل الإسْلام لا تُعْبدْ في الأرْض". فما زال يهْتفُ بربِّه، مادًّا يديْه مُسْتقْبل القبْلة، حتَّى سقط رداؤُهُ عنْ منْكبيْه، فأتاهُ أبُو بكْرٍ فأخذ رداءهُ، فألْقاهُ على منْكبيْه، ثُمَّ التزمهُ منْ ورائه، وقال: يا نبيَّ اللَّه، كفاكَ مُناشدتُك ربَّك، فإنَّهُ سيُنْجزُ لكَ ما وعدكَ، فأنْزل اللَّهُ عزَّ وجلَّ: «إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ» (الأنفال: ٩) صحيح مسلم (١٧٦٣).

وأخذت النبي سنة وهو في العريش ثم انتبه فقال: "أبشر يا أبا بكر، فقد أتاك نصر الله، هذا جبريل آخذ بعنان فرسه يقوده على ثناياه النقع". حسنه الألباني في هامش فقه السيرة (٢٣٤)، وصدق الله حيث يقول: "إذْ تستغيثُون ربَّكُمْ فاستجاب لكُمْ أنِّي مُمدُّكُمْ بألْفٍ منَ الملائكة مُرْدفين".

التوجيه المعنوي والتحريض على القتال

ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى صفوف المسلمين يحرضهم على القتال: كما في حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: فدنا المشركون، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "قوموا إلى جنة عرضها السماوات والأرض". قال-: يقول عُمَيْر بْن الحُمام الأنصاريُّ-: يا رسول الله، جنة عرضها السماوات والأرض؟ قال: «نعم». قال: بخ بخ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما يحملك على قولك بخ بخ؟». قال: لا والله يا رسول الله، إلا رجاءة أن أكون من أهلها، قال: «فإنك من أهلها»، فأخرج تمرات من قرنه، فجعل يأكل منهن، ثم قال: لئن أنا حييتُ حتى آكل تمراتي هذه إنها لحياة طويلة، قال: فرمى بما كان معه من التمر، ثم قاتلهم حتى قتل. صحيح مسلم (١٩٠١).

وللحديث صلة، والحمد لله رب العالمين.

Upload by: altawhedmag.com

الجهاد والفتوحات

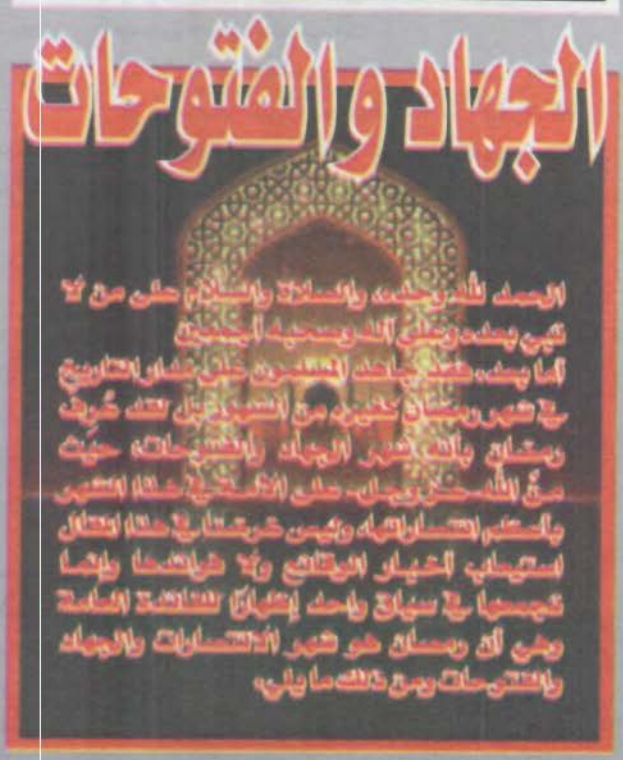

١- في رمضان من السنة الأولى كانت سرية حمزة بن عبد المطلب إلى سيف البحر. (الخلاصة البهية: ص٣٠).

٢- وفي (١٧) رمضان من السنة الثانية كانت غزوة بدر الكبرى:

قال تعالى: "وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ" (آل عمران: ١٢٣).

وعندما يطالع المسلم أنباء موقعة بدر، يشعر أن لها منزلة خاصة، توحي بأنها أعظم غزوات الإسلام فضلاً وشرفًا؛ لأسباب كثيرة منها أنها أول غزوة كان لها أثرها في إظهار قوة الإسلام. ومنها أنها رسمت الخط الفاصل بين الحق والباطل. ومنها أن المحرك لها هو الإيمان بالله وحده، لا العصبية ولا القبلية ولا الثأر. وفيها تجلت صور رائعة من الإيمان بالله وصفاء العقيدة وحب هذا الدين. (غزوة بدر دروس وعبر: ٣).

٣- وفي رمضان سنة سبع كانت سريةُ غالب بْن عَبْد الله اللَّيْثِيّ إلَى الميفعة، بناحية نجد، في مائة وثلاثين رجلا، فهجموا عليهم جميعًا، ووقعوا في وسط محالهم، فقتلوا من أشراف لهم، واستاقوا نعمًا وشاءً، فحدروه إلى المدينة ولم يأسروا أحدًا. (عيون الأثر: ٢/١٩٠).

٤- وفي العشرين من رمضان سنة ٨ هـ كان فتح مكة

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، "أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ عَامَ الْفَتْحِ فِي رَمَضَانَ." صحيح مسلم (١١١٣). وهو الفتح الأعظم الذي أعز الله به نبيه ورسوله صلى الله عليه وسلم وجنده واستنقذ به بلده وبيته، من أيدي الكفار والمشركين. (فتح مكة لبشاميل: ١٧١-١٧٣).

٥- وفي الرابع والعشرين من رمضان سنة ثمان للهجرة، بعث الرسول عليه الصلاة والسلام سعد بن زيد الأشهلي إلى "مناة" فهدمها..

٦- وفي الخامس والعشرين من رمضان سنة ٨ هـ أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد رضي الله عنه في ثلاثين

Upload by: altawhedmag.com

فارسًا من أصحابه، وأمرهم بهدم "العزّى" فأتاها خالدٌ، فهدمها ثم أتاها، فإذا امرأةٌ عُريانةٌ، ناشرةٌ شعرها، فعمَمها بالسَّيف حتّى قتلها، ثمّ رجع إلى النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم فأخبره، فقال: "تلك العُزّى" الكبرى للنسائي (١١٤٨٣)، والأغصان الندية (٤٥٠و٤٥١).

٧- وفي رمضان سنة تسع للهجرة وفدت ثقيف صاحبة "اللات" على الرسول صلى الله عليه وسلم تعرض إسلامها عليه.. ثم أرسل الرسول صلى الله عليه وسلم معهم أبا سفيان بن حرب، والمغيرة بن شعبة لهدم "اللات".. فلمّا قدموا عمدوا إلى اللات فهدموها. تاريخ المدينة لابن شبة (٥٠٦/٢).

٨- وفي رمضان من السنة التاسعة كانت عودة الرسول صلى الله عليه وسلم من غزوة تبوك المظفرة. الرحيق المختوم (٤٠١).

٩- وفي السنة الثالثة عشرة من الهجرة، وفي رمضان كانت معركة "البويب".

" كانت بين المسلمين والفرس وكان النصر فيها للمسلمين، فيقال: إنه قتل منهم يومئذ وغرق خلق كثير ولله الحمد والمنة. وجرت أمور يطول ذكرها وكانت هذه الواقعة بالعراق نظير اليرموك بالشام. البداية والنهاية (٣٦/٧).

١٠- فتح النوبة في رمضان سنة ٣١هـ.

بقيادة عبد الله بن أبي سرح على إثر نقضهم للعهد الذي كان بينهم وبين المسلمين منذ ولاية عمرو بن العاص رضي الله عنه. (عقد الجمان: ١٤).

١١- في رمضان سنة ٦٧ قتل المختار الثقفي على يد مصعب بن الزبير والي البصرة ولقد كانت فتنته عظيمة وقتل على يده خلق كثير؛ فأراح الله من شره. (كنز الدرر ١٤٨/٤).

١٢- وفي رمضان سنة ٩١ هجرية؛ بعث موسى بن نصير طريفًا البربري في أربعمائة رجل ومعهم مائة فرس، فسار في أربع سفائن، فخرج في جزيرة بالأندلس، فسميت جزيرة طريف لنزوله فيها، ثم أغار على الجزيرة الخضراء، فأصاب غنيمة كثيرة، ورجع سالمًا فلمّا رأى الناس ذلك تسرّعوا إلى الغزو." (الكامل في التاريخ: ٣٩/٤).

١٣- فتح الأندلس في رمضان سنة ٩١ هـ؛ على يد طارق بن زياد. (البيان المغرب: ٥/٢).

١٤- وفي رمضان سنة ٢٢٣ هـ فتح عمورية على يد المعتصم؛ نصرة لعباد الله الذين أوقع الملك توفيل بن ميخائيل بأهل سلطته من المسلمين ملحمة عظيمة، قتل فيها خلقا كثيرًا من المسلمين، وأسر ما لا يحصون كثرة، وكان من جملة من أسر ألف امرأة من المسلمات ومثل بمن وقع في أسره من المسلمين فقطع آذانهم وأنوفهم وسمل أعينهم-قبحه الله-.

ولما بلغ ذلك المعتصم انزعج لذلك جدا وصرخ في قصره بالنفير، ثم نهض له من فوره؛ فلم يدركه؛ فقال للأمراء أي بلاد الروم أمنع؟ فقالوا: عمورية لم يعرض لها أحد منذ كان الإسلام وهي عندهم أشرف من القسطنطينية" فعزم على فتحها.

رب وامعتصماه انطلقت

ملء أفواه الصبايا اليتم

صادفت أسماعنا لكنها

لم تصادف نخوة المعتصم

البداية والنهاية (٣١٤/١٠).

١٥- وفي سنة ٦٦٤ هـ رابع عشر رمضان، ملك المسلمون سرقوسة، وهي من أعظم مُدُن صقلية. (الكامل ٣٥٦/٦).

١٦- وفي شهر رمضان (٥٥٩هـ) فتح نور الدين محمود بن زنكي قلعة حارم من الفرنج. (الكامل: ٣٠٨/٩).

١٧- وفي رمضان سنة ٥٨٤ هـ كان فتح الكرك وصفد؛ بقيادة صلاح الدين الأيوبي. (الكامل ٥٩/١٠)، و(الأنس الجليل ٣٥٥/١).

١٨- وفي يوم الجمعة ٢٥ رمضان سنة ٦٥٨ هـ كانت وقعة "عين جالوت"،

وكان من حديثها، أنه لما اجتمعت العساكر الإسلامية بمصر، عزم الملك المظفر قطز على الخروج إلى الشام لقتال التتر، وسار من مصر بالعساكر الإسلامية، وكان مسيره من الديار المصرية في أوائل رمضان من هذه السنة، ولما بلغ كتبغا، مسير العساكر الإسلامية إليه، صحبة

Upload by: altawhedmag.com

الملك المظفر قطز، جمع من في الشام من التتر وسار إلى لقاء المسلمين، وتقارب الجمعان، والتقوا يوم الجمعة المذكور، فانهزمت التتر هزيمة قبيحة وأخذتهم سيوف المسلمين، وقتل مقدمهم كتبغا، واستؤسر ابنه، وتعلق من سلم من التتر برؤوس الجبال، وتبعتهم المسلمون فأفنوهم، وهرب من سلم منهم إلى الشرق، وجرد قطز ركن الدين بيبرس البندقداري في إثرهم، فتبعتهم المسلمون إلى أطراف البلاد الشرقية. المختصر في أخبار البشر (٢٠٥/٣).

١٩- وفي رمضان سنة ٦٦٦ كان فتح أنطاكية من بلاد الشام على يد القائد المسلم المظفر قاهر المغول والصليبيين الظاهر بيبرس -رحمه الله- . المختصر (٤/٤).

٢٠- وفي يوم السبت ٢ رمضان سنة ٧٠٢ هـ كانت "معركة شقحب" أو معركة "مرج الصُّفر"، حيث رغب قازان حفيد هولاكو في تحطيم سلطان المسلمين في مصر واسترداد الأرض المقدسة وتسليمها إلى النصارى؛ فقام العلماء وعلى رأسهم ابن تيمية مع الأمراء واشترك فيها الخليفة المستكفي بالله والسلطان الناصر محمد بن قلاوون... والتحم القتال وثبت السلطان ابن قلاوون ثباتًا عظيمًا وكاد التتار يتغلبون على المسلمين في بادئ الأمر ولكن الله سلم ومكن منهم جنده وعبيده. (الدرر الكامنة ٢٦١/٤-٢٦٥، والبداية والنهاية ٢٩/١٤).

٢١- وفي رمضان سنة ٨٢٩ هـ كان فتح جزيرة قبرص

وهو الفتح الثاني لها في عهد السلطان المملوكي الأشرف برسباي ومن عجيب ما حدث فيها ازدحام الناس على الخروج في الغزو حيث عظم ازدحام الناس على كُتاب المماليك؛ ليكتبوهم في جملة المجاهدين في المراكب المعينة، حتى إنه سافر في هذه الغزوة عددٌ من أعيان الفقهاء، ولما أن صار السلطان لا يُنعم لأحد بالتوجه بعد أن استكفت العساكر، سافر جماعة من غير إذن، وأعجبُ من هذا، أنه كان الرجل ينظر في وجه المسافر للجهاد يعرفه قبل أن يسأله لما بوجهه من السرور والبشر الظاهر بفرحه للسفر، وبعكس ذلك فيمن لم يعينّ للجهاد، هذا مع كثرة من تعين للسفر من المماليك السلطانية وغيرهم. وما أرى هذا إلا أنّ الله تعالى قد شرح صدورهم للجهاد وحببهم في الغزو وقتال العدو ليقضي الله أمرًا كان مفعولاً. ولم أنظر ذلك في غزوة من الغزوات قبلها ولا بعدها".

٢٢- وفي رمضان (٧٩١) فتح اليوسنة والهرسك سنة ٧٩١ هـ "معركة قوص أوه":

في عهد السلطان مراد الأول بن السلطان أورخان الغازي. (من معارك المسلمين في رمضان ٨١-٨٤).

٢٣- وفي سنة ٨٢٧ هـ ٢٥ رمضان فتح بلغراد عاصمة المجر على يد السلطان العثماني سليمان القانوني. (القانوني القائد: ٢٨).

٢٤- وفي العاشر من رمضان سنة ١٣٩٣ هـ كانت حرب العاشر من رمضان السادس من أكتوبر ١٩٧٣ فكان النصر على اليهود، حيث منّ الله على عباده وجنوده المؤمنين في مصر بهزيمة اليهود في العاشر من رمضان وعبر المسلمون القناة وحطموا خط بارليف وعلا التكبير في كل مكان من أرض المعركة وأذل المسلمون اليهود في هذه الحرب فالنصر حليف الإيمان والطاعة.

دارت على سيناء معركة الوغى
فوق السهول وفي رُبَى وبطاح
وكتائب الإيمان تهتف كلها
الله أكبر فوق كل سلاح
لتدك بارليف المنيع بقوة
طب الجراح بمبضع الجرّاح
الله أكبر زلزلت أركانهم
وكأنما يشدو بها ابن رباح

واليوم يعود اليهود يفعلون بالمسلمين الأفاعيل في رمضان وفي غيره فيالها من مفارقة عجيبة على حد قول من قال: وكنا عظاما فصرنا عظاما... وكنا نقوت فها نحن قوت. (نداء الريان: ٤٢٢/١)

فنسأل الله أن يعيد لهذه الأمة مجدها وعزها ونصرها إنه ولي ذلك ومولاه وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

Upload by: altawhedmag.com

غزوة بدر

إعداد د/ سيد عبد العال

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد: فنكمل ما سبق من أحداث غزوة بدر الكبرى، وقد ذكرنا في العدد السابق ما كان من عتبة بن ربيعة ومحاولته إقناع المشركين بالتراجع عن الحرب ولكنه فشل في ذلك بل حمي للقتال! جراء اثارة أبي جهل له! فماذا قال له؟

بداية القتال بالمبارزة

لقد نجح أبو جهل في استثارة عتبة بن ربيعة للقتال عن طريق اتهامه بالجبن والخوف من القتال: فحمي ورد عليه قائلا إياي تعير يا مصفر استه ستعلم غدًا من الجبان..

كما في حديث عليٍّ، أن عتبة كان ينهى عن القتال ويقول لهم: يا قوم: اعصبوها اليوم برأسي، وقولوا: جبن عتبة، وقد علمتم أني لست بأجبنكم. قال: فسمع ذلك أبو جهل، فقال: أنت تقول هذا؟ والله لو غيرك يقول هذا لأعضضته، قد ملأ رئتك جوفك رعبا فقال عتبة: إياي تعير يا مصفر استه؟ ستعلم اليوم أينا الجبان. قال: فبرز عتبة وأخوه شيبة وابنه الوليد حمية. فقالوا: من يبارز؟ فخرج فتية من الأنصار ستة. فقال عتبة: لا نريد هؤلاء، ولكن يبارزنا من بني عمنا. من بني عبد المطلب. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " قم يا علي، وقم يا حمزة، وقم يا عبيدة بن الحارث بن المطلب " فقتل الله تعالى عتبة، وشيبة، ابني ربيعة، والوليد بن عتبة، وجرح عبيدة. اهـ مسند الإمام أحمد بسند صحيح (٩٤٨).

فحمي عند ذلك عتبة بن ربيعة، وأراد أن يظهر شجاعته، فبرز بين أخيه شيبة وابنه الوليد، فلما توسطوا بين الصفين دعوا إلى البراز، فخرج إليهم فتيه من الأنصار ثلاثة، فقالوا: من أنتم؟ قالوا رهط من الأنصار.

فقالوا: ما لنا بكم حاجة.

أخرجوا إلينا أكفاءنا من قومنا.

فقال النبي صلى الله عليه وسلم: " قم يا عبيدة وقم يا حمزة، وقم يا علي ".

فبارز عبيدة، وكان أسن القوم، عتبة، وبارز حمزة شيبة، وبارز علي الوليد بن عتبة.

فأما حمزة: فلم يمهل شيبة أن قتله، وأما علي فلم يمهل

Upload by: altawhedmag.com

الوليد أن قتله، واختلف عُبيدة وعتبة بينهما بضربتين، كلاهما أثبت صاحبه، وكر حمزة وعلي بأسيافهما على عُتبة؛ فقتلاه، واحتملا صاحبهما فحازاه إلى أصحابهما رضي الله عنهم. سيرة ابن كثير (٤١٦/٢)

وعن ابن عباس أن عُتبة بن ربيعة قتل عُبيدة بن الحارث مُبارزة، ضربه عُتبة على ساقه فقطعها، "فحملهُ رسُولُ اللَّه صلى اللهُ عليه وسلم فمات بالصفراء مُنصرفهُ من بدر فدفنهُ هنالك" رواه الحاكم في المستدرك (٤٨٦٢)، ثم قال: هذا حديثٌ صحيحُ الإسناد، ولم يُخرّجاه.

وأصل القصة في البخاري عن عليّ رضي اللَّه عنه، أنه قال: "أنا أوّل من يجثو بين يدي الرحمن للخصومة يوم القيامة" وقال قيس بن عُباد: وفيهم أُنزلت: ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾ (الحج: ١٩) قال: "هُمُ الذين تبارزوا يوم بدر: حمزة...الخ" البخاري (٣٩٦٥).

وفي قصة المبارزة فوائد منها ما يلي

١- وقوله: "لأعضضته"، أي: قلتُ له: اعضض هن أبيك (أي: فرجه).

٢- وقوله: "يا مُصفر استه". إذا صبغه بالصفرة، و"الاست": هو الدبر. وهي كلمة ذم تقال للرجل المترف الذي يؤثر الراحة. وسادةُ العرب لا تستعمل الخلوق والطيب إلا في الدعة والخفض وتعيبُه في الحرب أشدّ العيب ويبدو أنه لما سلمتْ العيرُ وأراد أن تعرف عليه القيان بها استعمل الطيب، فلذلك قال له عُتبة هذه المقالة... وقولُه مُصفر استه إنما أراد مُصفر بدنه ولكنه قصد المبالغة في الذم فخص منه بالذكر ما يسوءهُ أن يذكر. الروض الأنف (٨١/٥).

٣- وعُبيدة- بضم العين- بن الحارث بن عبد المطلب، وكان أسن من رسول الله، صلى الله عليه وسلم بعشر سنين، وكان له قدر ومنزلة عند رسول الله، صلى الله عليه وسلم. وقيل اسمه: أبو عُبيدة- بن الحارث" والصحيح: "عُبيدة" عمدة القاري (١٢٤/١٧)، ومطالع الأنوار (٩٧/٥).

٤- فيه إباحة المبارزة في جهاد الكفار، ولم يختلفوا في جوازها إذا أذن الإمام، واختلفوا فيها إذا لم يكن عن إذنٍ من الإمام، فجوزها جماعة؛ ومنعها آخرون. شرح السنة للبغوي (٦٧/١١).

وفي الحديث ما يفيد جوازها بإذن الإمام وبغير إذنه. وذلك أن مبارزة حمزة وعلي رضي الله عنهما كانت بإذن النبي صلى الله عليه وسلم ولم يذكر فيه إذن من النبي صلى الله عليه وسلم للأنصاريين الذين خرجوا إلى عتبة وشيبة قبل على وحمزة ولا إنكار من النبي صلى الله عليه وسلم عليهم في ذلك. معالم السنن (٢٧٩/٢).

٥- وفيه دليلٌ على أن معونة المبارز جائزة إذا ضعُف، أو عجز عن قرنه، وبه قال الشافعي، وأحمد، وإسحاق. ووجه الجواز: أنهم قد رضوا بتعاونهم؛ فهم كجماعة الجيش تلقى جماعة جيش آخر فلا بأس بتعاونهم. المنتقى للباجي (١٩٠/٣).

٦- قال ابن هبيرة: في هذا الحديث من الفقه أن عليًا وحمزة وعبيدة رضي الله عنهم كانوا أول من قاتل يوم بدر، وهو معنى قول علي: "أنا أول من يجثو للخصومة بين يدي الرحمن يوم القيامة". الإفصاح (٢٧٢/١).

٧- وفيه فضيلةٌ ظاهرةٌ لحمزة وعليّ وعُبيدة رضي اللَّه عنهم. فتح الباري (٢٩٨/٧).

٨- قال ابنُ القيم: تأمل أسماء الستة المتبارزين يوم بدر كيف اقتضى القدرُ مطابقة أسمائهم لأحوالهم يومئذ. فكان الكفار: شيبة، وعُتبة، والوليد، ثلاثة أسماء من الضعف، فالوليد له بداية الضعف، وشيبة له نهاية الضعف، كما قال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً﴾، وعُتبة من العتب، فدلت أسماؤهم على عتب يحل بهم، وضعف ينالهم وكان أقرانهم من المسلمين علي، وعبيدة، والحارث رضي اللَّه عنهم، ثلاثة أسماء تناسب أوصافهم وهي العلو، والعبودية، والسعي الذي هو الحرث. فعلوا عليهم بعبوديتهم وسعيهم في حرث الآخرة. "زاد المعاد (٣١٠/٢).

٩- وفي الحوار بين أبي جهل وعتبة أن أجواء الحروب والفتن تضيع فيها أصوات العقلاء وتذهب آراء المصلحين سدىً.

النبي القائد (٤/٧٩).

الزحف العام والتقاء الصفين

واستشاط الكفار غضبًا للبداية السيئة التي صادفتهم ثُمَّ تزاحف الناس، ودنا بعضهم من بعض. وشدَّ الكفارُ على المسلمين. ونشبت الحرب،

Upload by: altawhedmag.com

فَرُمِيَ مِهْجَعٌ، مَوْلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ-رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- بِسَهْمٍ فَقَتَلَهُ، فَكَانَ أَوَّلَ قَتِيلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ. ابن هشام (٢/٢٣٩).

ثُمَّ رُمِيَ حَارِثَةُ بْنُ سُرَاقَةَ-رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- وَكَانَ فِي النَّظَّارَةِ- وَهُوَ يَشْرَبُ مِنَ الْحَوْضِ، بِسَهْمٍ غَرْبٍ فَأَصَابَ نَحْرَهُ؛ فَقَتَلَهُ؛ فَكَانَ أَوَّلَ قَتِيلٍ مِنَ الأَنْصَارِ. وجاءت أمه تقول: يَا نَبِيَّ اللَّهِ أَلاَ تُحَدِّثُنِي عَنْ حَارِثَةَ؛ فَإِنْ كَانَ فِي الْجَنَّةِ صَبَرْتُ، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ اجْتَهَدْتُ عَلَيْهِ فِي الْبُكَاءِ. فَقَالَ صلى الله عليه وسلم: "يَا أُمَّ حَارِثَةَ، إِنَّهَا جِنَانٌ فِي الْجَنَّةِ، وَإِنَّ ابْنَكِ أَصَابَ الْفِرْدَوْسَ الأَعْلَى". وكان ذلك قبل تحريم النَّوح. الفتح (٦/١٠٨).

قال ابن كثير: وفي هذا تنبيهٌ عظيمٌ على فضل أهل بدر، فإن هذا الذي لم يكن في بحبوحة القتال، ولا في حومة الوغى، بل كان من النظارة من بعيد، وإنما أصابه سهم غرب، وهو يشرب من الحوض، ومع هذا أصاب بهذا الموقف الفردوس الأعلى التي هي أعلى الجنان، ومنه تُفجر أنهار الجنة التي أمر الشارع أمته إذا سألوا الله الجنة أن يسألوه إياها، فإذا كان هذا حال هذا، فما ظنك بمن كان واقفا في نحر العدو، وعدوهم على ثلاثة أضعافهم عددا، وعددا. البداية والنهاية (٣/٣٤٨).

وأمام هذا الهجوم العام من المشركين كان النبي صلى الله عليه وسلم يدير الأمر في عدة اتجاهات:

الأول: المنهجية التي سلكها في القتال وقد سبق ذكرها قبل ذلك ومنها قوله: "إن اكْتَنَفُوكُمْ فَانْضَحُوهُمْ بِالنَّبْلِ".

الثاني: التحريض على القتال بالتذكير بالجنة، حيث وعد من يقتل صابرًا محتسبًا بأن له الجنة" وقال: "قُومُوا إِلَى جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ" صحيح مسلم (١٩٠١).

وقد أثر هذا التحريض في الصحابة تأثيرًا عظيمًا بدا على إثره بطولات نادرة كما سيأتي.

الثالث: الاجتهاد الدعاء:

وهنا موقف من المواقف التي اجتهد فيها النبي صلى الله عليه وسلم في الدعاء كما في حديث عمر رضي الله عنه قال: لما كان يوم بدر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اللَّهُمَّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ إِنْ تَهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةُ مِنْ أَهْلِ الإِسْلاَمِ فَلاَ تُعْبَدْ بَعْدَ فِي الأَرْضِ أَبَدًا".

وها قد فزع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الله تعالى في إنابة نبيٍّ، وإلحاح عبدٍ، ودعاء مُضطرٍّ، وشفع لهذه العصابة في كلمات صريحة واضحة، هي خير تعريف لهذه الأمة، وبيان لمهمتها وغرضها الذي خُلقت له... وكان كما أخبر الله تعالى: «قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا».

وعَنْ عَلِيٍّ قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ قَاتَلْتُ شَيْئًا مِنْ قِتَالٍ، ثُمَّ جِئْتُ مُسْرِعًا؛ لأَنْظُرَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، ما فَعَلَ؟، فَجِئْتُ فَأَجِدُهُ وَهُوَ سَاجِدٌ يَقُولُ: "يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ"، لا يَزِيدُ عَلَيْهَا... فَلَمْ يَزَلْ يَقُولُ ذَلِكَ حَتَّى فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ. المستدرك (٨٠٩) وقال صحيح. وقال العفاني: وسنده حسن. اللؤلؤ المكنون (٢/٤٠٧).

الرابع: البشارة بالنصر؛ فمما زاد في نشاط المسلمين واندفاعهم في القتال سماعهم قول النبي صلى الله عليه وسلم: "سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ" سيرة الصلابي (٤١٠).

ومن البشارة الإخبار بمصارع المشركين يوم بدر

وقد ثبت إخباره عليه السلام بمواضع مصارع رءوس المشركين يوم بدر ومقتضى حديث ابن مسعود أنه أخبر بذلك يوم الوقعة، وهو مناسب، وفي الحديثين الآخرين عن أنس وعمر ما يدل على أنه أخبر بذلك قبل ذلك بيوم. ولا مانع من الجمع بين ذلك، بأن يخبر به قبل بيوم وأكثر، وأن يخبر به قبل ذلك بساعة يوم الوقعة. السيرة لابن كثير (٢/٤٢٠).

الخامس: النزول أرض المعركة وإظهار الشجاعة التي لا نظير لها

عَنْ عَلِيٍّ، قَالَ: لَقَدْ رَأَيْتُنَا يَوْمَ بَدْرٍ وَنَحْنُ نَلُوذُ بِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَهُوَ أَقْرَبُنَا إِلَى الْعَدُوِّ، وَكَانَ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ يَوْمَئِذٍ بَأْسًا. صحيح؛ رواه ابن أبي شيبة (٣٣٢٨١).

وهذا ما كان من رسول الله صلى الله عليه وسلم فماذا عن أبي جهل؟ وهو ما نذكره في العدد القادم إن شاء الله تعالى، وصلى الله على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، والحمد لله رب العالمين.

Upload by: altawhedmag.com

غزوة بدر

إعداد د/ سيد عبد العال

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد: فلا نزال نستمطر رحمة ربنا بمذاكرة سيرة نبينا صلى الله عليه وسلم. وما زلنا في ذكر أحداث العزة والكرامة من غزوة بدر الكبرى. وقد ذكرنا في المقال السابق ابتداء المعركة بالمبارزة الفردية، ثم الزحف العام والتقاء الصفين. وما كان من رسول الله صلى الله عليه وسلم من وضع الخطة العامة للقتال، والتضرع والدعاء، وكذلك بث روح الشجاعة والإقدام من خلال التبشير بالجنة.

وانتهى بنا الحديث إلى ذكر إقدامه صلى الله عليه وسلم في الحرب واقترابه من العدو أمام الصحابة رضي الله عنهم؛ ليسهل على نفوسهم التقدم والقتال، وقد افتخر بذلك علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال: "لَقَدْ رَأَيْتُنَا يَوْمَ بَدْرٍ وَنَحْنُ نَلُوذُ بِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَهُوَ أَقْرَبُنَا إِلَى الْعَدُوِّ، وَكَانَ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ يَوْمَئِذٍ بَأْسًا" (مسند أحمد ٦٥٤، وهو حديث صحيح).

وعن عليٍّ رضي الله عنه قال: "كُنَّا إِذَا حمي الْبَأْسُ... وفي رواية " إِذَا احمرَّ الْبَأْسُ" وَلَقِيَ الْقَوْمُ اتَّقَيْنَا بِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم" (مسند أحمد ١٣٤٧، وصححه الحاكم والذهبي المستدرك ٢٦٦٩).

وقال البراء: "كُنَّا -واللَّهِ- إِذَا احْمَرَّ الْبَأْسُ نَتَّقِي بِهِ صلى الله عليه وسلم، وَإِنَّ الشُّجَاعَ مِنَّا لَلَّذِي يُحَاذِي بِهِ، يَعْنِي النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم" (صحيح مسلم: ١٧٧٦).

قوله: "كُنَّا إِذَا احْمَرَّ الْبَأْسُ" كناية عن شدة الحرب، إما لحمرة دم الجرحى والقتلى، وإما لتشبيه ذلك بحمرة جمرة النار. و"البأس: الحرب. (المفهم: ٣/ ٦٢٠).

قوله: "نتقي برسول الله صلى الله عليه وسلم": أي: نجعله أمامنا، أو يكون هو قدامنا لشجاعته وإقدامه حتى كأنه وقاية لنا، أو كشيء نتقي به ونتحصن، ولم يرد أنهم كانوا يفعلون به ذلك، لكن لما كان هو يتقدم من عند نفسه كان كمن قصد ذلك. (مطالع الأنوار ٢/ ٣٠).

وفيه: بيان شجاعته صلى الله عليه وسلم ولنا فيه الأسوة الحسنة وحياته صلى الله عليه وسلم حافلة بالمواقف الرائعة المليئة بالشجاعة والإقدام وهي دالة على أنه صلى الله عليه وسلم كان أشجع الناس: ومنها حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال: "كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحْسَنَ النَّاسِ، وَكَانَ أَجْوَدَ النَّاسِ، وَكَانَ أَشْجَعَ النَّاسِ؛ وَلَقَدْ فَزِعَ أَهْلُ المدينة لَيْلَةً، فَخَرَجُوا

Upload by: altawhedmag.com

نحو الصوت، فاستقبلهم النبيُّ صلى الله عليه وسلم راجعًا، وقد استبرأ الخبر؛ (سبقهم إلى الصوت)، وهو على فرس لأبي طلحة عُرْي، وفي عُنقه السيف، وهو يقول: «لم تُراعوا، لم تُراعوا» (البخاري ٢٩٠٨، ومسلم ٢٣٠٧).

فقوله: "فزع أهل المدينة" أي: ذعروا من عدوٍّ دهمهم، وقوله "لم تُراعوا" أي: روعًا مُستقرًا، أو روعًا يضركم.. وفيه: بيان شجاعته صلى الله عليه وسلم من شدة عجلته في الخروج إلى العدو قبل الناس كلهم بحيث كشف الحال ورجع قبل وصول الناس. (شرح النووي ١٥/٦٨، والمفهم ٦/٩٩).

ولا شك أن شجاعة النبي صلى الله عليه وسلم العالية تتجسد في مواجهته للمشركين بأمر تنكره عقولهم القاصرة ولا تدركه في أول الأمر تصوراتهم، ولم يمنعه من الجهر به الخوف من مواجهتهم، وتلقي نكيرهم واستهزائهم، فضرب بذلك صلى الله عليه وسلم لأمته أروع الأمثلة في الجهر بالحق أمام أهل الباطل. وان تحزبوا ضد الحق وجندوا لحربه كل ما في وسعهم؛ فبلغهم أصعب الأمور على العقل كالإسراء والمعراج وأقام عليهم الحجة في ذلك، وهكذا ينبغي للدعاة والقادة أن يتأسوا برسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الشجاعة حربًا وسلمًا ودعوة إلى الله عز وجل. (الخلاصة في الشمائل المحمدية: ١٨٦).

أما أبو جهل: فنزل المعركة، وهو يدعو -أيضًا- ويستفتح ويسأل الله أن ينصر أحب الدينين إليه!

كما في حديث عبد الله بن ثعلبة بن صُعير، أن أبا جهل قال: حين التقى القوم: "اللهم أقطعنا الرحم، وأتانا بما لا يُعرف فأحنه الغداة: فكان المستفتح" (مسند أحمد ٢٣٦٦١، وسنده حسن والحديث صحيح).

وزاد ابن أبي شيبة "فنزلت هذه الآية: «إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح وإن تنتهوا فهو خير لكم» (الأنفال: ١٩) الآية" (المصنف: ٣٧٨٢٩).

وهذه صلابة في الباطل في صورة عجيبة يظهر فيها أبو جهل - متجاهلاً الحقيقة التي يعلمها- أنه واثق من صحة دينه، وأنه على الحق مع كونه أشبه بمن قال الله فيهم «وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلمًا وعلوًا»، ولكنه مع هذا أشار إشارة صريحة أو قريبت من خلال دعوته إلى أنه خاضع لربوبية الله وإن جحد، وأنكر توحيده في العبادة في السعة فلما جاء الضيق وحد في العبادة؛ لأنهم لا يوحدون في الدعاء إلا إذا شعروا بالضيق واليأس من آلهتهم: فدلت هذه الدعوة على اعترافه ببطلان نفعها فيا ليت أصحاب الاستغاثة بالقبور والأولياء والأئمة في السعة والضيق يدركون أنهم فاقوا في الشرك والجهل بالله أبا جهل.

وأفادنا الموقف أن الخصومة بين النبي صلى الله عليه وسلم لم تكن في توحيد الربوبية وانما كانت في توحيد العبادة؛ لأنه مدرك لا محالة: أنه لا يملك النصر إلا الله، وهذا ما زحزحه عن الشرك في الدعاء هذه اللحظة... (وانظر: غربة الإسلام ١/٢١٣).

وأما الآية ففيها قوله: "إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح" والخطاب للكفار في أصح القولين ويدل له هذا الحديث... (تفسير ابن كثير ٤/٢٨).

الاستفتاح يعني: طلب النصر والحكم والقضاء:

قال ابن كثير: يقول تعالى للكفار: إن تستفتحوا أي تستنصروا وتستقضوا الله وتستحكموه أن يفصل بينكم وبين أعدائكم المؤمنين؛ فقد جاءكم ما سألتم. (تفسير ابن كثير: ٤/٢٨).

وقوله: «وإن تنتهوا» أي عما أنتم فيه من الكفر بالله والتكذيب لرسوله «فهو خيرٌ لكم» أي في الدنيا والآخرة. وقوله تعالى: «وإن تعودوا نعد». كقوله: «وإن عدتم عدنا»، معناه وإن عدتم إلى ما كنتم فيه من الكفر والضلالة نعد لكم بمثل هذه الواقعة. وقال السُّدِّيُّ: «وإن تعودوا» أي إلى الاستفتاح «نعد» أي إلى الفتح لمحمد صلى الله عليه وسلم والنصر له وتظفيره على أعدائه.

«ولن تغني عنكم فئتكم شيئا ولو كثرت» أي ولو جمعتم من الجموع ما عسى أن تجمعوا، فإن من كان الله معه فلا غالب له. «وأن الله مع المؤمنين» وهم الحزب النبوي والجناب

Upload by: altawhedmag.com

المصطفوي. (مختصر تفسير ابن كثير: ٢/٩٤).

- ومنها أنه المعية المذكورة في قوله: "وأنّ الله مع المؤمنين" هي المعية الخاصة: معية التوفيق والإلهام والتسديد...ومن كان الله معه: فهو المنصور وإن كان ضعيفًا قليلاً عدده، وهذه المعية التي أخبر الله أنه يؤيد بها المؤمنين، تكون بحسب ما قاموا به من أعمال الإيمان.

فإذا أديل العدو على المؤمنين في بعض الأوقات، فليس ذلك إلا تفريطًا من المؤمنين وعدم قيام بواجب الإيمان ومقتضاه، والا فلو قاموا بما أمر الله به من كل وجه، لما انهزم لهم راية انهزامًا مستقرًا ولا أديل عليهم عدوهم أبدًا. (تفسير السعدي: ٣١٧).

نزول الملائكة:

ثم إنه تعالى أيد المؤمنين تأييدًا لم يتوقعه أبو جهل ولا ومن معه فما هو؟ إنها الملائكة التي نزلت تقاتل في صف المسلمين! فيالها من نصرة عقدية ونفسية في مقابل هزيمة أبي جهل العقدية والنفسية التي سبقت الإشارة إليها من خلال دعوته التي قام بها حال نزوله أرض المعركة قال البخاري: "باب قول الله تعالى: إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين. وما جعله الله إلا بشرى ولتطمئن به قلوبكم وما النصر إلا من عند الله إن الله عزيز حكيم... ثم قال: إذ يوحي ربك إلى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب: فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان.

فقوله: "إذ يوحي ربك إلى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا".

هذه نعمة خفية أظهرها الله تعالى لهم، ليشكروه عليها، وهو أنه-تعالى وتقدس وتبارك وتمجد-أوحى إلى الملائكة الذين أنزلهم لنصر نبيه ودينه وحزبه المؤمنين، يوحي إليهم فيما بينه وبينهم أن يثبتوا الذين آمنوا.

أي: بشروهم بالنصر أو القتال معهم أو الحضور معهم من غير قتال، فتكثروا سوادهم. وسيأتي في الأحاديث: أن الملائكة قاتلت ذلك اليوم: فكانوا يرون رءوسا تندر عن الأعناق من غير ضارب يرونه.

وقوله: "سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب" أي: ثبتوا أنتم المسلمين وقووا أنفسهم على أعدائهم، عن أمري لكم بذلك، سألقي الرعب والمذلة والصغار على من خالف أمري، وكذب رسولي "فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان" أي: اضربوا الهام ففلقوها، واحتزوا الرقاب فقطعوها، وقطعوا الأطراف منهم، وهي أيديهم وأرجلهم. (تفسير ابن كثير ٤/٢٥).

وعن ابن عباس، قال: بينما رجل من المسلمين يومئذ يشتد في أثر رجل من المشركين أمامه، إذ سمع ضربة بالسوط فوقه وصوت الفارس يقول: أقدم حيزوم: فنظر إلى المشرك أمامه فخر مستلقيا: فنظر إليه: فإذا هو قد خطم أنفه، وشق وجهه، كضربة السوط: فاخضر ذلك أجمع: فجاء الأنصاري، فحدث بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: "صدقت. ذلك من مدد السماء الثالثة". (صحيح مسلم ١٧٦٣).

وهذه النصوص تفيدنا: أن الملائكة نزلت نزولاً حقيقيا يوم بدر وأنها قاتلت... ثم ساق الله لنا بشارة عظيمة في قوله "ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاقق الله ورسوله فإن الله شديد العقاب".

فبين لنا سبب هزيمة هؤلاء وهو أنهم شاقوا الله ورسوله صلى الله عليه وسلم فكان هذا في الدنيا وأما في الآخرة فلهم عذاب النار وهذه علة تعم كل جيل في كل مكان كما أن معية الله مع المؤمنين في كل جيل أو مكان: فوعد الله قائم وشرط الله معروف فمن أراد الوعد فليقم بالشرط...

وهنا يلوح سؤال يقول: ما الحكمة في نزول الملائكة بهذا العدد مع أن جبريل قادر على هزيمتهم بطرف جناحه؟

وهذا ما نجيب في العدد القادم إن شاء الله، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

Upload by: altawhedmag.com

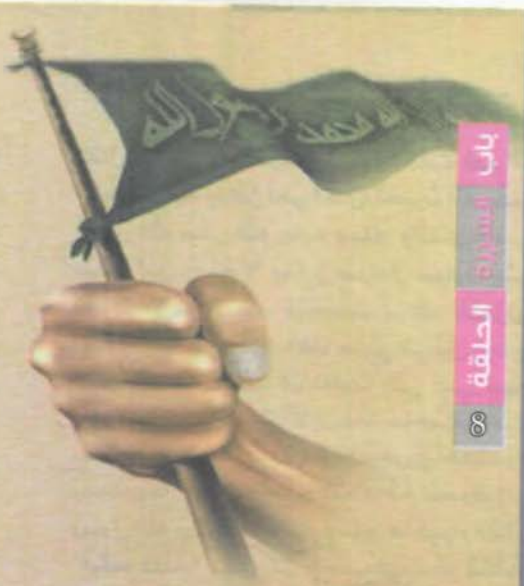

غزوة بدر

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد: فلا نزال نذكر أحداث غزوة بدر الكبرى، وقد ذكرنا في المقال السابق نزول الملائكة وأنها قاتلت مع المسلمين!

إعداد: د/ سيد عبد العال

فكم كان عدد الملائكة يومئذ؟

والجواب: قد ذكر الله هذا العدد في موضعين من كتابه:

الأول: في سورة الأنفال وهو قوله تعالى: "إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ" (الأنفال: ٩)، وهذا يعني: أن العدد كان ألفًا.

الثاني: في سورة آل عمران وهو قوله تعالى: "إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ (١٢٤) بَلَىٰ إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ" (آل عمران: ١٢٤، ١٢٥).

وهذا يعني: أن العدد انتهى إلى خمسة آلاف.

واختلف المفسرون في هذا الوعد: هل كان يوم بدر أو يوم أحد؟ على قولين:

أصحهما: أنه كان في يوم بدر وهو اختيار الطبري والبخاري في صحيحه...

قال ابن حجر: وعليه عمل المصنف وهو قول الأكثر. فتح الباري (٧/٢٨٥).

فإن قيل: فما الجمع بين هذه الآيتين؟

فالجواب: أن التنصيص على الألف لا ينافي الثلاثة الآلاف فما فوقها؛ لقوله: "مُردفين" بمعنى يردفهم غيرهم ويتبعهم ألوف أخر مثلهم. ابن كثير (٢/١١٠).

ووجه آخر حاصله: أنهم لما استغاثوا، أمدهم بتمام ثلاثة آلاف، ثم أمدهم بتمام خمسة آلاف لما صبروا واتقوا، فكان هذا التدريج ومتابعة الإمداد أحسن موقعا، وأقوى لنفوسهم، وأسر لها من أن يأتي به مرة واحدة، وهو بمنزلة متابعة الوحي ونزوله مرة بعد مرة. زاد المعاد (٣/١٥٩)

وقال ابن حجر: وعن الربيع بن أنس قال: أمد الله المسلمين يوم بدر بألف ثم زادهم فصاروا ثلاثة آلاف ثم زادهم فصاروا خمسة آلاف وكأنه جمع بذلك بين آيتي آل عمران والأنفال. فتح الباري (٧/٢٨٥).

وقد اختلف العلماء هل وقع الإمداد بما يزيد عن الألف أم لا؟

واختار الطبري أن الآية ليس فيها دلالة على

Upload by: altawhedmag.com

وقوع الإمداد ولا على عدم وقوعه وانما فيها الوعد بذلك فقط، ويجوز أن يكون الله أمدهم، ويجوز أن يكون لم يمدهم، ولم يصح خبر يثبت أنهم أمدوا بالثلاثة الآلاف ولا بالخمسة الآلاف، ولا نقول في ذلك إلا بخبر تقوم الحجة به.

غير أنّ في القرآن دلالة على أنهم قد أمدوا يوم بدر بألف من الملائكة، وذلك قوله: "فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ"

فإن قيل: ما الفائدة من هذا العدد الكثير مع أن جبريل قادر على هزيمتهم ببعض جناحه؟

فالجواب: أن ذلك وقع لإرادة أن يكون الفعل للنبيّ صلى الله عليه وسلم وأصحابه وتكون الملائكة مددًا على عادة مدد الجيوش رعاية لصورة الأسباب وسُنّتها التي أجراها الله تعالى في عباده وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم. والله أعلم. فتح الباري (٣١٣/٧).

قال الغزالي: ووهت صفوف المشركين تحت مطارق هذا الإيمان الزاهد في متاع الحياة الدنيا...

وصاح النبيّ صلى الله عليه وسلم وهو يرى كبرياء الكفر تمرّغ في التراب: "شاهت الوجوه" فانهزمت قريش. فقه السيرة للغزالي (٢٣٥).

وعن حكيم بن حزام قال: لما كان يوم بدر أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذ كفًا من الحصى فاستقبلنا به فرمى بها وقال: "شاهت الوجوه" فانهزمنا فأنزل الله عز وجل: «وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى» وقال الهيثمي: رواه الطبراني وإسناده حسن. مجمع الزوائد (٩٩٩٨).

مقتل أبي جهل:

وبينما أبو جهل يحاول -عبثًا- أن يوقف سيل الهزيمة النازل بقومه، ويحيط به جنوده وهم يقولون: أبو الحكم لا يخلص إليه؛ إذ يتسلل إليه فتيان ممن يغار على دينه وعلى نبيه صلى الله عليه وسلم في ثبات إيماني لا نظير له، وها هو عبد الرحمن بن عوف يروي لنا هذا المشهد العجيب:

يقول عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه: بَيْنَا أنَا واقفٌ في الصَّفِّ يومَ بدرٍ، فنظرتُ عن يميني وعن شمالي، فإذا أنا بغلامَيْنِ من الأنصار- حديثةٍ أسنانُهما، (فكأني لم آمَنْ بمكانهما)، تمنَّيتُ أنْ أكون بيْنَ أضلعَ منهما- فغمزني أحدُهما

فقال: يا عمّ هل تعرف أبا جهل؟ قلتُ: نعمْ، ما حاجتُك إليه يا ابْنَ أخي؟ قال: أُخبِرْتُ أنَّهُ يسُبُّ رسُولَ اللَّه صلى الله عليه وسلم، والَّذي نفْسي بيدِه، لئنْ رأيْتُهُ لا يُفارِقُ سوادي سوادَهُ حتَّى يمُوتَ الأعْجلُ منَّا، فتعجَّبْتُ لذلك، فغمزني الآخرُ، فقال لي مثْلَها، (فما سرَّني أنِّي بيْنَ رجُلَيْنِ مكانهُما) فلَمْ أنْشبْ أنْ نظرْتُ إلى أبي جهْلٍ يجُولُ في النَّاس، قُلتُ: ألا إنَّ هذا صاحبُكُما الَّذي سألْتُماني، (فشدَّا عليْه مثْلَ الصَّقْرَيْنِ) فابْتدراهُ بسيْفيْهِما، فضرباهُ حتَّى قتلاهُ، ثُمَّ انْصرفا إلى رسُولِ اللَّه صلى الله عليه وسلم، فأخْبراهُ فقال: "أيُّكُما قتلهُ؟"، قال كُلُّ واحدٍ منْهُما: أنا قتلْتُهُ، فقال: "هلْ مسحْتُما سيْفيْكُما؟"، قالا: لا، فنظر في السَّيْفيْنِ، فقال: "كلاكُما قتلهُ، سلبُهُ لمُعاذ بْنِ عمْرِو بْنِ الجمُوحِ"، وكانا مُعاذ ابْنَ عفْراء، ومُعاذ بْنَ عمْرِو بْنِ الجمُوحِ. صحيح البخاري (٣١٤١و٣٩٨٨).

ويأتي عبد الله بن مسعود- أحد رموز المستضعفين-؛ ليحرز هذه المنقبة: عَنْ أَنَسٍ رضي اللَّهُ عنْهُ، قال: قال النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم: "مَنْ يَنْظُرْ ما صنَعَ أبُو جهْلٍ". فانْطلقَ ابْنُ مسْعُودٍ فوجدهُ قدْ ضرَبهُ ابْنا عفْراء حتَّى برَدَ، قال: أأنْتَ، أبُو جهْلٍ؟ قال: فأخذَ بلحْيتِه، قال: وهلْ فوْقَ رجُلٍ قتلْتُموهُ، او رجُلٍ قتلهُ قوْمُهُ. البخاري (٣٩٦٢)، ورواه بنحوه عبد الله بن مسعود. البخاري (٣٩٦١).

وعنِ ابْنِ عبَّاسٍ قال: قال: مُعاذُ بْنُ عمْرِو بْنِ الْجَمُوحِ سمعْتُ الْقوْمَ وأبُو جهْلٍ في مثْلِ الْحرْجةِ- يعني الشجرة الملتفة التي لا يوصل إليها- وهُمْ يقُولُونَ: أبُو الْحكَمِ لا يُخلصُ إليْه، فلمَّا سمعْتُها جعلْتُهُ منْ شأني فصمدْتُ نحْوهُ، فلمَّا أمْكنَني حملْتُ عليْه؛ فضرَبْتُهُ ضرْبةً أطنَّتْ قدَمهُ بنصْفِ ساقِه.... قال وضرَبني ابْنُهُ عكْرمةُ على عاتقي فطرَحَ يدي فتعلَّقتْ بجلْدةٍ منْ جنْبي، وأجْهضَني الْقتالُ عنْهُ؛ فلقدْ قاتلْتُ عامَّةَ يوْمي وإنِّي لأسْحبُها خلْفي؛ فلمَّا آذتْني وضعْتُ عليْها قدَمي ثُمَّ تمطَّيْتُ بها عليْها حتَّى طرحْتُها... ثُمَّ مرَّ بأبي جهْلٍ- وهُو عقيرٌ- مُعوَّذُ بْنُ عفْراء؛ فضرَبهُ حتَّى أثْبتَّهُ، وتركهُ وبه رمقٌ، وقاتلَ مُعوَّذٌ حتَّى قُتلَ؛ فمرَّ ابْنُ مسْعُودٍ بأبي جهْلٍ حين أمر رسُولُ اللَّه صلى الله عليه وسلم بِهِ أنْ يُلْتمَس

Upload by: altawhedmag.com

مَعَ الْقَتْلَى قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ: فَأَدْرَكْتُهُ بِآخِرِ رَمَقٍ فَعَرَفْتُهُ؛ فَوَضَعْتُ رِجْلِي عَلَى عُنُقِهِ ثُمَّ قُلْتُ: هَلْ أَخْزَاكَ اللَّهُ يَا عَدُوَّ اللَّهِ؟ قَالَ: وَبِمَ أَخْزَانِي؟ أَعْمَدُ مِنْ رَجُلٍ قَتَلْتُمُوهُ أَخْبِرْنِي لِمَنِ الدَّائِرَةُ الْيَوْمَ. قُلْتُ: لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ.

- وَزَعَمَ رِجَالٌ مِنْ بَنِي مَخْزُومٍ: أَنَّ ابْنَ مَسْعُودٍ كَانَ يَقُولُ: قَالَ لِي: لَقَدِ ارْتَقَيْتَ يَا رُوَيْعِيَ الْغَنَمِ مُرْتَقًى صَعْبًا- قَالَ: ثُمَّ احْتَزَزْتُ رَأْسَهُ فَجِئْتُ بِهِ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، فَقُلْتُ: هَذَا رَأْسُ عَدُوِّ اللَّهِ أَبِي جَهْلٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "اللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ؟" وَكَانَتْ يَمِينَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم إِذَا حَلَفَ بِهَا، قَالَ: قُلْتُ: نَعَمْ، وَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ، ثُمَّ أَلْقَيْتُ رَأْسَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَحَمِدَ اللَّهَ.

قَالَ: سَأَلْتُ ابْنَ إِسْحَاقَ: مَا أَعْمَدُ مِنْ رَجُلٍ؟ قَالَ: يَقُولُ: هَلْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ قَتَلْتُمُوهُ. ابن هشام (٦٣٤/١)، ودلائل الأصبهاني (٤٢٢)، والبيهقي (٨٤/٣) عن ابن إسحاق به وإسناده صحيح.

الجمع بين الروايات السابقة:

قال ابن حجر: فَهَذَا الَّذِي رَوَاهُ ابْنُ إِسْحَاقَ يَجْمَعُ بَيْنَ الْأَحَادِيثِ لَكِنَّهُ يُخَالِفُ مَا فِي الصَّحِيحِ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ أَنَّهُ رَأَى مُعَاذًا وَمُعَوِّذًا شَدَّا عَلَيْهِ جَمِيعًا حَتَّى طَرَحَاهُ وَابْنُ إِسْحَاقَ يَقُولُ: إِنَّ ابْنَ عَفْرَاءَ هُوَ مُعَوِّذٌ وَهُوَ بِتَشْدِيدِ الْوَاوِ وَالَّذِي فِي الصَّحِيحِ مُعَاذٌ وَهُمَا أَخَوَانِ؟ فَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ مُعَاذُ بْنُ عَفْرَاءَ شَدَّ عَلَيْهِ مَعَ مُعَاذِ بْنِ عَمْرٍو كَمَا فِي الصَّحِيحِ وَضَرَبَهُ بَعْدَ ذَلِكَ مُعَوِّذٌ حَتَّى أَثْبَتَهُ ثُمَّ حَزَّ رَأْسَهُ ابْنُ مَسْعُودٍ؛ فَتَجْمَعُ الْأَقْوَالُ كُلُّهَا.

وَإِطْلَاقُ كَوْنِهِمَا قَتَلَاهُ مَحْمُولٌ عَلَى أَنَّهُمَا بَلَغَا بِهِ بِضَرْبِهِمَا إِيَّاهُ بِسَيْفَيْهِمَا مَنْزِلَةَ الْمَقْتُولِ حَتَّى لَمْ يَبْقَ بِهِ إِلَّا مِثْلُ حَرَكَةِ الْمَذْبُوحِ وَفِي تِلْكَ الْحَالَةِ لَقِيَهُ ابْنُ مَسْعُودٍ؛ فَضَرَبَ عُنُقَهُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ. الفتح (٢٩٦/٧).

ويتحصل من الروايات أن معاذ بن عمرو، ومعاذ بن عفراء ضرباه أول الأمر، ثم انشغلا عنه بالقتال، ثم ضربه معوذ؛ فتركه وبه رمق، ثم أجهز عليه ابن مسعود...

وفيه فوائد:

منها: المبادرة إلى الخيرات، والاشتياق إلى الفضائل.

ومنها: الغضب لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم.

ومنها: أنه ينبغي أن لا يُحتقر أحد ولو كان صغيرًا كما جرى لهذين الغلامين. شرح مسلم للنووي (٦٣/١٢).

ومنها: أهمية قتل رؤوس الكفر في الحرب، وأن الإمام يتولى متابعة ذلك بنفسه ويتثبت من الأخبار، خاصة الهامة والمصيرية منها، وإن استطاع أن يقف بنفسه على ذلك فحسن، وإلا اكتفى بشهادة العدول الثقات.

ومنها: وفيه جواز التهكم على الكافر والسخرية منه ومن باطله.

ومنها: وفيه جواز ذبح الكافر في الحرب وحز عنقه ما دام به حياة، غيظًا للكافرين وشفاءً لصدور المؤمنين.

ومنها: وفيه جواز استحلاف الصادق الثقة عند الشهادة ونقل الأخبار، وأن هذا ليس تكذيبًا له.

وفي قصة ابنا عفراء ما يفيد: أنه على المسلم أن يختار لولده المرأة والأم الصالحة التي تربي أولادها على الغيرة على دينهم والانتصار لنبيهم صلى الله عليه وسلم

وهذه المرأة هي: عفراء بنت عبيد بن ثعلبة بن سواد بن غنم، وكان من شأن أبنائها: أن من أول من أسلم من الأنصار أحد أبنائها... وكان لأولادها شرف استشهاد اثنين يوم الفرقان...

وقال ابن حجر: "وعفراء هذه لها خصيصة لا توجد لغيرها، وهي أنها تزوجت بعد الحارث: البكير بن ياليل الليثي، فولدت له أربعة: إياسًا وعاقلًا وخالدًا وعامرًا، وكلهم شهدوا بدرًا، وكذلك إخوتهم لأمهم بنو الحارث، فانتظم من هذا أنها امرأة صحابية لها سبعة أولاد شهدوا كلهم بدرًا مع النبي صلى الله عليه وسلم" النبي القائد (٥/١٠١)، والإصابة في تمييز الصحابة (٢٤٠/٨)، وسيرة ابن كثير (١٧٧).

وهذه صورة من صور البطولات النادرة التي برزت في غزوة بدر الكبرى فلنبق على موعد مع مواقف أخرى نبثها من أرض المعركة في العدد القادم بإذن الله تعالى..

والحمد لله رب العالمين.

Upload by: altawhedmag.com

غزوة بدر

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد: فقد انتهينا في العدد السابق إلى كسر الطاغوت المعروف بأبي جهل على يد فتية آمنوا بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم، ولا نزال في أرض المعركة نبث منها بعض المشاهد؛ لنجعلها قلادة في أعناقنا نتزين بها أمام أنفسنا قبل غيرنا، ونعتز بها أمام أعدائنا، ونربي على ذلك أبناءنا؛ لينشأ الجيل على خُطى الحبيب صلى الله عليه وسلم وأول التربية على ذلك رواية الحدث كما ورد، ثم استخلاص الدروس والعبر وها نحن ننقل ما تيسر من ذلك..

إعداد: د/ سيد عبد العال

عَنِ ابْنِ سِيرِينَ: أَنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا كَانَ يَوْمَ بَدْرٍ مَعَ الْمُشْرِكِينَ، فَلَمَّا أَسْلَمَ: قَالَ لأَبِيهِ: لَقَدْ أَهْدَفْتَ لِي يَوْمَ بَدْرٍ فَصَرَفْتُ عَنْكَ وَلَمْ أَقْتُلْكَ. فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لَكِنَّكَ لَوْ أَهْدَفْتَ لِي لَمْ أَنْصَرِفْ عَنْكَ. المجالسة وجواهر العلم (١٠٧٦). وإسناده صحيح إلى ابن سيرين.

وقوله أهدفت: أي: أشرفت وصرت هدفًا للرمي بالسهم.

قال الترمذي تعليقًا عليه: فكتب الله لأهل الولاية ولايتهم، وأيدهم بروح منه، ولا تأخذهم في الله لومة لائم، ولا حب ولد ولا والد، ولا أهل ولا مال تالد. نوادر الأصول (٣/ ٣٠٦).

وقد رسمت غزوة بدر لأجيال الأمة صورًا مشرقة في الولاء والبراء، وجعلت خطًا فاصلاً بين الحق والباطل، فكانت الفرقان النفسي والمادي بين الإسلام والكفر، وفيها تجسدت هذه المعاني، فعاشها الصحابة واقعًا ماديًا وحقيقة نفسية، وفيها تهاوت القيم الجاهلية؛ فالتقى الابن بأبيه والأخ بأخيه ومن ذلك ما يلي:

١- كان أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة في صف المسلمين، وكان أبوه عتبة وأخوه الوليد وعمه شيبة في صف المشركين، وقد قتلوا جميعًا في المبارزة الأولى.

٢- كان أبو بكر الصديق في صف المسلمين.. وكان ابنه عبد الرحمن في صف المشركين.

٣- كان مصعب بن عمير حامل لواء المسلمين، وكان أخوه أبو عزيز بن عمير في صف المشركين، ثم وقع أسيرًا في يد أحد الأنصار...

٤- كان شعار المسلمين في بدر "أحدٌ، أحدٌ" وهذا يعني: أن القتال في سبيل عقيدة تتمثل بالعبودية للإله الواحد؛ فلا العصبية ولا القبلية، ولا الأحقاد والضغائن، ولا الثأر هو الباعث والمحرك، ولكنه الإيمان بالله وحده.

ومن هذا المنطلق كانت صور الإيمان مختلفة المظاهر واحدة في مضمونها، وللإيمان فقه عظيم، ومن هذا الفقه أن من استطاع

Upload by: altawhedmag.com

الهجرة إلى المسلمين وجبت عليه، ومن لم يستطع؛ فهو معذور فحينما هاجر رسول الله- صلى الله عليه وسلم- إلى المدينة، هاجر إليها كل من استطاع ذلك من المسلمين في مكة، وحبس من كان مضطهدًا، ولم يستطع ذلك، فلما كان يوم بدر كان بعض هؤلاء في صف المشركين، منهم: عبد الله بن سهيل بن عمرو، والحارث بن زمعة بن الأسود، وأبو قيس بن الفاكه، وأبو قيس بن الوليد بن المغيرة وعلي بن أمية بن خلف، والعاص بن منبه.

فأما عبد الله بن سهيل بن عمرو؛ فقد انحاز من صف المشركين إلى رسول الله-صلى الله عليه وسلم- فشهد المعركة، وكان أحد الصحابة الذين نالوا هذا الشرف العظيم.

وأما الآخرون فلم يفعلوا ذلك، وشهدوا المعركة في صف المشركين وقد أصيبوا جميعًا؛ فقتلوا تحت راية الكفر، فنزل في حقهم قوله تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا» (النساء: ٩٧).

فلم يعذروا؛ إذ كانت إمكانات الانتقال إلى صف المؤمنين متوافرة، ولم يكن الفاصل كبيرًا بين الصفين، ولن يعدموا-لو أرادوا- الفرصة في الانتقال إلى رسول الله-صلى الله عليه وسلم- كما فعل عبد الله بن سهيل.

حقًا إن للإيمان مستلزمات تعبر عن صدقه وقوته، ومن مستلزماته استعلاؤه على كل القيم مما سواه، فإذا كان كذلك كان لأصحابه الأثر الفعال، والقوة الفاعلة في بناء الحق والخير الذي أراده الله...ولذا لم يعذر الذين كانوا في صف المشركين؛ لأن الإيمان الذي ادعوه لم توجد له مستلزمات فلم يؤت ثماره...ولهذا الفهم العميق لفقه الإيمان ضرب الصحابة الكرام في بدر مثلاً عليا لصدق الإيمان، التي تدل على أنهم آثروا رضاء الله ورسوله- صلى الله عليه وسلم- على حب الوالد والولد والأهل والعشيرة، فلا يعجب المسلم من ثناء الله تعالى على هذه المواقف الصادقة في قوله تعالى: «لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» (المجادلة: ٢٢). (غزوة بدر الكبرى دروس وعبر (٣٢)، وابن هشام (٢/٢٥٣)).

ومن مصارع الطغاة مصرع أمية بن خلف

عن عَبْد الرَّحْمَن بْن عَوْف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: "كَاتَبْتُ أُمَيَّةَ بْنَ خَلَف كِتَابًا، بِأَنْ يَحْفَظَنِي فِي صَاغِيَتِي بِمَكَّةَ، وَأَحْفَظَهُ فِي صَاغِيَتِه بِالْمَدِينَةِ- صاغية الرجل ما يميل إليه، ويطلق على الأهل والمال- فَلَمَّا كَانَ فِي يَوْمِ بَدْرٍ، خَرَجْتُ إِلَى جَبَلٍ لأُحْرِزَهُ- أي: أحميه- حِينَ نَامَ النَّاسُ، فَأَبْصَرَهُ بِلَالٌ، فَخَرَجَ حَتَّى وَقَفَ عَلَى مَجْلِسٍ مِنَ الأَنْصَارِ، فَقَالَ أُمَيَّةُ بْنُ خَلَف: لَا نَجَوْتُ إِنْ نَجَا أُمَيَّةُ، فَخَرَجَ مَعَهُ فَرِيقٌ مِنَ الأَنْصَارِ فِي آثَارِنَا، فَلَمَّا خَشِيتُ أَنْ يَلْحَقُونَا، خَلَفْتُ لَهُمُ ابْنَهُ لأَشْغَلَهُمْ فَقَتَلُوهُ، ثُمَّ أَبَوْا حَتَّى يَتْبَعُونَا، وَكَانَ رَجُلًا ثَقِيلًا، فَلَمَّا أَدْرَكُونَا، قُلْتُ لَهُ: ابْرُكْ؛ فَبَرَكَ، فَأَلْقَيْتُ عَلَيْهِ نَفْسِي لأَمْنَعَهُ، فَتَخَلَّلُوهُ - أي: طعنوه وأصابوه- بِالسُّيُوفِ مِنْ تَحْتِي حَتَّى قَتَلُوهُ، وَأَصَابَ أَحَدُهُمْ رِجْلِي بِسَيْفِهِ، وَكَانَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ يُرِينَا ذَلِكَ الأَثَرَ فِي ظَهْرِ قَدَمِهِ. البخاري (٢٣٠١).

وفي رواية ابن إسحاق: قال عبد الرَّحمن: فو الله إني لأقودهما - أمية وابنه- إذ رآه بلالٌ معي- وكان هو الذي يعذب بلالا بمكة على ترك الإسلام، فيخرجه إلى رمضاء مكة إذا حميت، فيضجعه على ظهره، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره، ثم يقول: لا تزال هكذا أو تفارق دين محمد، فيقول بلال: أحدٌ أحدٌ. قال: فلما رآه، قال: رأس الكفر أمية بن خلف، لا نجوت إن نجا قال: قلت: أي بلال، أبأسيري. قال: لا نجوت إن نجا. قال: قال: ثم صرخ بأعلى صوته: يا أنصار الله، رأس الكفر أمية بن خلف، لا نجوت إن نجا. قال: فأحاطوا بنا حتى جعلونا في مثل المسكة وأنا أذب عنه.

قال: فأخلف رجل السيف، فضرب رجل ابنه فوقع، وصاح أمية صيحة ما سمعت مثلها قط. قال: فقلت: أنج بنفسك، ولا نجاء بك فو الله ما أغني عنك شيئا قال: فهبروهما- أي:

Upload by: altawhedmag.com

قطعوهما- بأسيافهم، حتى فرغوا منهما. قال: فكان عبد الرحمن يقول: يرحم الله بلالا، ذهبت أدراعي وفجعني بأسيري. سيرة ابن هشام (١/ ٦٣٢)، واللؤلؤ المكنون (٢/ ٤٢٨).

وفي القصة فوائد منها ما يلي:

فيه: جواز التشفي من أعداء الله وخاصة رؤوس الكفر والطغيان كما جرى من بلال- رضي الله عنه- حينما رأى عدوه اللدود أمية بن خلف الذي كان يسومه أقسى وأعنف أنواع العذاب في مكة، فلما رآه أسيرًا؛ صرخ بأعلى صوته: لا نجوت إن نجا! إنه موقف من مواقف التشفي في أعداء الله، والتشفي من كبار الكفرة الفجرة، وفي الحياة الدنيا نعمة يفرج الله بها عن المكروبين من المؤمنين الذين ذاقوا الذل والهوان على أيدي أولئك الفجرة الطغاة، قال تعالى: "قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ۝ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ" (التوبة: ١٤،١٥).

ويستفاد منه جواز الفرح بهلاك من وهبوا حياتهم لحرب الإسلام والطعن في ثوابته في كتابتهم وبرامجهم، وعلى قنواتهم، وصفحاتهم من العلمانيين وغيرهم.

وفيه: عبرة بعنوان "وكذلك أخذ ربك"؛ إن فيما جرى لأمية بن خلف من قتل مفزع درسًا بليغًا للطغاة المتجبرين، وعبرة للمعتبرين، الذين يغترون بقوتهم، وينخدعون بجاههم، ومكانتهم؛ فيعتدون على الضعفاء، ويسلبونهم حقوقهم، فمآلهم إلى عاقبة سيئة ووخيمة في الآخرة، وقد يمكن الله للضعفاء منهم في الدنيا قبل الآخرة كما حدث لأمية بن خلف وأضرابه من طغاة الكفر، قال تعالى: "وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ" (القصص: ٥). وفي الحديث "إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته". (صحيح البخاري ح٤٦٨٦).

قوله: "يرحم الله بلالاً ذهبت أدراعي وفجعني بأسيري" مع ما جرى من بلال من معارضة وانتزاع الأسيرين من يده بقوة الأنصار الذين استنجد بهم دليل على قوة الرباط الأخوي بين الصحابة الكرام.

وقد ذكر عبد الرحمن ذلك فخرًا ببلال، والأنصار.

وفيه: الوفاء بالعهد، لأن عبد الرحمن كان صديقًا لأمية بمكة فوفى بالعهد الذي كان بينهما.

وفيه: جواز أن يحرز المسلم الكافر إذا اتفق له مثل الذي اتفق لعبد الرحمن بن عوف..

وفيه: جواز أن يقتل الكافر في حضن المسلم في مثل ذلك الموطن.

وفيه: أن المسلم إذا امتنع عليه الكافر بمحاماة من المسلم وإلقاء نفسه عليه، جاز له التوصل إلى قتله حتى لو جرح المسلم، ولم يكن فيه قصاص ولا أرش (عوض)، بل يتعين على المسلم أن يتجنب إصابة المسلم بجهده، وعلى هذا ينبني القول في المسألة المعروفة أنه إذا تترس المشركون بالمسلمين، ولم يمكن الوصول إلى المشركين إلا بإصابة المسلمين فلا حرج. الإفصاح (١/ ٢٩٧)، والتوضيح (١٥/ ١٦١).

قوله: "فألقيت عليه نفسي لأمنعه" فلم يمتنع بذلك أمية بن خلف من القتل، فيه: أن قريشًا لم يكن لهم أمان يوم بدر، ولهذا لم يجز بلال ومن معه من الأنصار أمان عبد الرحمن، وقد نسخ هذا بحديث: "يجير على المسلمين أدناهم". لأن حديث أم هانئ كان يوم فتح مكة.

وفيه: مجازاة المسلم الكافر على البر يكون منه للمسلم، والإحسان إليه، ومجازاته على جميل فعله، والسعي له في تخليصه من القتل وشبهه.

- وفيه المجازاة على سوء الفعل بمثله، والانتقام من الظالم كما فعل بلال رضي الله عنه. (غزوة بدر الكبرى دروس وعبر (٨١)، والتاريخ للحميدي (٤/ ١٥٢، ١٥٣). وابن هشام (٢/ ٢٤٤)، وشرح ابن بطال (٦/ ٤٣٤)، وعمدة القاري (١٢/ ١٣٠)).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

Upload by: altawhedmag.com

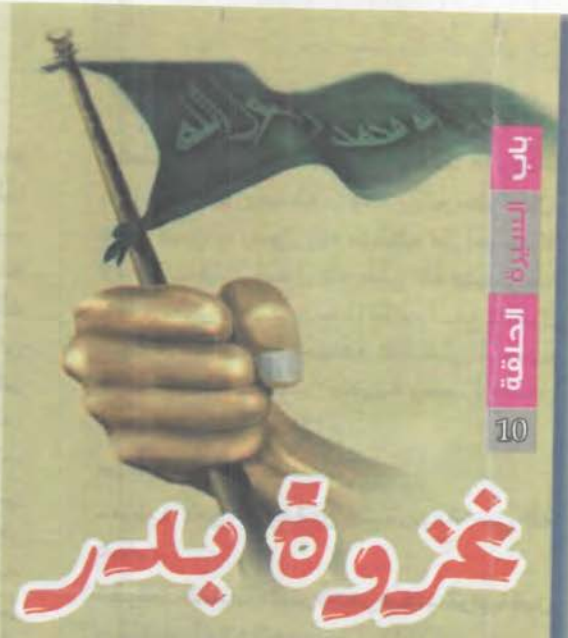

باب السيرة
الحلقة 10

غزوة بدر

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد: فقد ذكرنا قبل ذلك مقتل أبي جهل ثم أمية بن خلف، وقد لقي مثل هذا المصير الفاجع سبعون صنديدًا من رؤوس الكفر بمكة، دارت عليهم كؤوس الردى فتجرعوها صاغرين، وسقط في الأسر سبعون كذلك، وفرّ بقية التسعمئة والخمسين يروون لمن خلفهم أنّ الظلم مرتعه وخيم، وأن البطريجر في أعقابه الخزي والعار... وفتح المسلمون عيونهم على بشاشة الفوز تضحك لهم خلال الأرض والسماء؛ ولا شك أنّ هذا الظفر رد عليهم الحياة والأمل والكرامة، وخلصهم من أغلال ذلة، "وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ" (آل عمران: ١٢٣).

إعداد: د/ سيد عبد العال

وهكذا انتهت المعركة بنصر مبين للمؤمنين، يقابله هزيمة ساحقة للمشركين؛ فماذا صنع النبي صلى الله عليه وسلم بقتلى المشركين؟

أما قتلى المشركين؛ فطرحوا في القليب -أي بئر- وقد ثبت بذلك أحاديث؛ منها حديث عائشة رضي الله عنها قالت: أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتلى بدر فسحبوا إلى القليب؛ فطرحوا فيه ثم وقف عليهم فقال: يا أهل القليب هل وجدتم ما وعد ربكم حقًا فإني وجدت ما وعدني ربي حقًا" فقيل: يا رسول الله تكلم قومًا قد ماتوا؟، فقال: "لقد علموا أن ما وعدتهم كان حقًا". فأما أبو حذيفة بن عتبة لما رأى أباه يسحب إلى القليب عرف النبي صلى الله عليه وسلم الكراهية في وجهه فقال: يا أبا حذيفة كأنك كرهت ما ترى فقال: يا رسول الله إنه والله ما كان بشك في الله ولا رسوله، ولكن أبي كان رجلاً سيدًا حليمًا ذا رأي فكنت أرجو أن يهديه رأيه إلى الإسلام، فلما فات ذلك منه ووقع فيما وقع فيه أحزنني ذلك، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي حذيفة بخير... صحيح؛ أخرجه إسحاق بن راهويه (١١٤٨)، وصحيح ابن حبان (٧٠٨٨).

ورواه أحمد في مسنده (٢٦٣٦١) وفيه "أن أمية بن خلف، انتفخ في درعه؛ فملأها؛ فذهبوا ليحركوه؛ فتزايل؛ فأقروه وألقوا عليه ما غيبه من التراب والحجارة... الحديث" وهو صحيح... وفي حديث ابن مسعود "فرأيتهم قتلوا يوم بدر، فألقوا في بئر، غير أمية بن خلف أو أبي تقطعت أوصاله، فلم يلق في البئر" صحيح البخاري (٣٨٥٤).

وعن أنس قال: لما هزم المشركون جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقام ثم أمر بأبي جهل بن هشام فسحب فألقي في القليب، ثم أمر بعتبة بن ربيعة فسحب فألقي في القليب، ثم أمر بشيبة بن ربيعة فسحب فألقي في القليب، ثم أمر بأمية بن خلف فسحب فألقي في القليب وأبو حذيفة بن

Upload by: altawhedmag.com

عُتْبَةَ قائمٌ إلى جَنْبِ النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم لَمْ يَفْطنْ لَهُ النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم، فلمَّا نَظَرَ إلى أبيهِ يُسْحَبُ حتَّى أُلْقِيَ في القليبِ تغيَّرَ وَجْهُهُ وَالتفتَ إليهِ النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم فلما رآهُ قدْ تغيَّرَ وجْهُهُ، قالَ: يا أبا حُذيفةَ كأنَّهُ ساءكَ ما صنعْنا بعُتْبةَ قالَ: يا رسولَ اللهِ، مالي أنْ لا أكونَ مُؤمنًا باللهِ وبرسولِهِ؟ ولكنْ لمْ يكنْ في القومِ أحدٌ يُشبهُ عُتْبةَ في عقلِهِ وفي شرفِهِ، فكُنْتُ أرْجُو أنْ يَهْديَهُ اللهُ عزَّ وجلَّ إلى الإسْلامِ، فلمَّا رأيْتُ مَصْرَعَهُ ساءَني ذلكَ، فقالَ لهُ النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم خيرًا، فلمَّا كانَ في جوْفِ اللَّيْلِ خرجَ النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم، فسمعهُ النَّاسُ وهُوَ يُنادي في جوْفِ اللَّيْلِ: يا أبا جهْلِ بْنَ هشامٍ، ويا عُتْبةَ بْنَ ربيعةَ، ويا شيْبةَ بْنَ ربيعةَ، ويا أُمَيَّةَ بْنَ خلفٍ: أوجدْتُمْ ما وعدكمْ ربُّكُمْ حقًّا؟، فإنِّي وجدْتُ ما وعدني ربِّي حقًّا قالَ: فنادَاهُ النَّاسُ: يا رسولَ اللهِ، أتُنادي قوْمًا قدْ جيَّفُوا قالَ: واللهِ ما أنْتُمْ بأسْمعَ لِما أقولُ منْهُمْ ولكنَّهُمْ لا يسْتطيعُونَ أنْ يُجيبُوا. المنتخب من مسند عبد بن حميد (١٢١٢) وهو حسن لغيره، وأصل القصة في صحيح مسلم (٢٨٧٤) دون ذكر موقف أبي حذيفة بن عتبة.

وعنِ ابنِ عُمرَ رضيَ اللَّهُ عنْهُما أخْبرَهُ، قالَ: اطَّلعَ النَّبيُّ صلى اللهُ عليه وسلَّمَ على أهْلِ القليبِ، فقالَ: «وجدْتُمْ ما وعدَ ربُّكُمْ حقًّا؟» فقيلَ لهُ: تدْعُو أمْواتًا؟ فقالَ: "ما أنْتُمْ بأسْمعَ منْهُمْ، ولكنْ لا يُجيبُونَ" صحيح البخاري (١٣٧٠).

قال ابن تيمية: وأهْلُ العلْمِ بالحديثِ والسُّنَّةِ، اتَّفقُوا على صحَّةِ ما روَاهُ أنَسٌ وابْنُ عُمرَ وإنْ كانَا لَمْ يشْهدَا بدْرًا. مجموع الفتاوى (٤/٢٩٧).

وعنْ أنسٍ عنْ أبي طلْحةَ أنَّ نبيَّ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ أمرَ يوْمَ بدْرٍ بأرْبعةٍ وعشْرينَ رجُلاً منْ صناديدِ قُرَيْشٍ فقُذفُوا في طوِيٍّ منْ أطْواءِ بدْرٍ خبيثٍ مُخْبثٍ، وكانَ إذَا ظهرَ على قوْمٍ أقامَ بالعرْصةِ ثلاثَ ليالٍ فلمَّا كانَ ببدْرٍ اليوْمَ الثَّالثَ أمرَ براحلتِهِ فشُدَّ عليْهَا رحْلُهَا ثُمَّ مشَى واتَّبعَهُ أصْحابُهُ وقالُوا ما نُرَى ينْطلقُ إلاَّ لبعْضِ حاجتِهِ حتَّى قامَ على شفَةِ "شفير" الرَّكيِّ فجعلَ يُناديهِمْ بأسْمائِهِمْ وأسْماءِ آبائِهِمْ يا فُلانُ بْنَ فلانٍ ويا فلانُ بْنَ فُلانٍ أيسُرُّكُمْ أنَّكُمْ أطَعْتُمُ اللهَ ورسُولَهُ؟ فإنَّا قدْ وجدْنَا ما وعدَنَا ربُّنَا حقًّا، فهلْ وجدْتُمْ ما وعدَ ربُّكُمْ حقًّا؟ قالَ: فقالَ عُمرُ: يا رسُولَ اللهِ ما تُكلِّمُ منْ أجْسادٍ لا أرْواحَ فيهَا فقالَ رسُولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليْهِ وسلَّمَ والَّذي نفْسُ مُحمَّدٍ بيدِهِ ما أنْتُمْ بأسْمعَ لِما أقُولُ منْهُمْ... قالَ قتادةُ أحْياهُمُ اللهُ حتَّى أسْمعَهُمْ قوْلَهُ توْبيخًا وتصْغيرًا ونقيمةً وحسْرةً وندمًا. صحيح البخاري (٣٩٧٦).

من فوائد هذا الأحاديث:

- منقبة لأبي حذيفة بن عتبة ربيعة رضي الله عنه.

- قوله: "القليب" البئر تُحفر فيُقلب تُرابها قبل أن تُطوى. أعلام الحديث (٣/١٦٢٦).

- وقوله: "الصناديد": العظماء. يقال: رجل صنديد. وكان الحسن يقول في دعائه: اللهم إنا نعوذ بك من صناديد القدر، يريد ما يأتي به القدر من البلايا العظام.

- والطوى: البئر المطوية، وهي التي قد ضرست بالحجارة لئلا تنهار، والأطواء: جمع الطوي. أعلام الحديث (٣/١٧٠٧).

"المخبث": ذو الخبث... ولا ينافيه ما روي: "فألقوا في قليب"؛ لأن أبا عبيد فسر القليب بالبئر العادية، وهي أعم من أن تكون مطوية أو غيرها، مع احتمال أن يكون هؤلاء غيرهم، فإن المسلمين قتلوا يومئذ سبعين منهم، فقذف بعضهم في الطوي، وبعضهم في القليب.

ويؤيده قوله: "حتى قام على شفة الركي" وهو جمع: ركية، وهي البئر. تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة (٣/٣٢).

- قال النووي: وهذا السحب إلى القليب ليس دفنًا لهم ولا صيانة وحرمة بل لدفع رائحتهم المؤذية والله أعلم. شرح النووي على مسلم (١٧/٢٠٧).

- ومنها إثبات عذاب القبر.. مجموع الفتاوى (٤/٢٩٨).

- ومنها مسألة سماع الميت: قال ابن تيمية: الميت يسمع في الجملة...وذكر هذا الحديث وغيره ثم قال: فهذه النُّصوصُ وأمْثالُها تُبيِّنُ أنَّ الميِّتَ يسْمعُ في الجُملةِ كلامَ الحيِّ ولا يجبُ أنْ يكونَ

Upload by: altawhedmag.com

السَّمْعَ لَهُ دائمًا، بَلْ قَدْ يَسْمَعُ فِي حَالٍ دُونَ حَالٍ كَمَا قَدْ يُعْرَضُ لِلْحَيِّ فَإِنَّهُ قَدْ يَسْمَعُ أَحْيَانًا خِطَابَ مَنْ يُخَاطِبُهُ، وَقَدْ لَا يَسْمَعُ لِعَارِضٍ يَعْرِضُ لَهُ، وَهَذَا السَّمْعُ سَمْعُ إِدْرَاكٍ، لَيْسَ يَتَرَتَّبُ عَلَيْهِ جَزَاءٌ، وَلَا هُوَ السَّمْعُ الْمَنْفِيُّ بِقَوْلِهِ: «إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى» (النمل: ٨٠)؛ فَإِنَّ الْمُرَادَ بِذَلِكَ سَمْعُ الْقُبُولِ وَالِامْتِثَالِ... فَالْمَيِّتُ وَإِنْ سَمِعَ الْكَلَامَ وَفَقِهَ الْمَعْنَى فَإِنَّهُ لَا يُمْكِنُهُ إِجَابَةُ الدَّاعِي، وَلَا امْتِثَالُ مَا أُمِرَ بِهِ، وَنُهِيَ عَنْهُ، فَلَا يَنْتَفِعُ بِالْأَمْرِ وَالنَّهْيِ. الفتاوى الكبرى (٦٢/٣).

مكة تتلقى أنباء الهزيمة:

قال ابن إسحاق: وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ قَدِمَ مَكَّةَ بِمُصَابِ قُرَيْشٍ الْحَيْسُمَانُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْخُزَاعِيُّ، فَقَالُوا، مَا وَرَاءَكَ؟ قَالَ: قُتِلَ عُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ، وَشَيْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ، وَأَبُو الْحَكَمِ بْنُ هِشَامٍ، وَأُمَيَّةُ بْنُ خَلَفٍ، وَزَمْعَةُ بْنُ الْأَسْوَدِ، وَنُبَيْهُ وَمُنَبِّهُ ابْنَا الْحَجَّاجِ، وَأَبُو الْبَخْتَرِيِّ بْنُ هِشَامٍ، فَلَمَّا أَخَذَ يَعْدُدُ أَشْرَافَ قُرَيْشٍ، قَالَ صَفْوَانُ بْنُ أُمَيَّةَ، وَهُوَ قَاعِدٌ فِي الْحِجْرِ: وَاللَّهِ إِنْ يَعْقِلْ هَذَا، فَاسْأَلُوهُ عَنِّي، فَقَالُوا: وَمَا فَعَلَ صَفْوَانُ بْنُ أُمَيَّةَ؟ قَالَ: هَا هُوَ ذَاكَ جَالِسًا فِي الْحِجْرِ، وَقَدْ وَاللَّهِ رَأَيْتُ أَبَاهُ وَأَخَاهُ حِينَ قُتِلَا. ابن هشام (٢٨٩/٢).

وعن أبي رافع، مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَا أَبَا لَهَبٍ عَدُوُّ اللَّهِ قَدْ تَخَلَّفَ عَنْ بَدْرٍ، وَبَعَثَ مَكَانَهُ الْعَاصَ بْنَ هِشَامِ بْنِ الْمُغِيرَةِ، فَلَمَّا جَاءَنَا الْخَبَرُ كَبَتَهُ اللَّهُ وَأَخْزَاهُ،... فو الله مَا عَاشَ إِلَّا سَبْعَ لَيَالٍ حَتَّى رَمَاهُ اللَّهُ بِالْعَدَسَةِ، فَقَتَلَتْهُ. (وهي قرحة قاتلة) فَلَقَدْ تَرَكَهُ ابْنَاهُ بَعْدَ مَوْتِهِ ثَلَاثًا مَا دَفَنَاهُ حَتَّى أَنْتَنَ؛ وَكَانَتْ قُرَيْشٌ تَتَّقِي هَذِهِ الْعَدَسَةَ كَمَا تَتَّقِي الطَّاعُونَ؛ فتركاه حتى أعانهم عليه رجل من قريش. ضعيف: مسند أحمد (٢٣٨٦٤)، وابن هشام (٦٤٧).

أما النبي صلى الله عليه وسلم فقد ارْتَحَلَ مُؤَيَّدًا مَنْصُورًا، قَرِيرَ الْعَيْنِ بِنَصْرِ اللَّهِ لَهُ، وَمَعَهُ الْأَسَارَى وَالْمَغَانِمُ، فَلَمَّا كَانَ بِالصَّفْرَاءِ، قَسَمَ الْغَنَائِمَ وَضَرَبَ عُنُقَ النَّضْرِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ كَلَدَةَ، ثُمَّ لَمَّا نَزَلَ بِعِرْقِ الظَّبْيَةِ، ضَرَبَ عُنُقَ عُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ.

وَدَخَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ مُؤَيَّدًا مَظْفَرًا مَنْصُورًا قَدْ خَافَهُ كُلُّ عَدُوٍّ لَهُ بِالْمَدِينَةِ وَحَوْلَهَا، فَأَسْلَمَ بَشَرٌ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ، وَحِينَئِذٍ دَخَلَ عبد الله بن أبي الْمُنَافِقُ وَأَصْحَابُهُ فِي الْإِسْلَامِ ظَاهِرًا.

وَجُمْلَةُ مَنْ حَضَرَ بَدْرًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ثَلَاثُمِائَةٍ وَبِضْعَةَ عَشَرَ رَجُلًا، مِنَ الْمُهَاجِرِينَ سِتَّةٌ وَثَمَانُونَ، وَمِنَ الْأَوْسِ أَحَدٌ وَسِتُّونَ، وَمِنَ الْخَزْرَجِ مِائَةٌ وَسَبْعُونَ.. وَاسْتُشْهِدَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَئِذٍ أَرْبَعَةَ عَشَرَ رَجُلًا، ستة من المهاجرين وهم:

١. عُمَيْر بن أبي وقاص الزهري.
٢. ذو الشمالين بن عبد عَمْرو الخزاعي.
٣. عاقل بن البُكير العدوي.
٤. مِهْجَع مولى عمر بن الخطاب.
٥. صفوان بن بيضاء الفهري.
٦. عُبَيْدة بن الحارث بن المطلب...

وثمانية من الأنصار وهم:

١. سعد بن خيثمة من بني عَمْرو بن عوف.
٢. مبشر بن عبد المنذر. من بني عمرو بن عوف.
٣. يزيد بن الحارث ابن فُسْحُم من بني الحارث بن الخزرج.
٤. عُمَيْر بن الحمام من بني سلمة
٥. رافع بن المُعَلَّى من بني حبيب.
٦. حارثة بن سراقة بن الحارث من بني النجار..
٧. عوف بن الحارث من بني غَنْم بن مالك بن النجار.
٨. مُعَوِّذ بن الحارث من بني غَنْم بن مالك بن النجار.

زاد المعاد (١٦٨/٣)، وابن هشام (٣٥٤/٢) وصحيح البخاري (١١١/٥).

وهنا يبدو لنا سؤال: ألا وهو: ماذا صنع النبي صلى الله عليه وسلم بالأسرى؟ هذا ما نذكره في العدد القادم بإذن الله تعالى.

والحمد لله رب العالمين.

Upload by: altawhedmag.com

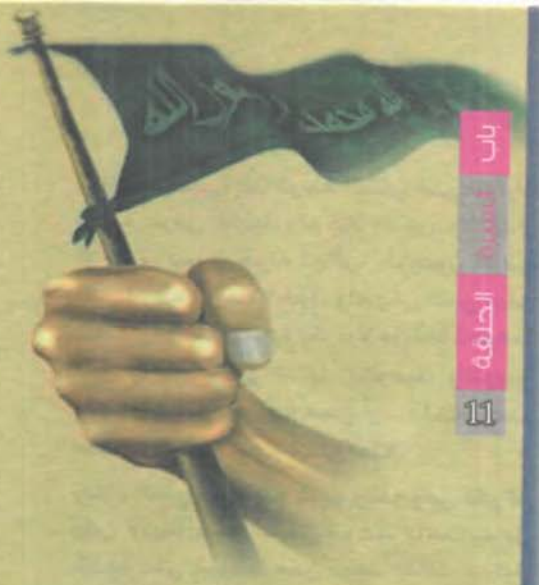

باب التربية الحلقة 11

غزوة بدر

الحمد لله رب العالمين، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم.

أما بعد: فقد ذكرنا في العدد السابق انتهاء القتال في بدر بنصر حاسم للمسلمين، وأنهم قتلوا من المشركين سبعين، وأسروا سبعين، وذكرنا هناك ما فعل بالقتلى وإلقاء صناديدهم في قليب بدر.

إعداد د/ سيد عبد العال

فماذا فعل النبي صلى الله عليه وسلم بالأسرى؟

عن ابن عباس رضي الله عنهما عن عمر رضي الله عنهما: أنهم قتلوا يومئذ سبعين، وأسروا سبعين؛ فلما أسروا الأسارى، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر، وعمر: "ما ترون في هؤلاء الأسارى؟" فقال أبو بكر: يا نبيَّ الله، هم بنو العم والعشيرة، أرى أن تأخذ منهم فدية؛ فتكون لنا قوة على الكفار، فعسى الله أن يهديهم للإسلام، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما ترى يا ابن الخطاب؟" قلت: لا والله يا رسول الله، ما أرى الذي رأى أبو بكر، ولكني أرى أن تمكنا؛ فنضرب أعناقهم؛ (فتمكن عليًا من عقيل؛ فيضرب عنقه، وتمكني من فلان -نسيبًا لعمر-؛ فأضرب عنقه)؛ فإن هؤلاء أئمة الكفر وصناديدها، فهوي رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال أبو بكر، ولم يهو ما قلت، فلما كان من الغد جئت، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر قاعدين يبكيان؛ قلت: يا رسول الله؛ أخبرني من أي شيء تبكي أنت وصاحبك؟ فإن وجدت بكاء بكيت، وإن لم أجد بكاء تباكيت لبكائكما؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أبكي للذي عرض عليَّ أصحابك من أخذهم الفداء؛ لقد عرض عليَّ عذابهم أدنى من هذه الشجرة - شجرة قريبة من نبي الله صلى الله عليه وسلم - وأنزل الله عز وجل: ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ لَّوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾ فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا ﴾ (الأنفال: ٦٧-٦٩)؛ فأحل الله الغنيمة لهم. (صحيح مسلم ١٧٦٣).

وفيه مسائل

١- في بيان قوله: «لولا كتاب من الله سبق ...» الخ الآية:

اختلف السلف في هذا الكتاب السابق فقال جمهور المفسرين: لولا قضاء من الله سبق لكم يا أهل بدر في اللوح المحفوظ أن

Upload by: altawhedmag.com

الغنائم حلال لكم لعاقبكم.

وقيل: لولا كتاب من الله سبق أنه لا يعذب أحدًا إلا بعد الحجة لعاقبكم.

وقيل: لولا كتاب من الله سبق لأهل بدر أنه مغفور لهم وإن عملوا ما شاءوا لعاقبهم.

وقيل:- وهو الصواب- لولا كتاب من الله سبق بهذا كله لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم والله أعلم.- (شفاء العليل: ص: ٢٨).

٢- وقوله: «ما ترون في هؤلاء الأسارى»: يدل على أنه صلى الله عليه وسلم ما كان أوحي إليه في أمرهم بشيء: فاستشارهم: لينظروا في ذلك بالنظر الأصلح، فاختلف نظر أبي بكر وعمر... وكل من النظرين له أصول تشهد بصحته. (المفهم ٣/ ٥٧٨).

٣- قال ابن القيم: وقد تكلم الناس، في أي الرأيين كان أصوب؟ فرجحت طائفة قول عمر لهذا الحديث، ورجحت طائفة قول أبي بكر، لاستقرار الأمر عليه، ولموافقته الكتاب الذي سبق من الله بإحلال ذلك لهم، ولموافقته الرحمة التي غلبت الغضب، ولتشبيه النبي صلى الله عليه وسلم له في ذلك بإبراهيم وعيسى، وتشبيهه لعمر بنوح وموسى، ولحصول الخير العظيم الذي حصل بإسلام أكثر أولئك الأسرى، ولخروج من خرج من أصلابهم من المسلمين، ولحصول القوة التي حصلت للمسلمين بالفداء، ولموافقة رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر أولاً، ولموافقة الله له آخرًا حيث استقر الأمر على رأيه، ولكمال نظر الصديق، فإنه رأى ما يستقر عليه حكم الله آخرًا، وغلب جانب الرحمة على جانب العقوبة.

٤- وأما بكاء النبي صلى الله عليه وسلم، فإنما كان رحمة لنزول العذاب لمن أراد بذلك عرض الدنيا، ولم يرد ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا أبو بكر، وإن أراده بعض الصحابة، فالفتنة -أي العقوبة- كانت تعم ولا تصيب من أراد ذلك خاصة، كما هزم العسكر يوم حنين بقول أحدهم: «لن نغلب اليوم من قلة»، وبإعجاب كثرتهم لمن أعجبته منهم»، فهزم الجيش بذلك فتنة ومحنة، ثم استقر الأمر على النصر والظفر والله أعلم. (زاد المعاد ٣/ ١٠١).

وقال القرطبي: إنما توجه العتاب على من أراد بفعله عرض الدنيا، ولم يرد الدين، ولا الدار الآخرة. بدليل قوله تعالى: ﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾، ولم يكن النبي صلى الله عليه وسلم، ولا أبو بكر، ولا من نحا نحوهما ممن يريد عرض الدنيا، فالوعيد والتوبيخ متوجهان إلى غيرهم ممن أراد ذلك. وهذا أحسن الأجوبة. والله تعالى أعلم.

وبكاء النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر لم يكن لأنهما دخلا فيمن توعد بالعذاب، بل شفقة على غيرهما ممن توعد بذلك؛ بدليل قوله صلى الله عليه وسلم: «أبكي للذي عرض عليّ أصحابك من أخذهم الفداء. لقد عرض علي عذابهم أدنى من هذه الشجرة»، لا سيما وقد أوحي إليه: أنه يقتل منهم عامًا قابلاً مثلهم؛ فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم لذلك.

٤- أن الإمام مخير في الأسارى بين الفداء، والقتل، والمن، فإنه قتل منهم، وفدى، ومَنّ. وقد سوّغ الله تعالى فيهم كل ذلك. (المفهم ٣/ ٥٨٢).

٥- جواز فداء الأسير بالمال. (سنن أبي داود ٤/ ٣٢٦).

٦- فيه شدة عمر في ذات الله تعالى ...

٧- وفيه: أن البكاء قد يهيج البكاء، وأن التباكي جائز أيضًا من مثل عمر وكل مخلص.

٨- وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «عرض علي عذابهم أدنى من هذه الشجرة»، يعني قرب، فلولا أن الله تعالى أمضى ما رأوه من أخذ الفداء لوقع العذاب بهم لكنه لم يصبهم لإمضاء الله تعالى ما رأوه. (الإفصاح ١/ ٢١٠).

وقوع الإسلام في قلب جبير بن مطعم:

قدم جُبَيْرُ بنُ مُطْعِمٍ رضي الله عنه على الرسول صلى الله عليه وسلم في المدينة ليفدي أسراه، فوافق رسول الله صلى الله عليه وسلم في صلاة المغرب، وهو يقرأ سورة الطور، فكان هذا أول وقوع الإسلام في قلبه، فقد أخرج الشيخان في صحيحيهما عن جُبَيْر بن مُطْعِم أنه قال: قدمتُ في فداء أهل بدر، فسمعتُ رسول الله

Upload by: altawhedmag.com

صلى الله عليه وسلم يَقْرَأُ فِي الْمَغْرِبِ بِالطُّورِ، فَلَمَّا بَلَغَ هَذِهِ الآيَةَ ﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ ﴾ (الطور: ٣٥-٣٧)؛ قَالَ: كَادَ قَلْبِي أَنْ يَطِيرَ، وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ قَالَ جُبَيْرٌ رضي الله عنه: وَذَلِكَ أَوَّلُ مَا وَقَرَ الإِيمَانُ فِي قَلْبِي؛ قَالَ: فَلَمَّا فَرَغَ رَسُولُ اللَّهِ مِنْ صَلاتِهِ، كَلَّمْتُهُ فِي أُسَارَى بَدْرٍ فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «لَوْ كَانَ الْمُطْعِمُ بْنُ عَدِيٍّ حَيًّا فَكَلَّمَنِي فِي هَؤُلاءِ النَّتْنَى لَتَرَكْتُهُمْ لَهُ» يَعْنِي أُسَارَى بَدْرٍ.

قال الحافظ في الفتح: وَالسَّبَبُ فِي قَوْلِهِ صلى الله عليه وسلم ذَلِكَ، لأَنَّ الْمُطْعِمَ بْنَ عَدِيٍّ أَجَارَ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم حِينَ رَجَعَ مِنَ الطَّائِفِ، وَكَانَ أَحَدَ الَّذِينَ قَامُوا فِي نَقْضِ الصَّحِيفَةِ الَّتِي كَتَبَتْهَا قُرَيْشٌ عَلَى بَنِي هَاشِمٍ وَمَنْ مَعَهُمْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، حِينَ حَصَرُوهُمْ فِي الشِّعْبِ.

وَقَدْ مَاتَ الْمُطْعِمُ بْنُ عَدِيٍّ وَالِدُ جُبَيْرٍ قَبْلَ غَزْوَةِ بَدْرٍ بِنَحْوِ سَبْعَةِ أَشْهُرٍ عَلَى كُفْرِهِ.

وَأَسْلَمَ جُبَيْرُ بْنُ مُطْعِمٍ بَيْنَ الْحُدَيْبِيَةِ وَالْفَتْحِ، وَقِيلَ أَسْلَمَ فِي الْفَتْحِ. (اللؤلؤ المكنون ٢/ ٤٨١).

وفيه استحباب مكافأة من أسدى إليك يدًا وإن كان كافرًا.

من صور الفداء تعليم الكتابة والقراءة لأبناء المسلمين.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: «كَانَ نَاسٌ مِنَ الأُسَرَى يوم بدر لَمْ يَكُنْ لَهُمْ مَالٌ، فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِدَاءَهُمْ أَنْ يُعَلِّمُوا أَوْلادَ الأَنْصَارِ الْكِتَابَةَ». (حديث حسن: أخرجه أحمد ٢٢١٦، والحاكم في المستدرك ٢٦٥٨، وقال: صحيح، ووافقه الذهبي).

وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى جَوَازِ الْفِدَاءِ بِالْعَمَلِ، كَمَا يَجُوزُ بِالْمَالِ. (زاد المعاد ٣/ ١٠٢).

وَمَنَّ رسول الله على عدد من الأسرى؛ فأطلقهم بدون فداء منهم: المطلب بن حنطب، وصيفي بن أبي رفاعة، وأبو عزة الجمحي. (ابن هشام ٢/ ٢٩٧، والمستدرك ٣/ ٢٣-٢٣٦، ٣٢٤).

ومنهم أبو العاص بن الربيع؛ عَنْ عَائِشَةَ، زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَتْ: لَمَّا بَعَثَ أَهْلُ مَكَّةَ فِي فِدَاءِ أَسْرَاهُمْ، بَعَثَتْ زَيْنَبُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي فِدَاءِ أَبِي الْعَاصِ بْنِ الرَّبِيعِ بِمَالٍ، وَبَعَثَتْ فِيهِ بِقِلادَةٍ لَهَا كَانَتْ لِخَدِيجَةَ، أَدْخَلَتْهَا بِهَا عَلَى أَبِي الْعَاصِ حِينَ بَنَى عَلَيْهَا. قَالَتْ: فَلَمَّا رَآهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، رَقَّ لَهَا رِقَّةً شَدِيدَةً، وَقَالَ: «إِنْ رَأَيْتُمْ أَنْ تُطْلِقُوا لَهَا أَسِيرَهَا، وَتَرُدُّوا عَلَيْهَا الَّذِي لَهَا، فَافْعَلُوا». فَقَالُوا: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَأَطْلَقُوهُ، وَرَدُّوا عَلَيْهَا الَّذِي لَهَا، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخَذَ عَلَيْهِ أَوْ وَعَدَهُ أَنْ يُخَلِّيَ سَبِيلَ زَيْنَبَ إِلَيْهِ. (صحيح: أخرجه أحمد ٢٦٣٦٢، وسنن أبي داود ٢٦٩٢).

قتل بعض الأسرى؛ لشدة أذاه

وذلك راجع إلى الإمام بحسب المصلحة

وَقُتِلَ عقبة بن أبي معيط مِنَ الأُسَرَى، وَقُتِلَ النضر بن الحارث لِشِدَّةِ عَدَاوَتِهِمَا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ.

وقال ابن القيم: كان يمن على بعضهم، ويقتل بعضهم، ويفادي بعضهم بالمال، وبعضهم بأسرى المسلمين، وقد فعل ذلك كله بحسب المصلحة. (زاد المعاد ٣/ ٩٩).

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: فَادَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأُسَارَى بَدْرٍ، فَكَانَ فِدَاءُ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ أَرْبَعَةَ آلافٍ، وَقُتِلَ عُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ قَبْلَ الْفِدَاءِ، فَقَامَ إِلَيْهِ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فَقَتَلَهُ صَبْرًا قَالَ: مَنْ لِلصِّبْيَةِ يَا مُحَمَّدُ؟ قَالَ: «النَّارُ». (مصنف عبد الرزاق ٩٣٩٤).

فداء العباس رضي الله عنه

وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رِجَالاً مِنَ الأَنْصَارِ اسْتَأْذَنُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالُوا: ائْذَنْ لَنَا، فَلْنَتْرُكْ لابْنِ أُخْتِنَا عَبَّاسٍ فِدَاءَهُ، فَقَالَ: «لا تَدَعُونَ مِنْهُ دِرْهَمًا». (صحيح البخاري ٢٥٣٧).

ولا شك أن هذا الموقف من النبي صلى الله عليه وسلم يحتاج منا إلى وقفة نلتمس منها الدروس والعبر، وهذا ما نفتتح به عددنا القادم بإذن الله تعالى، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

والحمد لله رب العالمين.

Upload by: altawhedmag.com

غزوة بدر

إعداد د/ سيد عبد العال

الحمد لله رب العالمين، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم، أما بعد:

فقد ذكرنا في العدد السابق ما فعله النبي صلى الله عليه وسلم بأسرى بدر، وانتهى حديثنا إلى موقف العباس رضي الله عنه.

فماذا فعل النبي صلى الله عليه وسلم مع عمه العباس رضي الله عنه؟

قد مرّ بنا قبل ذلك: أنَّ مِنْ بَيْنِ الأسْرَى العَبَّاس بن عَبْد المُطَّلب -رضي الله عنه: أسرهُ أبُو اليسر كَعْبُ بنُ عمْرو الخَزْرجيُّ رضي الله عنه: فعن ابْن عَبَّاس، قَالَ: كَانَ الَّذي أسَرَ العَبَّاس أبُو اليَسَر بْنُ عَمْرو، وكَانَ أبُو اليَسر رَجُلاً مجْمُوعًا، وكَانَ العَبَّاسُ رَجُلاً جسيمًا: فَقَالَ لَهُ رَسُولُ الله صلى اللهُ عليه وسلَّم: « كَيْفَ أسَرْتَهُ يا أبَا اليَسر؟ » قَالَ: لَقَدْ أعَانَني عَلَيْه رَجُلٌ مَا رَأيْتُهُ بَعْدُ، ولا قَبْلُ، هَيْئَتُهُ كَذَا، هَيْئَتُهُ كَذَا، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ الله صلى اللهُ عليه وسلَّم: « لَقَدْ أعَانَكَ عَلَيْه مَلَكٌ كَريمٌ ». أخرجه أحمد (٣٣١٠) وفي سنده مبهم وحسنه الأرناؤوط، وقال الهيثمي: رواه أحمد وفيه راو لم يسم وبقية رجاله ثقات. المجمع (٦/ ١١٤).

ويشهد له ما أخرجه أحمد بسند صحيح عن علي رضي الله عنه وفيه: « فَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ الأنْصَار قَصيرٌ بالعَبَّاس بْن عَبْد المُطَّلب أسيرًا، فَقَالَ العَبَّاسُ: يَا رَسُولَ الله، إنَّ هَذَا واللهِ مَا أسَرَني، لَقَدْ أسَرَني رَجُلٌ أجْلَحُ، مِنْ أحْسَنِ النَّاس وَجْهًا، عَلَى فَرَس أبْلَق، مَا أرَاهُ في القَوْم، فَقَالَ الأنْصَارِيُّ: أنَا أسَرْتُهُ يَا رَسُولَ الله، فَقَالَ: « اسْكُتْ، فَقَدْ أيَّدَكَ اللهُ تَعَالَى بِمَلَكٍ كَرِيمٍ، مسند أحمد (٩٤٨) وقال الشيخ شاكر: إسناده صحيح.

وكَانَ العَبَّاسُ رضي الله عنه رَجُلاً طَويلاً: فَلَمَّا أتَي به أسيرًا إلى المدينة طلبت الأنْصَارُ ثَوْبًا يُلْبسُونَهُ، فلم يجدوا قميصًا يصلح له، إلا قميص عَبْد الله بن أبيّ بن سَلُول المُنَافق، فكساهُ إيَّاهُ: فعَنْ جَابر بن عَبْد الله رَضيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْر أتَي بأسَارَى وأتَي بالعَبَّاس، ولَمْ يَكُنْ عَلَيْه ثَوْبٌ، فَنَظَرَ النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم لَهُ قَميصًا، فَوَجَدُوا قَميصَ عَبْد الله بن أبيّ بن سَلُول يَقْدُرُ عَلَيْه، فَكَسَاهُ النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم إيَّاهُ: فَلذَلكَ نَزَعَ النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم قَميصَهُ الذي ألْبَسَهُ. البخاري (٣٠٠٨).

Upload by: altawhedmag.com

قوله: «يَقْدُرُ عليه» بضم الدال المخففة من قولهم: قَدَرْتُ الثوب عليه قدرًا فانقدر، أي: جاء على المقدار، وقد تُفتح وتشدد -يُقَدَّر- أي: لطول لباسه، وكان طُوالاً كأنه قُسطاط، وكذلك أبوه عبد المطلب، وأخوه عبد الله، وابنه عبد الله، وقد نزع رسول الله صلى الله عليه وسلم القميص عن بدنه فألبسه عبد الله بعد وفاته مكافأة على صنيعه. اللامع الصبيح (٩/ ٤٨).

وترجم عليه البخاري باب «كُسوة الأسارى» قال المهلب: وفيه كسوة الأسارى والإحسان إليهم، ولا يتركوا عراة؛ فتبدوا عوراتهم ولا يجوز النظر إلى عورات المشركين اهـ وهذا من محاسن الإسلام... وفيه: وجوب المكافأة على اليد تسدى إلى قريب الرجل إذا كان ذلك إكراما له في قريبه، ولم يطلبها القريب.

وفيه: أن المكافأة تكون في الحياة وبعد الممات. شرح ابن بطال (٥/ ١٦٦).

مقدار فداء العباس رضي الله عنه:

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا عباس، افد نفسك، وابن أخيك عقيل بن أبي طالب، ونوفل بن الحارث، وحليفك عُتبة بن جحدم»؛ فقال العباس: يا رسول الله، إني كنت مسلمًا، ولكن القوم استكرهوني، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الله أعلم بإسلامك، إن يكُ ما تدعي حقًا، فالله يجزيك بذلك، وأما ظاهر أمرك، فقد كان علينا؛ فافد نفسك.....»؛ فقال العباس: فإنه ليس لي مال، فقال صلى الله عليه وسلم: «فأين المال الذي وضعتَه بمكة، حيث خرجت، عند أم الفضل بنت الحارث، وليس معكما أحدٌ غيركما؟، فقلت: إن أصبتُ في سفري هذا، فللفضل كذا، ولقثم كذا، ولعبد الله كذا»، فقال العباس: والذي بعثك بالحق، ما علم بهذا أحدٌ من الناس غيري وغيرها، وإني لأعلم أنك رسول الله. مسند أحمد (٣٣١٠) وحسنه الأرناؤوط.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما «كان فداء كل واحد أربعين أوقية فجعل على العباس مائة أوقية وعلى عقيل ثمانين فقال له العباس ألقرابة صنعت هذا؟ قال فأنزل الله تعالى يا أيها النبي قل لمن في أيديكم من الأسرى إن يعلم الله في قلوبكم خيرا يؤتكم...الخ الآية: فقال العباس ودِدْتُ لو كُنتَ أخذتَ مني أضعافها لقوله تعالى يؤتكم خيرًا مما أخذ منكم» أخرجه أبو نعيم في الدلائل (٤١٠) وقال ابن حجر: بإسناد حسن. الفتح (٧/ ٣٢٢).

موقف الأنصار من العباس رضي الله عنه:

وكان رجالٌ من الأنصار استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يترك فداء العباس رضي الله عنه، فلم يأذن لهم، فقد أخرج الإمام البخاري في صحيحه عن أنس رضي الله عنه: أن رجالاً من الأنصار استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالوا: ائذن لنا، فلنترك لابن أختنا عباس فداءه، فقال: «لا تدعون منه درهمًا» البخاري (٢٥٣٧).

وفيه فوائد:

١- قول الأنصار: أرادوا بذلك أمرين:

أحدهما: إكرام رسول الله صلى الله عليه وسلم.

والثاني: لقرابة العباس منهم: فإن هاشما كان قد تزوج امرأة من بني النجار فولدت له عبد المطلب، فلذلك قالوا: ابن أختنا، وإنما قالوا: ابن أختنا لتكون المنة عليهم في إطلاقه، ولو قالوا: «عمك»، لكان منة عليه، وهذا من قوة الذكاء، وحسن الأدب في الخطاب.

٢- لم يأذن لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ لئلا يكون في الدين نوع محاباة، فأخذ الفداء من العباس، وكلفه أن يفدي ابني أخيه عقيل بن أبي طالب ونوفل بن الحارث.

٣- وكان العباس ذا مال: فاستُوفيت منه الفدية، وصُرفت في مصرفها من حقوق الغانمين.

٤- وفي ترك قبول ما يتبرع له الأنصار به من الفداء تأديب لمن يقع له مثل ذلك.

(كشف المشكل لابن الجوزي (٣/ ٢٧٧)، والإفصاح (٥/ ٢٧٤)، وأعلام الحديث (٢/ ١٢٦٩)، وفتح الباري ٧/ ٣٢٣).

مكانة العباس رضي الله عنه

لقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُجلُّ عمَّه العباس رضي الله عنه: فعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «هذا العباس عمُّ نبيكم، أجود قريش كفًا، وأوصلها». حديث حسن أخرجه

Upload by: altawhedmag.com

أحمد (١٦١٠).

وعن ابن عباس قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجل العباس إجلال الولد والده خاصة خص الله العباس بها من بين الناس» المستدرك (٥٥٠٦) وقال: صحيح الإسناد. وقال الذهبي: صحيح. التلخيص (٥٤١٠).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «العباس مني وأنا منه المستدرك (٥٥٠٧) وقال: صحيح الإسناد. وقال الذهبي: صحيح. التلخيص (٥٤١١).

وعن أبي رافع رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا أبا الفضل لك من الله حتى ترضى» المستدرك (٥٥٠٨) وقال: صحيح الإسناد. وقال الذهبي في التلخيص(٥٤١٢): صحيح.

وقفة مع آية:

عن عائشة رضي الله عنها قالت «... وأنزل الله تعالى قوله: «يا أيها النبي قل لمن في أيديكم من الأسرى إن يعلم الله في قلوبكم خيرا يؤتكم خيرا مما أخذ منكم ويغفر لكم والله غفور رحيم». فقال العباس رضي الله عنه لما نزلت هذه الآية: أعطاني الله مكان العشرين أوقية في الإسلام عشرين عبدا، كلهم في يده مال يضرب به، مع ما أرجو من مغفرة الله عز وجل. أخرجه الحاكم في المستدرك (٥٥٠٥) وقال صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي.

ومما عوض الله به العباس رضي الله عنه ما جاء في حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: أتي النبي صلى الله عليه وسلم بمال من البحرين فقال صلى الله عليه وسلم: «انثروه في المسجد»، وكان أكثر مال أتي به رسول الله صلى الله عليه وسلم، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الصلاة، ولم يلتفت إليه. فلما قضى الصلاة: جاء فجلس إليه. فما كان يرى أحدا إلا أعطاه: إذ جاءه العباس فقال: يا رسول الله أعطني: فإني فاديت نفسي وفاديت عقيلا: فقال له صلى الله عليه وسلم: «خذ»، فحثا في ثوبه، ثم ذهب يقله- أي: يحمله- فلم يستطع. فقال: يا رسول الله أؤمر بعضهم يرفعه إليّ، قال: «لا»، قال: فارفعه أنت عليّ، قال: «لا»، فنثر منه، ثم ذهب يقله فقال: يا رسول الله أؤمر بعضهم يرفعه، قال: «لا»، قال: فارفعه أنت عليّ، قال: «لا»، فنثر منه، ثم احتمله فألقاه على كاهله، ثم انطلق، فما زال رسول الله صلى الله عليه وسلم يتبعه بصره- حتى خفي علينا- عجبا من حرصه، فما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم وثم منها درهم. صحيح البخاري (٤٢١).

ومن فوائد الحديث فوق ما عوض الله به العباس رضي الله عنه

١- بيان كرم النبي صلى الله عليه وسلم، وعدم التفاته إلى المال قل أو كثر.

٢ - وفيه: أن الإمام ينبغي له أن يفرق مال المصالح في مستحقيها ولا يؤخره. فتح الباري (١/ ٥١٧).

ذكر من أسلم من أسرى بدر بعد ذلك

وقد أسلم كثير من هؤلاء الأسرى على فترات مختلفة- وهذا مما يبين بركة ما أشار به أبو بكر رضي الله عنه على الوجه الذي مضى في العدد السابق - ومنهم: العباس بن عبد المطلب، وعقيل بن أبي طالب، ونوفل بن الحارث بن عبد المطلب، وأبو العاص بن الربيع، وأبو عزيز بن عمير العبدري، والسائب بن أبي حبيش، وخالد بن هشام المخزومي، وعبد الله بن أبي السائب، والمطلب بن حنطب، وأبو وداعة السهمي، وعبد الله بن أبي بن خلف الجمحي، وهب بن عمير الجمحي، وسهيل بن عمرو العامري، وعبد بن زمعة، وقيس بن السائب المخزومي، ونسطاس مولى أمية بن خلف. عيون الأثر (١/ ٣٣٣).

فضل من شهد بدرا

عن رفاعة بن رافع الزرقي قال: جاء جبريل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: ما تعدون أهل بدر فيكم؟ قال: «من أفضل المسلمين....» البخاري (٣٩٩٢).

وهذا الحديث يجرنا إلى ذكر فضيلة أهل بدر، وبيان مكانتهم بين الصحابة، وهذا ما نبدأ به العدد القادم إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

Upload by: altawhedmag.com

فضائل أهل بدر

إعداد: د/ سيد عبد العال

الحمد لله رب العالمين، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم. أما بعدُ: فما زلنا في غزوة بدر، وقد ذكرنا قبلُ "أن جبريل جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: "ما تعدون أهل بدر فيكم؟ قال: من أفضل المسلمين-أو كلمة نحوها-. قال: وكذلك من شهد بدرًا من الملائكة". (البخاري: ٣٩٩٢).

وهذا ما حدا بنا إلى الحديث في فَضْلِ مَنْ شهدَ بدْرًا. إن الصحابة الذين شهدوا موقعة بدر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم هم الذين اختارهم الله واصطفاهم؛ فجعل لهم ميزة تميزوا بها على غيرهم من عباد الله؛ إذ إن معركة بدر تعتبر من أعظم المعارك التي انتصر فيها الإسلام على الكفر وأهله، وبسببها انتشر ضوء الإسلام في أنحاء الجزيرة العربية، ثم إلى خارجها، وبسببها أضيئت الطريق أمام الدعاة إلى الله؛ لتحقيق العبودية لله - تعالى -، ونبذ جميع المعبودات التي تعبد من دون الله نتيجة اتباع الهوى، والتقليد الأعمى، وكل من شارك من الصحابة في وقعة بدر كانت له المكانة اللائقة بالثناء الحسن في الدنيا، والفوز بالجنة، والنجاة من النار في الآخرة؛ فأهل بدر هم النجوم التي أضاءت تاريخ الإسلام حتى أصبح يقال لأحدهم: فلان بدري، وشهد بدرًا، وكفى بهذه المنقبة شرفًا، وتعظيمًا لهم في هذه الدنيا إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وكفى بذلك أجرًا وإحسانًا عند رب العالمين في الحياة الآخرة وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

وأما عددهم: فكما سبق ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً. (تاريخ الطبري: ٤٣٢/٢). وعن عمر رضي الله عنه أنهم كانوا ثلاثمائة وتسعة عشر رجلا" (مسلم: ١٧٦٣).

والحديث مُفسّر للبضع المذكور في الأحاديث الأخرى.

قال أبو الحسن الأشعري رحمه الله: "وأجمعوا، على أن خير الصحابة أهل بدر، وخير أهل بدر العشرة، وخير العشرة الأئمة الأربعة أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي رضوان الله عليهم" رسالة إلى أهل الثغر (٢٩٩).

وأما فضائلهم فمنها ما يلي:

- شهد الله لهم بإخلاص نياتهم في الجهاد في سبيل الله، ومن أجل ذلك أكرمهم بالنصر

Upload by: altawhedmag.com

والتمكين.. قال تعالى: "قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ" (آل عمران: ١٣).

وفيها ثناء من الله تعالى على أهل بدر بخلوص نياتهم في الجهاد يوم بدر ،وأنهم ما قاتلوا يومذاك حمية، ولا شجاعة، ولا لترى أماكنهم، وإنما قاتلوا؛ لتكون كلمة الله هي العليا، وكلمة الذين كفروا السفلى؛ فأيدهم الله بنصره وأكرم بها من منقبة، وأكرم به من موقف عظيم يذكرون به في الدنيا والآخرة. عقيدة أهل السنة في الصحابة (١٦٦/١).

- شهد الله لهم بحقيقة الإيمان في قوله تعالى: "هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ"

قال مقاتل: قواك بنصره وبالمؤمنين من الأنصار يوم بدر. زاد المسير ٣٧٦/٣.

وفيها إخبار من المولى جل وعلا بحقيقة إيمانهم... قال تعالى: "وَيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا" (الأنفال: ١٧).

فالمقصود بالمؤمنين في هذه الآية هم الذين شهدوا بدراً مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقاتلوا معه أعداء دينه من كفار قريش؛ فلقد شهد الله لهم في هذه الآية بأنهم مؤمنون وأكرم بها من شهادة صادرة عمن يعلم السر وأخفى.

- قال تعالى: "إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُنزَلِينَ"، وقال تعالى: "إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا..." الآية: فقوله تعالى: "إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ"، وقوله: "فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا" شهادة قاطعة يقينية على إثبات إيمان أهل بدر رضي الله عنهم وكفى بهذه الشهادة شرفًا ورفعة لأولئك البدريين الأطهار إذ هي شهادة صادرة من رب السموات والأرض وما بينهما الذي يعلم الأمور على حقائقها وما هي عليه. عقيدة أهل السنة في الصحابة (١٧٠/١).

-الشهادة لهم بالجنة وأن معصومون من الموت على الشرك والنفاق، وأن ما وقع منهم من معصية دون ذلك فإنها تقع مغفورة ببركة شهود بدر؛ وبيان ذلك في حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه: قال: "بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأبا مرثد، والزبير،-وكلنا فارس-: قال: "انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ:- وهو موضع بين مكة والمدينة بقرب المدينة- فإن بها امرأة من المشركين معها كتاب من حاطب ابن أبي بلتعة إلى المشركين" فأدركناها تسير على بعير لها حيث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلنا: الكتاب فقالت: ما معي كتاب، وأنخناها، فالتمسنا فلم نر كتابًا: فقلنا: ما كذب رسول الله صلى الله عليه وسلم: لتخرجن الكتاب، أو لتُجَرِّدنك: فلما رأت الجد أهوت إلى حاجزتها، وهي محتجزة بكساء . فأخرجته، فانطلقنا بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر: يا رسول الله قد خان الله ورسوله والمؤمنين: فدعني فلأضرب عنقه. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "ما حملك"؟ قال حاطب: والله ما بي أن لا أكون مؤمنًا بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم أردت أن تكون لي عند القوم يد يدفع الله بها عن أهلي ومالي وليس أحد من أصحابك إلا له هناك من عشيرته من يدفع الله به عن أهله وماله! فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "صدق ولا تقولوا له إلا خيرا"! فقال عمر: إنه قد خان الله ورسوله والمؤمنين: فدعني فلأضرب عنقه! فقال: "لعل الله اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم: فقد وجبت لكم الجنة، أو فقد غفرت لكم". فدمعت عينا عمر رضي الله عنه وقال: الله ورسوله أعلم. البخاري (٣٩٨٣).

فما أعظم هذا التكريم لتلك الفئة المؤمنة من البدريين، وما أعظم فضلها عند المولى. سبحانه وتعالى . وقد اتفقوا على أن البشارة المذكورة فيما يتعلق بأحكام الآخرة، لا بأحكام الدنيا من إقامة الحدود وغيرها. الفتح (٣٠٥/٧).

وقد أشكل على كثير من الناس معناه فإن ظاهره إباحة كل الأعمال لهم وتخييرهم فيما شاءوا منها وذلك ممتنع.

وأجيب بأجوبة أحسنها ما ذكره ابن القيم حيث قال: الذي نظن في ذلك-والله أعلم- أن هذا خطاب لقوم قد علم الله سبحانه أنهم

Upload by: altawhedmag.com

لا يفارقون دينهم بل يموتون على الإسلام وأنهم قد يقارفون بعض ما يقارفه غيرهم من الذنوب، ولكن لا يتركهم سبحانه مصرين عليها بل يوفقهم لتوبة نصوح واستغفار وحسنات تمحو أثر ذلك ويكون تخصيصهم بهذا دون غيرهم؛ لأنه قد تحقق ذلك فيهم وأنهم مغفور لهم ولا يمنع ذلك كون المغفرة حصلت بأسباب تقوم بهم كما لا يقتضي ذلك أن يعطلوا الفرائض وثوقا بالمغفرة فلو كانت قد حصلت بدون الاستمرار على القيام بالأوامر لما احتاجوا بعد ذلك إلى صلاة، ولا صيام، ولا حج، ولا زكاة، ولا جهاد، وهذا محال؛ ومن أوجب الواجبات التوبة بعد الذنب؛ فضمان المغفرة لا يوجب تعطيل أسباب المغفرة. الفوائد(١٤).

وقال ابن تيمية: فدل ذلك على أن الحسنة العظيمة يغفر الله بها السيئة العظيمة. الفتاوى الكبرى (٤٥٢/٣).

وقال ابن القيم: فيه أن الكبيرة العظيمة مما دون الشرك قد تكفر بالحسنة الكبيرة الماحية، كما وقع الجس -التجسس- من حاطب مكفرًا بشهوده بدرا؛ فإن ما اشتملت عليه هذه الحسنة العظيمة من المصلحة وتضمنته من محبة الله لها ورضاه بها، وفرحه بها، ومباهاته للملائكة بفاعلها، أعظم مما اشتملت عليه سيئة الجس من المفسدة، وتضمنته من بغض الله لها، فغلب الأقوى على الأضعف؛ فأزاله، وأبطل مقتضاه، وهذه حكمة الله في الصحة والمرض الناشئين من الحسنات والسيئات، الموجبين لصحة القلب ومرضه، وهي نظير حكمته تعالى في الصحة والمرض اللاحقين للبدن، فإن الأقوى منهما يقهر المغلوب ويصير الحكم له، حتى يذهب أثر الأضعف، فهذه حكمته في خلقه وقضائه وتلك حكمته في شرعه وأمره.... ثم قال: وبالجملة فقوة الإحسان ومرض العصيان متصاولان ومتحاربان، ولهذا المرض مع هذه القوة حالة تزايد، وترام إلى الهلاك، وحالة انحطاط وتناقص، وهي خير حالات المريض، وحالة وقوف وتقابل إلى أن يقهر أحدهما الآخر، وإذا دخل وقت البحران وهو ساعة المناجزة؛ فحظ القلب أحد الخطتين، إما السلامة، وإما العطب، وهذا البحران يكون وقت فعل الموجبات التي توجب رضى الرب تعالى ومغفرته، أو توجب سخطه وعقوبته، وفي الدعاء النبوي: "أسألك موجبات رحمتك"...

فتأمل قوة إيمان حاطب التي حملته على شهود بدر، وبذله نفسه مع رسول الله- صلى الله عليه وسلم- وإيثاره الله ورسوله على قومه وعشيرته، وقرابته، وهم بين ظهراني العدو، وفي بلدهم، ولم يثن ذلك عنان عزمه، ولا فل من حد إيمانه، ومواجهته للقتال لمن هم أهله وعشيرته، وأقاربه عندهم، فلما جاء مرض الجس برزت إليه هذه القوة، وكان البحران صالحا؛ فاندفع المرض، وقام المريض كأن لم يكن به قلبة، ولما رأى الطبيب قوة إيمانه قد استعلت على مرض جسه وقهرته، قال لمن أراد فصده: لا يحتاج هذا العارض إلى فصاد، "وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر، فقال: اعملوا ما شئتم؛ فقد غفرت لكم" وعكس هذا ذو الخويصرة التميمي وأضرابه من الخوارج الذين بلغ اجتهادهم في الصلاة والصيام والقراءة إلى حد يحقر أحد الصحابة عمله معه كيف قال فيهم: "لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد" فلم ينتفعوا بتلك الأعمال العظيمة مع تلك المواد الفاسدة المهلكة واستحالت فاسدة... فالمعول على السرائر، والمقاصد، والنيات، والهمم، فهي الإكسير الذي يقلب نحاس الأعمال ذهبا، أو يردها خبثًا، وبالله التوفيق.

ومن له لُبّ وعقل يعلم قدر هذه المسألة وشدة حاجته إليها وانتفاعه بها، ويطلع منها على باب عظيم من أبواب معرفة الله سبحانه وحكمته في خلقه وأمره وثوابه وعقابه وأحكام الموازنة، وإيصال اللذة والألم إلى الروح والبدن في المعاش والمعاد، وتفاوت المراتب في ذلك بأسباب مقتضية بالغة ممن هو قائم على كل نفس بما كسبت. زاد المعاد (٣٧٣/٣). وللحديث بقية إن شاء الله تعالى، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

Upload by: altawhedmag.com

أسباب النصر من خلال غزوة بدر

إعداد د/ سيد عبد العال

الحمد لله رب العالمين، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم. أما بعد: فإن النصر من عند الله، وما عند الله لا ينال إلا بطاعته، وهذا ما قام به المسلمون في غزوة بدر الكبرى؛ فنصرهم الله تعالى مع قلة في العدد والعدة؛ مما حدا بنا أن نذكر في هذا العدد من هذه المجلة الغراء "أسباب النصر مستلة من غزوة بدر" لاحتياج المسلمين لها على مستوى الفرد والأمة لاسيما أبناؤنا، وإخواننا في القوات المسلحة؛ لنتأسى جميعا بالنبي صلى الله عليه وسلم والصحابة الكرام في الحرب والسلم...

ولقد ذكر الله تعالى أسباب النصر في آيات من سورة بدر (الأنفال) ومن ذلك قوله تعالى: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٤٦﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِم بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ " (الأنفال: ٤٥-٤٧).

فهذه أهم عوامل النصر مع إعداد ما يستطاع من القوة كما أمر الله تعالى: الإيمان بالله -تعالى- والثبات، وذكر الله، والطاعة لله والرسول صلى الله عليه وسلم، واطراح النزاع، والصبر، وعدم البطر والرياء، مع التوكل على الله تعالى. وإليك هذه الأسباب بشيء من التفصيل والبيان.

السبب الأول: تحقيق الإيمان بالله تعالى: وهذا واضح من خلال النداء بوصف الإيمان " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا.." ومن خلال آيات أخرى علق فيها النصر على الإيمان كقوله: "وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ" (الروم: ٤٧).

وقوله: "وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ" (آل عمران: ١٣٩).

وقد قام أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بما يحقق هذا الوصف، ولذلك نصرهم الله ببدر... ولقد وصفهم الله بالإيمان في سياق المنة عليهم متضمنا تعليم الأمة ما ينبغي أن يكون في مثل هذا الموقف؛ فقال تعالى: " وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُنزَلِينَ " (آل عمران: ٤٥-٤٧).

قال محمد رشيد رضا: وقد بينا غير مرة كون الإيمان نفسه من أسباب النصر، وأنه يقتضي الاستعداد وأخذ الحذر، وإنما غلب المسلمون في هذه القرون الأخيرة وفتح الكفار بلادهم التي فتحوها هم من قبل بقوة الإيمان، وما يقتضيه من الأعمال؛ لأنهم ما عادوا يقاتلون لإعلاء كلمة الله، وتأييد الحق ونشر الإسلام، ولا عادوا يعدون ما استطاعوا من قوة كما أمرهم القرآن.

Upload by : altawhedmag.com

تفسير المنار (٣٧٨/٥).

وتأمل قوله تعالى: "وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ".

حيث علق الوعد بالتمكين هنا بأربعة أمور:

(أ) تحقيق الإيمان.

(ب) عمل الصالحات: من القيام بشرائع الدين وليس ادعاءً فقط.

(ج) التزام نهج الصحابة، لقوله: "منكم" فالخطاب لهم وينسحب على من نهج نهجهم.

(د) انتفاء الشرك في العبادة: "يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا". عوامل النصر والتمكين (٢٢).

وقد وعدهم الله -تعالى- هذه الوعود في حال قلتهم وضعفهم وفقرهم، وبُعدهم عن الملك والسلطان، وأنجز لهم ما وعدهم بما قضاه وجعله أثرًا للاهتداء بالقرآن. تفسير المنار (٦/١)

السبب الثالث: الثبات عند لقاء العدو:

قال ابن كثير: هذا تعليم من الله - تعالى- لعباده المؤمنين آداب اللقاء، وطريق الشجاعة عند مواجهة الأعداء: فقال "إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا"... فأمر -تعالى- بالثبات عند قتال الأعداء والصبر على مبارزتهم: فلا يفروا ولا ينكلوا ولا يجبنوا... وقد كان للصحابة في باب الشجاعة، والائتمار بما أمرهم الله ورسوله به، وامتثال ما أرشدهم إليه ما لم يكن لأحد من الأمم قبلهم، ولا يكون لأحد بعدهم، فإنهم ببركة الرسول صلى الله عليه وسلم وطاعته فيما أمرهم، فتحوا القلوب والأقاليم شرقًا وغربًا في المدة اليسيرة، مع قلة عددهم بالنسبة إلى جيوش سائر الأقاليم... حتى علت كلمة الله، وظهر دينه على سائر الأديان، وامتدت الممالك الإسلامية في مشارق الأرض ومغاربها، في أقل من ثلاثين سنة، فرضي الله عنهم وأرضاهم أجمعين، وحشرنا في زمرتهم إنه كريم وهاب. تفسير ابن كثير (٣٨٥/٢).

فالثبات قوة معنوية طالما كانت هي السبب الأخير للنصر والغلب بين الأفراد أو الجيوش... وكذلك يفيد الثبات في كل أعمال البشر فهو وسيلة النجاح في كل شيء. تفسير المنار (٢٠/١٠).

السبب الرابع: الإكثار من ذكر الله:

ومن معانيه استحضار حقيقة المعركة، وأنها لإعلاء كلمة الله، لا للسيطرة ولا للجاه، ولا للمغانم، ولا للشهوة، أو النزوة وانما كانت لله، وفي سبيل الله.

فقوله "وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا" أي: وأكثروا من ذكر الله في أثناء القتال وتضاعيفه، اذكروه في قلوبكم بذكر قدرته، ووعده بنصر رسله والمؤمنين، ونصر كل من يتبع سننهم بنصر دينه، واقامة سننه، وبذكر نهيه لكم عن اليأس مهما اشتد البأس، وبأن النصر بيده ومن عنده، ينصر من يشاء، فمن ذكر هذا، وتأمل فيه لا تهوله قوة عدوه واستعداده، لإيمانه بأن الله - تعالى- أقوى منه- واذكروه - أيضا- بألسنتكم موافقة لقلوبكم بمثل التكبير الذي تستصغرون بملاحظة معناه...

ومن الذكر الدعاء والتضرع إليه-عز وجل- مع اليقين بأن لا يعجزه شيء.

وقوله "لعلكم تفلحون" هذا الرجاء منوط بالأمرين كليهما، أي: إن الثبات وذكر الله - تعالى- هما السببان المعنويان للفلاح والفوز في القتال في الدنيا، ثم في نيل الثواب في الآخرة. أما الأول فظاهر... وأما الثاني: فامتثاله أظهر وأكثر، ومن أظهرها ما نزلت هذه الآية في سياقه، وهذه السورة بجملتها وهو غزوة بدر الكبرى... المنار (٢٠/١٠).

وإذا كنا مأمورين بالذكر على كل حال نكون عليها في الحرب كما يعطيه السياق، فأجدر بنا أن نؤمر بذلك في كل حال من أحوال السلم على أن المؤمن في حرب دائمة وجهاد مستمر، تارة يجاهد الأعداء، وتارة يجاهد الأهواء... المنار (٣١٢/٥).

السبب الرابع: طاعة الله ورسوله:

لقوله "وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ" أي: أطيعوا الله في هذه الأوامر المرشدة إلى أسباب الفلاح في القتال وفي غيرها، وأطيعوا رسوله فيما يأمر به وينهى عنه من شئون القتال وغيرها، من حيث إنه هو المبين لكلام الله الذي أنزل إليه على ما يريده- تعالى- منه، والمنفذ له بالقول والعمل والحكم، ومنه ولاية القيادة العامة في القتال. فطاعة

Upload by : altawhedmag.com

القائد العام هي جماعُ النظام الذي هو ركنٌ من أركان الظفر، فكيف إذا كان القائدُ العامُ رسولَ الله المؤيد من لدنه بالوحي والتوفيق، والمشارك لكم في الرأي والتدبير والاستشارة في الأمور، كما ثبت لكم في هذه الغزوة. تفسير المنار (٢٢/١٠).

السبب الخامس: اتقاء التنازع.

"ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم": هذا النهيُ مُساقٌ للأمر بالثبات وكثرة الذكر، وبطاعة الله والرسول، ومتمم للغرض منه، فإن الاختلاف والتنازع مدعاة الفشل، وهو الخيبة والنكول عن إمضاء الأمر...وأما قوله تعالى: "وتذهب ريحكم" فمعناه تذهب قوتكم، وترتخي أعصاب شدتكم فيظهر عدوكم عليكم. المنار (٢٣/١٠).

السبب السادس: الصبر عند لقاء العدو:

قال "واصبروا إن الله مع الصابرين" أي: واصبروا على ما تكرهون من شدة، وما تلاقون من بأس العدو واستعداده وكثرة عدده وغير ذلك إن الله مع الصابرين بالمعونة والتأييد، وربط الجأش والتثبيت، ومن كان الله معه فلا يغلبه شيء، فالله غالبٌ على أمره، وهو القوي العزيز الذي لا يُغالب.

السبب السابع: اتقاء البطر والرياء:

وبهذا أدب الله عباده المؤمنين: فبعد أن أمر الله - تعالى- عبادَه المؤمنين بما أمر به من جلائل الصفات وأحاسن الأعمال، التي جرت سُنَّتُه بأن تكون سبب الظفر في القتال، ونهاهم عن التنازع- نهاهم عما كان عليه خصومهم من مشركي مكة حين خرجوا لحماية العير من الصفات الرديئة، وذكر لهم بعض أحوالهم القبيحة فقال: "ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطراً ورئاء الناس ويصدون عن سبيل الله والله بما يعملون محيط". وقوله "بطرا" أي: دفعا للحق، "ورئاء الناس" وهو المفاخرة والتكبر عليهم، كما قال أبو جهل، وقد سبق ذكره.

السبب الثامن: التوكل على الله:

كما قال في سياق الآيات السابقة " ومن يتوكل على الله فإن الله عزيزٌ حكيم".

أي: يكل إليه أمره مؤمنا إيمان إذعان واطمئنان بأنه هو حسبه وكافيه وناصره ومعينه، وأنه قادر لا يعجزه شيء، عزيز لا يغلبه، ولا يمتنع عليه شيء أراده فإن الله عزيز حكيم أي: فهو - تعالى- بمقتضى عزته وحكمته عند إيمانهم به، وتوكلهم عليه: يكفيهم ما أهمهم، وينصرهم على أعدائهم، وإن كثر عددهم، وعظم استعدادهم؛ لأنه عزيزٌ غالبٌ على أمره، حكيم يضع كل أمر في موضعه على ما جرى عليه النظام والتقدير في سننه، ومنه نصر الحق على الباطل، بل كثيرا ما تدخل عنايته بالمتوكلين عليه في باب الآيات، وخوارق العادات كما حصل في غزوة بدر، وآيات الله لا نهاية لها، وقد أجمع المحققون على أن التوكل لا يقتضي ترك الأسباب من العبد، ولا الخروج عن السنن العامة في أفعال الرب سبحانه. تفسير المنار (٢٩/١٠).

ولا شك أن المؤمنين قد امتثلوا أمر الله- تعالى- في كل ما أوصاهم به بقدر طاقتهم فاجتمع لهم الاستعداد والاعتقاد، ونصروا الله: فنصرهم وفاء بوعده في قوله: " إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم" فالمؤمن من يشهد له بإيمانه القرآن وإيتاؤه ما وعد الله المؤمنين، لا من يدعي الإيمان بلسانه وأخلاقه وأعماله وحرمانه مما وعد الله المؤمنين تكذب دعواه. وغزوات الرسول وأصحابه شارحة لذلك، وناهيك بغزوة أحد. فإنهم لما خالفوا ما أمروا به نزل بهم ما نزل. وهذا أكبر عبرة لمن بعدهم لو كانوا يعتبرون بالقرآن، ولكنهم أعرضوا عنه ونبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما اختاروا لأنفسهم، ولو عادوا إليه واتحدوا فيه واعتصموا بحبله لفازوا بالعز الدائم والسعادة الكبرى والسيادة العليا في الدنيا والآخرة. تفسير المنار (١٩٤/٣).

فنسأل الله تعالى أن ينصر الإسلام والمسلمين وأن يهيئ لهذه الأمة أمر رشد يعز فيه أهل الطاعة ويهدى فيه أهل المعصية ويعلم فيه الجاهل ويذكر الناسي ويؤخذ على يد الظالم؛ إنه ولي ذلك ومولاه وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

والحمد لله رب العالمين.

Upload by : altawhedmag.com

وإن جنحوا للسلم فاجنح لها

إعداد د/ سيد عبد العال

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق أجمعين. أما بعد: فلا يزال الناس في القديم والحديث يختلفون، ولا يزال هذا الخلاف يوصلهم للحرب، وبعد الحرب نصر أو هزيمة، وبحث عن السلم وايقاف الحرب، ولا بد لهذا كله من قواعد يرجع الناس إليها وقد من الله علينا بالقرآن الكريم والسنة النبوية نرجع إليهما في كل حال؛ لأن الله أنزل الله القرآن هداية للناس في كل الأحوال؛ في السلم والحرب والشدة والرخاء وكان من ذلك ما ذكره الله تعالى في سورة بدر (الأنفال) من أوامر ونواهي تتعلق بعلاقة الأمة بغيرها من الأمم في الحرب والسلم، وهذا ما نسوقه الآن بإذن الله تعالى عسى الله أن ينفع به الإسلام والمسلمين إنه جواد كريم؛

الأولى: وُجُوبُ إِعْدَادِ الأُمَّةِ كُلَّ مَا تَسْتَطِيعُهُ مِنْ قُوَّةٍ لِقِتَالِ أَعْدَائِهَا؛ وَهُوَ الْمُشَارُ إِلَيْهِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: "وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ" (الأنفال: ٦٠) فِي كُلِّ زَمَانٍ بِحَسْبِهِ؛ فَيَدْخُلُ فِي ذَلِكَ عَدَدُ الْمُقَاتِلَةِ، وَلاَ يُمْكِنُ هَذَا فِي أُمَمِ الْحَضَارَةِ إِلاَّ بِمُقْتَضَى نِظَامٍ عَامٍّ...قال السعدي: أي «وَأَعِدُّوا» لأعدائكم الكفار الساعين في هلاككم وابطال دينكم. «مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ» أي: كل ما تقدرون عليه من القوة العقلية والبدنية وأنواع الأسلحة ونحو ذلك مما يعين على قتالهم، فدخل في ذلك أنواع الصناعات التي تعمل فيها أصناف الأسلحة والآلات من المدافع والرشاشات، والبنادق، والطيارات الجوية، والمراكب البرية والبحرية، والحصون والقلاع والخنادق، وآلات الدفاع، والرأي: والسياسة التي بها يتقدم المسلمون ويندفع عنهم به شر أعدائهم، وتعلُّم الرَّمْي، والشجاعة والتدبير. (تفسير السعدي: ص٣٢٤).

الثانية: أَنْ يَكُونَ الْقَصْدُ الأَوَّلُ مِنْ إِعْدَادِ هَذِهِ الْقُوَى وَالْمُرَابَطَةِ تَخْوِيفُ الأَعْدَاءِ مِنْ عَاقِبَةِ التَّعَدِّي عَلَى بِلاَدِ الأُمَّةِ أَوْ مَصَالِحِهَا أَوْ عَلَى أَفْرَادٍ مِنْهَا أَوْ مَتَاعٍ لَهَا حَتَّى فِي غَيْرِ بِلاَدِهَا، لأَجْلِ أَنْ تَكُونَ آمِنَةً فِي عُقْرِ دَارِهَا، مُطْمَئِنَّةً عَلَى أَهْلِهَا وَمَصَالِحِهَا وَأَمْوَالِهَا، وَهَذَا مَا يُسَمَّى فِي عُرْفِ هَذَا الْعَصْرِ بِالسِّلْمِ الْمُسَلَّحِ، وَتَدَّعِيهِ الدُّوَلُ الْعَسْكَرِيَّةُ فِيهِ زُورًا وَخِدَاعًا، وَلَكِنَّ الإِسْلاَمَ امْتَازَ عَلَى الشَّرَائِعِ كُلِّهَا بِأَنْ جَعَلَهُ دِينًا مَفْرُوضًا، فَقَيَّدَ الأَمْرَ بِإِعْدَادِ الْقُوَى وَالْمُرَابَطَةِ بِقَوْلِهِ: "وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ" (الأنفال: ٦٠).

وهذه العلة - وهي تخويف العدو- موجودة في الخيل في ذلك الزمن والحكم يدور مع علته، فإذا كان شيء موجود أكثر تخويفًا منها، كالسيارات البرية والهوائية، المعدة للقتال التي تكون النكاية فيها أشد، كانت مأمورًا بالاستعداد بها، والسعي لتحصيلها، حتى إنها إذا لم توجد إلا بتعلُّم الصناعة، وجب ذلك، لأن ما لا يتم

Upload by: altawhedmag.com

الواجب إلا به، فهو واجب...

وهذا واضح أن الإعداد ليس القصد منه الاعتداء على الغير سواء الدول أو الأفراد، وواضح-أيضًا- في أن قوله "ترهبون" لا يراد منه ما يفهم من مصطلح الإرهاب في العصر الحديث من الاعتداء على الآخرين أو قتل الأبرياء أو تخريب المنشئات وإنما هو للحماية والردع دون حرب ما أمكن؛ فكلما رأى العدو قوة المسلمين كان أدعى للكف عنهم بخلاف الضعفاء، وهذا يوضحه التاريخ؛ فعلى سبيل المثال لم يقم الكفار من أهل مكة بعقد صلح مع المسلمين إلا لما رأوا القوة عندهم، وكذلك في العصر الحديث كلما كانت الدولة أقوى صالحها غيرها...

الثالثة: "من أعظم ما يعين على قتالهم إنفاق المال في سبيل الله" لإعداد ما ذُكر إذ لا يتم بدون المال شيء منه، ولذلك قال بعد ما ذكر من هذه الآية: "وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ" (الأنفال: ٦٠)؛ وقد كان هذا الإنفاق في العصر الأول موكولاً إلى إيمان المؤمنين في يُسرهم وعُسرهم، كما ترى في أخبار غزوة تبوك المجملة في سورة التوبة والمفصلة في السيرة النبوية، وقد جعل الله له سهمًا من مال الزكاة، في سورة التوبة وهي قد نزلت بعد الأنفال مفصلة لكثير من إجمالها، ومنه هذا الترغيب الصريح في الإنفاق لإعداد القوى العسكرية، وفيه إشارة إلى الترهيب، وإنذار على التقصير.

الرابعة: "في الحرب المفروضة شرعًا" ورد الأمر بقتال المعتدين لما سيأتي من درء المفاسد وتوطيد المصالح، مقترنًا بالنهي عن قتال الاعتداء والبغي والظلم، والشاهد عليه قوله تعالى: "وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ" وتعليل النهي عن قتال الاعتداء بأن الله تعالى لا يحب المعتدين مطلقًا، دليل على أن هذا النهي محكم غير قابل للنسخ...

الخامسة: "في الغرض من الحرب ونتيجتها" وهي أن تكون الغاية الإيجابية من القتال- بعد دفع الاعتداء والظلم واستتباب الأمن- حماية الدين، وعبادة المسلمين لله وحده، ومصلحة البشر، وإسداء الخير إليهم، لا الاستعلاء عليهم والظلم لهم.

والشاهد الأول عليه قوله تعالى بعد الإذن الأول بالقتال الدفاعي للمظلومين الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق لأجل عبادة الله وحده: "وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ" والشاهد الثاني قوله تعالى: "وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ انتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ" (الأنفال: ٣٩) وقد كان المشركون يضطهدون المسلمين بكل ما قدروا عليه من الإيذاء والتعذيب لأجل دينهم، وأما المسلمون فلم يفعلوا ذلك، ومن عساه شذ عن ذلك فقد خالف دين الإسلام الذي حرم الفتنة وحرم الإكراه في الدين، وشرع فيه الاختيار.

السادسة: "وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا" (الأنفال: ٦١) هذه القاعدة مبنية على ما سبق فإذا علم: أن الحرب ضرورة يقتضيها ما ذكر فيهما من المصالح ودفع المفاسد، وأن السلم هي الأصل التي يجب أن يكون عليها الناس؛ فلهذا أمرنا الله بإيثارها على الحرب إذا جنح العدو لها، ورضي بها، والشاهد عليه قوله تعالى: "وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ" (الأنفال: ٦١).

فهذا هو إيثار السلم على الحرب التي لا تقصد لذاتها، بل هي ضرورة من ضرورات الاجتماع تقدر بقدرها، وذلك قوله تعالى عقب الأمر بإعداد كل ما تستطيعه الأمة من قوة ومرابطة لتخويف عدوه وعدوها، ولما كان جنوح العدو للسلم قد يكون خديعة لنا لنكف عن القتال، ريثما يستعدون هم له أو لغير ذلك من ضروب الخداع، وكان من المصلحة في هذه الحال أن لا نقبل الصلح منهم، ما لم نستفد كل ما يمكننا منه تفوقنا عليهم- لم يعد الشارع احتمال ذلك مانعًا من ترجيح السلم، بل قال عز وجل: "وَإِن يُرِيدُوا أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ" (الأنفال: ٦٢) وهو برهان على أن الإسلام دين السلام، لكن عن قدرة وعزة، لا عن

Upload by: altawhedmag.com

ضعف وذلة.

السابعة: المحافظة على الوفاء بالعهد والميثاق في الحرب والسلم..

الثامنة: تحريم الخيانة سرًا أو جهرًا والآيات في ذلك متعددة محكمة لا تدع مجالا لإباحة نقض العهد بالخيانة؛ قال تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ" (الأنفال: ٢٧).

التاسعة: نبذ العهد بشرطه إذا خيف من العدو المعاهد لنا أن يخون في عهده، وظهرت آية ذلك في قوله أو عمله، فحينئذ يجب على الإمام أن ينبذ إليه عهده على طريق عادل سوي صريح لا خداع فيه ولا خيانة. وذلك قوله: "وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ" (الأنفال: ٥٨)، وهذا من الفضائل التي يمتاز بها التشريع الإسلامي على جميع شرائع الأمم وقوانينها.

العاشرة: وجوب معاملة ناقضي العهد بالشدة التي يكونون بها عبرة ونكالا لغيرهم، تمنعهم من الجرأة والإقدام على مثل خيانتهم قال تعالى: "فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ" (الأنفال: ٥٧).

الحادية عشرة: "الثبات في القتال من أسباب النصر المعنوية".

الثانية عشرة: ذكر الله تعالى عند لقاء العدو....

الثالثة عشرة: طاعة الله ورسوله، وهي من أسباب النصر المعنوية بنص قوله تعالى عطفا على السببين السابقين: "وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ" (الأنفال: ٤٦) إلخ.

الرابعة عشرة: وجوب الصبر، وكونه أعظم أسباب النصر "وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ" (الأنفال: ٤٦).

الخامسة عشرة: التوكل على الله تعالى، وكونه أمر الله تعالى به في هذه السورة في مقام توطين النفس على إيثار السلم على الحرب، وثبوت الصلح من الأعداء مع احتمال إرادتهم به الخداع "وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ" (الأنفال: ٦١).

السادسة عشرة: اتقاء التنازع... وذلك قوله تعالى: "وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ" (الأنفال: ٤٦).

السابعة عشرة: اتقاء البطر ومراءاة الناس كما في قوله: "وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِم بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ" (الأنفال: ٤٧).

الثامنة عشرة: تحريم التولي من الزحف، والوعيد عليه في قوله تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ" (الأنفال: ١٥) إلخ.

التاسعة عشرة: منع اتخاذ الأسرى ومفاداتهم بالمال في حال الضعف، وتقييد جواز ذلك بالإثخان في الأرض بالقوة والعزة والسيادة. "مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ" (الأنفال: ٦٧).

العشرون: ترغيب الأسرى في الإيمان وإنذارهم خيانة المسلمين بعد إطلاقهم بمن أو فداء. يا أيها النبي قل لمن في أيديكم من الأسرى إن يعلم الله في قلوبكم خيرا يؤتكم خيرا مما أخذ منكم ويغفر لكم والله غفور رحيم (الأنفال: ٧٠).

الحادي العشرون: "الرحمة في الحرب" إذا كان الغلب والرجحان في القتال للمسلمين وأمنوا على أنفسهم ظهور العدو عليهم، فالله تعالى يأمرهم أن يكفوا عن القتل، ويكتفوا بالأسر، ثم يخيرهم في الأسارى إما بالمن عليهم بإطلاقهم بغير مقابل، وإما بأخذ الفداء عنهم، وذلك نص قوله تعالى في سورة محمد- صلى الله عليه وسلم-: "فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ" (محمد: ٤) الآية.

الحادية والعشرون: ولاية النصرة بين المؤمنين، وأصله ما كان بين المهاجرين والأنصار...

تفسير المنار (١٠/ ١٢٥-١٣٠ و١١/ ٢٢٩).

فهذه أهم الأسس التي يقوم عليها السلم سائلين الله تعالى أن يسلمنا من كل مكروه وسوء

وأن ينصر الإسلام والمسلمين،

والحمد لله رب العالمين.

Upload by: altawhedmag.com

وفاة رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم

إعداد: د/ سيد عبد العال

الحمد لله رب العالمين، وأشهد ألا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم.

أما بعد: ففي أثناء الرجوع من بدر إلى المدينة وقع حدث مهم في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ ألا وهو "وفاة رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم"؛ وهذا الحدث، ولو لم يكن عريض الذيل في عرضه إلا أنه عظيم جليل في فوائده؛ لأنه يمس البيت النبوي مباشرة من جهة، ومن جهة يمس اعتقادنا في الصحابة بالنسبة لعثمان رضي الله عنه، ويمس اعتقادنا من جهة حرمة الخروج على ولاة الأمر بالنسبة لعثمان والخوارج؛ حيث كان من مسوغاتهم في الخروج عليه، وقتله: عدم شهوده بدرًا.

أولًا: ذكر الحدث:

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: إِنَّمَا تَغَيَّبَ عُثْمَانُ عَنْ بَدْرٍ، فَإِنَّهُ كَانَتْ تَحْتَهُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكَانَتْ مَرِيضَةً، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّ لَكَ أَجْرَ رَجُلٍ مِمَّنْ شَهِدَ بَدْرًا وَسَهْمَهُ" صحيح البخاري (٣١٣٠).

وكلف معه بهذا المهمة أسامة بن زيد رضي الله عنهما: " فَوَافَقَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ ابْنَةُ أُسَامَةَ حِينَ سَوَّى التُّرَابَ عَلَى رُقَيَّةَ". الكبرى للبيهقي (٢٩٣/٩)، الكبير للطبراني (١٠٥٨)، والمستدرك (٥٠٢٣)؛ قال الحاكم: صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ.

وفيه مسائل:

الأولى: هي رقيَة بنت سيد البشر صلى الله عليه وسلم: الهاشمية؛ وُلدَت قبل البعثة بسبع سنين، وقال أبو عمر: لا أعرف خلافًا أنَ زينب أكبر بنات النبي صلى الله عليه وسلم، واختلف في رقية وفاطمة وأم كلثوم، والأكثر أنهنَ على هذا الترتيب.

وتزوجها عتبة بن أبي لهب قبل النبوة، فلما بعث قال أبو لهب: رأسي من رأسك حرام إن لم تطلق ابنته؛ ففارقها ولم يكن دخل بها؛ فتزوجها عثمان؛ فولدت له ولدًا؛ فسماه عبد الله.

وَكَانَ عُمُرُ رُقَيَّةَ لَمَّا مَاتَت عشرين سنة. الإصابة (١٣٨/٨)، وأسد الغابة (٢٨٥/٥)، وفتح الباري (٥٩/٧).

وهكذا يبتلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بفقد ابنته؛ فيصبر ويحتسب، وكما أخبر صلى الله عليه وسلم أن أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الصالحون ثم الأمثل فالأمثل. ولنا فيه الأسوة الحسنة. وفيه: سُنة الأخذ بالأسباب.

الثانية: رد شبهة الخوارج عن عثمان؛ حيث سوغوا الخروج عليه بأمور منها "أنه لم يشهد بدرا"

Upload by: altawhedmag.com

وذلك من وجوه:

الأول: أن تخلف عثمان رضي الله عنه كان بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولذلك أسهم له رسول الله صلى الله عليه وسلم، ووعده أجر من شهد بدرا؛ فهو وإن لم يشهد بدرا، ولكنه كمن شهدها؛ وعلم ذلك الصحابة رضوان الله عليهم؛ واستمر الأمر على ذلك، حتى انفجر خبثُ الفتنة، وبدأ الخارجون على عثمان رضي الله عنه يتلمسون ما يظهرون للناس أنهم سوغوا به الخروج عليه؛ فعابوه بعدم شهوده بدرا، ولكن أهل البصيرة يعلمون: أن عدم شهوده رضي الله عنه هذه الغزوة إنما كان بأمر من النبي صلى الله عليه وسلم، ومن شهد بدرًا لم يحصّل ذاك الأجر العظيم إلا لامتثاله أمره صلى الله عليه وسلم؛ فالمتخلف بأمره والشاهد بأمره سواء بسواء، وبناء على ذلك ذكره الزهري، وابن إسحاق، وغيرهما فيمن شهد بدرا.

وهذا ما دافع به عبد الله بن عمر عن عثمان رضي الله عنه أمام من يردد الطعن دون فهم ولا وعي؛ فعن عثمان بن مَوْهَب، قال: جَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ مِصْرَ حَجَّ الْبَيْتَ، فَرَأَى قَوْمًا جُلُوسًا، فَقَالَ: مَنْ هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ؟ فَقَالُوا هَؤُلَاءِ قُرَيْشٌ، قَالَ: فَمَنِ الشَّيْخُ فِيهِمْ؟ قَالُوا: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ، قَالَ: يَا ابْنَ عُمَرَ، إِنِّي سَائِلُكَ عَنْ شَيْءٍ؛ فَحَدِّثْنِي، هَلْ تَعْلَمُ أَنَّ عُثْمَانَ فَرَّ يَوْمَ أُحُدٍ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: تَعْلَمُ أَنَّهُ تَغَيَّبَ عَنْ بَدْرٍ وَلَمْ يَشْهَدْ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: تَعْلَمُ أَنَّهُ تَغَيَّبَ عَنْ بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ فَلَمْ يَشْهَدْهَا؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: اللَّهُ أَكْبَرُ، قَالَ: ابْنُ عُمَرَ: تَعَالَ أُبَيِّنْ لَكَ، أَمَّا فِرَارُهُ يَوْمَ أُحُدٍ، فَأَشْهَدُ: أَنَّ اللَّهَ عَفَا عَنْهُ وَغَفَرَ لَهُ، وَأَمَّا تَغَيُّبُهُ عَنْ بَدْرٍ فَإِنَّهُ كَانَتْ تَحْتَهُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكَانَتْ مَرِيضَةً، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّ لَكَ أَجْرَ رَجُلٍ مِمَّنْ شَهِدَ بَدْرًا، وَسَهْمَهُ"، وَأَمَّا تَغَيُّبُهُ عَنْ بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ، فَلَوْ كَانَ أَحَدٌ أَعَزَّ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ عُثْمَانَ لَبَعَثَهُ مَكَانَهُ، فَبَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عُثْمَانَ وَكَانَتْ بَيْعَةُ الرِّضْوَانِ بَعْدَ مَا ذَهَبَ عُثْمَانُ إِلَى مَكَّةَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِيَدِهِ الْيُمْنَى: "هَذِهِ يَدُ عُثْمَانَ". فَضَرَبَ بِهَا عَلَى يَدِهِ، فَقَالَ: "هَذِهِ لِعُثْمَانَ"، فَقَالَ لَهُ ابْنُ عُمَرَ: اذْهَبْ بِهَا الْآنَ مَعَكَ. صحيح البخاري (٣٦٩٨و٤٠٦٦).

قوله: "اذهب بها الآن معك"، أي: اقرن هذا العذر بالجواب حتى لا يبقى لك فيما أجبتك به حجة على ما كنت تعتقده من غيبة عثمان، رضي الله تعالى عنه. عمدة القاري (٢٠٧/١٦).

فهذا بيان ابن عمر رضي الله عنهما قطع قول كل خارجي مارق كما قطعت جهيزة قول كل خطيب؛ بين: أنه لم يتخلف إلا طاعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

الثاني: أن مما يكشف زيف استساغتهم الخروج عليه، بعدم شهوده بدرًا، عدم عيبهم لسائر المتخلفين عنها الذين لم يتهيأ لهم الخروج إليها، مع أن عذره أقوى من عذرهم؛ مما يؤكد أنهم يتصيدون ما يمهدون به للخروج على الخليفة؛ فحسب...

الثالث: أن النفير لم يكن عامًا، وبسبب ذلك تخلف عن بدر كثير من الصحابة رضوان الله عليهم ممن كانوا في العوالي، وممن لم يحضروا ساعة الاستعداد للرحيل، لشدة استعجال النبي صلى الله عليه وسلم؛ فعدم حضور بدر ليس بعيب في آحاد الصحابة رضوان الله عليهم الذين لم يأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخروج؛ فكيف يكون عيباً فيمن قعد لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم.

الرابع: لو كان عثمان رضي الله عنه آثما؛ لتخلفه عن غزوة بدر؛ لعاتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك؟ فهل هؤلاء الطاعنون فيه أعرف بدين الله من رسول الله صلى الله عليه وسلم؟!

الخامس: أن المتجرد من الهوى يأخذ من عدم شهوده بدرا فضلًا ومزيّة له على من شهدها، وذلك: أنه حصل على الأجر الدنيوي والأخروي الذي حصلوا عليه، وزاد تمريض رقية وشهود جنازتها وهو من أفضل القربات. فتنة مقتل عثمان (٧٣/١)، والإمامة والرد على الرافضة (٣٠١).

الثالثة: ذكر من تخلف لعذر غير عثمان رضي الله عنه

- طَلْحَةَ بْنَ عُبَيْدِ اللَّهِ، وسَعِيدَ بْنَ زَيْدٍ رَضِيَ

Upload by: altawhedmag.com

اللَّهُ عَنْهُمَا؛ بَعَثَهُمَا رَسُولُ اللَّهِ -صلى اللَّه عليه وسلم- يتَحَسَّسَان خَبَرَ العِيرِ، فقدما؛ فلقياهُ مُنْصَرِفًا مِنْ بَدْرٍ؛ فَلَمْ يَشْهَدَا الوَقْعَةَ، وَضَرَبَ لَهُمَا رَسُولُ اللَّهِ بِسُهْمَانِهِمَا وَأَجْورِهِمَا فِي بَدْرٍ. الطبقات الكبرى (٣/٣٨٣)، والمستدرك (٥٥٨٦).

- أَبُو لُبَابَةَ بْنُ عَبْدِ المُنْذِرِ الأَنْصَارِيُّ؛ رَدَّهُ رَسُولُ اللَّهِ -صلى اللَّه عليه وسلم- مِنَ الرَّوْحَاءِ، واسْتَخْلَفَهُ عَلَى المَدِينَةِ. وقد وصف في الصحيح بأنه "بدري". البخاري (٤٠١٦).

- أَبُو أُمَامَةَ بْنُ ثَعْلَبَةَ الأَنْصَارِيُّ؛ أَجْمَعَ عَلَى الخُرُوجِ ثم جلس ليمرِّض أمه بأمر رسول الله. أسد الغابة (٤/٣٧٥).

- عَاصِمُ بْنُ عَدِيٍّ العَجْلَانِيُّ؛ خَلَفَهُ عَلَى قُبَاءَ وَأَهْلِ العَالِيَةِ "فَضَرَبَ لَهُ بِسَهْمٍ وَأَجْرِهِ فَكَانَ مِمَّنْ شَهِدَهَا" المستدرك (٥٨٢٥).

- الحَارِثُ بْنُ الصِّمَّةِ؛ وَقَعَ فَكُسِرَ بِالرَّوْحَاءِ، فَرُدَّهُ إِلَى المَدِينَةِ. الطبقات الكبرى (١/٢٥٤).

- خَوَّاتُ بْنُ جُبَيْرٍ؛ لَمَّا بَلَغَ الصَّفْرَاءَ أَصَابَ سَاقَهُ حَجَرٌ؛ فَكُسِرَ، فَرَجَعَ. الاستيعاب (٢/٣٨).

- حُذَيْفَةُ بْنُ اليَمَانِ -رضي اللَّه عنه-؛ كان قد عاهد المشركين ألا يقاتلهم؛ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "نَفِي لَهُمْ بِعَهْدِهِمْ، وَنَسْتَعِينُ اللَّهَ عَلَيْهِمْ". صحيح مسلم (١٧٨٧).

ومن هذا القبيل جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ؛ فَقَدْ رَوَى أَبُو دَاوُدَ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ عَنْهُ قَالَ كُنْتُ أَمِيحُ المَاءَ لأَصْحَابِي يَوْمَ بَدْرٍ. سنن أبي داود (٢٧٣١). المائح هو الذي ينزل إلى أسفل البئر فيملأ الدلو ويرفعها إلى الماتح وهو الذي ينزع الدلو. معالم السنن (٢/٣٠٧). وعنه أنه قال: "لم أشهد بدرا" مسلم (١٨١٣)

مَنْ حَضَرَ وَلَمْ يُقَاتِلْ:

- أَنَسٌ -رضي اللَّه عنه-؛ عَنْ ثُمَامَةَ قَالَ: قِيلَ لأَنَسٍ: اشْهِدْتَ بَدْرًا؟ قَالَ: وَأَيْنَ أُغَيَّبُ عَنْ بَدْرٍ لا أُمَّ لَكَ" المستدرك (٦٤٤٦) قال ابن حجر: عند أحمد بسند صحيح.

قَالَ الحَافِظُ: خَدَمَ الرَّسُولَ -صلى اللَّه عليه وسلم- عَشْرَ سِنِينَ، وَذَلِكَ يَقْتَضِي: أَنَّ ابْتِدَاءَ خِدْمَتِهِ لَهُ حِينَ قُدُومِهِ المَدِينَةَ، فَكَأَنَّهُ خَرَجَ مَعَهُ إِلَى بَدْرٍ، أَوْ مَعَ زَوْجِ أُمِّهِ أَبِي طَلْحَةَ، وإنما لم يذكروه في البدريين، لأنه لم يكن في سن من يقاتل. الإصابة (١/٢٧٦).

- حَارِثَةُ بْنُ سُرَاقَةَ -رضي اللَّه عنه-؛ جَاءَ يَوْمَ بَدْرٍ نَظَّارًا، وَكَانَ غُلامًا، فَجَاءَ سَهْمٌ غَرْبٌ فَوَقَعَ فِي ثُغْرَةِ نَحْرِهِ فَقَتَلَهُ. وَذَكَرَهُ البُخَارِيُّ فِيمَنْ شَهِدَ بَدْرًا.

- سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ -رضي اللَّه عنه-؛ قَالَ الحَافِظُ: لَمْ يَشْهَدْ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ -رضي اللَّه عنه- بَدْرًا، وَإِنْ كَانَ يُعَدُّ فِيهِمْ؛ لِكَوْنِهِ مِمَّنْ ضُرِبَ لَهُ بِسَهْمِهِ، وقد ذَكَرَ البُخَارِيُّ، وغيره: أَنَّهُ شَهِدَ بَدْرًا.

وهو الراجح؛ لما ثبت في صحيح مسلم أنه كان فيمن اسْتَشَارَهم الرَّسُولُ -صلى اللَّه عليه وسلم- في شأن القتال في بدر. فتح الباري (٧/٢٩٢)، عمدة القاري (١٧/٨٢)، واللؤلؤ المكنون (٢/٣٣٥-٣٤٣).

وقال ابن حجر في ذكر الخلاف في عدد من شهد بدرا: وإذا تحرر هذا الجمع؛ فليعلم: أن الذي شهد القتال منهم ثلاثمائة وخمسة أو ستة... ثم قال: وجه الجمع بأن ثمانية أنفس عُدُّوا في أهل بدر ولم يشهدوها وإنما ضرب لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم معهم بسهامهم؛ لكونهم تخلفوا لضرورات لهم وهم عثمان بن عفان تخلف عن زوجته رقية، وطلحة وسعيد بن زيد بعثهما يتجسسان عير قريش فهؤلاء من المهاجرين وأبو لبابة، استخلفه على المدينة، وعاصم بن عدي استخلفه على أهل العالية والحارث بن حاطب على بني عمرو بن عوف والحارث بن الصمة وقع؛ فكسر بالروحاء فرده إلى المدينة، وخوات بن جبير كذلك هؤلاء الذين ذكرهم ابن سعد وذكر غيره سعد بن مالك الساعدي والد سهل مات في الطريق، وممن اختلف فيه هل شهدها، أورد لحاجة سعد بن عبادة وقع ذكره في مسلم، وصبيح مولى أحيحة رجع لمرضه فيما قيل، وقيل: إن جعفر بن أبي طالب ممن ضرب له بسهم نقله الحاكم. فتح الباري (٧/٢٩٢).

ونكتفي بهذا القدر، والحمد لله رب العالمين.

Upload by: altawhedmag.com

بشارة عباد الله بثمرات الزكاة

د/ سيد عبد العال

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله.

أما بعد: فمن أهم أحداث السنة الثانية من الهجرة مشروعية الزكاة، وقد ساق الله لنا خيرًا عظيمًا بهذه الشعيرة المباركة كما يبدو لنا في السطور التالية:

أولًا: مفهوم الزكاة: لغة وشرعًا

الزكاة لغة: النماء والزيادة والبركة والطهارة والصلاح.

وتطلق في الشرع على الحصة المقدرة من المال التي فرضها الله للمستحقين، كما تطلق على نفس إخراج تلك الحصة.

(معجم المصطلحات المالية في لغة الفقهاء: ص٢٣٧).

ثانيًا: منزلة الزكاة في الإسلام

١- الزكاة: الركن الثالث من أركان الإسلام، فهي أحد مباني الإسلام؛ لحديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "بني الإسلام على خمس وذكر منها "إيتاء الزكاة" (صحيح البخاري: ٨).

٢- الزكاة: قرينة الصلاة في كتاب الله تعالى، فقد جمع الله بينها وبين الصلاة في مواضع كثيرة في كتابه الكريم، وهذا يدل على عظم مكانتها عند الله عز وجل، وعظم شأنها، قال الله تعالى: "وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ" وهذا موضع من ست وعشرين موضعًا كل موضع قرنت فيه الزكاة مع الصلاة في آية واحدة، وفي الموضع السابع والعشرين جاءت في سياق واحد مع الصلاة، وإن لم تكن معها في آية واحدة، وهي قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ۝٢ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾ (المؤمنون/١: ٤).

٣- وأما سنة النبي صلى الله عليه وسلم فقد اعتنت بالزكاة عناية دقيقة فائقة؛ فقد جاءت الأحاديث الصحيحة الكثيرة في العناية بالزكاة، والأمر بإخراجها، وبيان وجوبها، واثم تاركها، وقتال من منعها، وبيان أصناف الأموال الزكوية، وأوضحت النصب ومقاديرها، وبينت السنة أحكام الزكاة بالتفصيل، وكذلك اعتنت السنة المطهرة ببيان أصناف أهل الزكاة الثمانية، وهذا كله يدل على عظم شأن الزكاة وعلو منزلتها في الإسلام. (منزلة الزكاة في الإسلام: ص١٦).

Upload by: altawhedmag.com

ثالثًا: فوائد الزكاة وحكمها

تأمل يا عبد الله مدى فضل الله عليك في مشروعية الزكاة فيما يلي:

١- إتمام إسلام العبد وإيمانه؛ لأنها أحد أركان الإسلام، وهذا غاية عظيمة لكل مسلم. (الشرح الممتع: ٦/ ١٠).

وقال صلى الله عليه وسلم: "لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه -أو قال- لجاره ما يحب لنفسه" (صحيح مسلم: ٤٥)، فكما أن المسلم يحب أن يبذل له المال الذي يسد به حاجته، فهو يحب أن يحصل لأخيه مثل ذلك وهذا من كمال الإيمان.

٢- حصول طاعة الله بتنفيذ أمره؛ رجاء ثوابه وخشية عذابه، وابتغاء رضوانه.

٣- تثبيت أواصر المحبة بين الغني والفقير؛ لأن النفوس مجبولة على حب من أحسن إليها.

٤- تطهير النفس وتزكيتها، والبعد بها عن خُلق الشح والبخل؛ قال تعالى: "خُذْ مِنْ أَمْوالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا". وقال تعالى: "وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ".

٥- تعويد المسلم على صفة الجود، والكرم، والعطف على ذوي الحاجات؛ والرحمة للفقراء.

٦- استجلاب البركة والزيادة والخلف من الله تعالى، كما قال عز وجل: "وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ"؛ وفي الحديث القدسي: "قال الله: أنفق يا ابن آدم أنفق عليك" (صحيح البخاري: ٥٣٥٢).

وقال صلى الله عليه وسلم: "ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان، فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقاً خلفًا، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكاً تلفًا" (صحيح البخاري ١٤٤٢).

٧- برهان على صدق إسلام مخرجها؛ لحديث أبي مالك الأشعري- رضي الله عنه-، وفيه: "والصدقة برهان...." (صحيح مسلم ٢٢٣).

٨- السعادة وشرح الصدر؛ فالكريم المحسن أشرح الناس صدرًا، وأطيبهم نفسًا، وأنعمهم قلبًا، والبخيل الذي لا يحسن أضيق الناس صدرًا، وأنكدهم عيشًا، وأكثرهم همًا وغمًا، لكن لا بد من العطاء بطيب نفس، ويخرج المال من قلبه قبل أن يخرجه من يده. (زاد المعاد: ٢/ ٢٥).

٩- من أسباب دخول الجنة؛ لقوله صلى الله عليه وسلم: "إن في الجنة غرفًا يُرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها، أعدها الله تعالى لمن أطعم الطعام، وألان الكلام، وتابع الصيام، وأفشى السلام، وصلى بالليل والناس نيام" فهل من مشمر لهذه الغرف بإيتاء الزكاة وكثرة الصدقات.

١٠- تجعل المجتمع المسلم كالأسرة الواحدة، يرحم القوي القادر الضعيف العاجز، والغني يحسن إلى المعسر، فيشعر صاحب المال بوجوب الإحسان عليه كما أحسن الله إليه، قال الله تعالى: "وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ" فتصبح الأمة الإسلامية كأنها عائلة واحدة.

١١- تطفئ حرارة ثورة الفقراء؛ لأن الفقير قد يغضب، لما يرى من تنعم الأغنياء، فإذا جاد الأغنياء على الفقراء كسروا ثورتهم وهدؤوا غضبهم.

١٢- تمنع الجرائم المالية مثل: السرقات، والنهب، وما أشبه ذلك؛ لاستغناء الفقراء عن هذه الجرائم بإعطائهم الزكاة أو بالصدقة والإحسان إليهم.

١٣- النجاة من حرّ يوم القيامة؛ قال النبي صلى الله عليه وسلم في الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: "ورجل تصدق بصدقة فأخفاها، حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه" (صحيح البخاري ١٤٢٣).

١٤- سبب لنزول الخيرات ودفع العقوبات؛ لحديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، وفيه: "ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا مُنعوا القطر من السماء، ولولا البهائم لم يمطروا" (ابن ماجه، ٤٠١٩ وصححه الألباني.

١٥- تطفئ الخطايا وتكفرها؛ لقوله: "والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار". (الترمذي: ٢٦١٦).

١٦- الزيادة الناتجة عن شكر النعمة بإيتاء الزكاة؛ لقول الله تعالى: "وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ".

١٧- مضاعفة الأجر عند الله تعالى؛ لقول الله تعالى: «مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ

Upload by: altawhedmag.com

مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم».

١٨- وقاية صاحب المال من العذاب به: فإن الذي لا يؤدي زكاة ماله يعذب بماله في الآخرة. قال الله تعالى: "والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم × يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون".

١٩- تطهير المال: لأن الزكاة تطهيرٌ للمال؛ لقوله صلى الله عليه وسلم: "إن هذه الصدقات إنما هي أوساخ الناس..." (صحيح مسلم ١٠٧٢).

٢٠- استعانة الفقير بما يأخذ من الزكاة على طاعة الله. ولولا ذلك لاشتغل قلبه بالهموم شغلاً يمنعه من العبادة.

٢١- ترغيب الفقير في فعل الخيرات والإحسان إلى من دونه؛ لما يرى من إحسان الغني إليه.

٢٢- تحقيق أهم عناصر التمكين في الأرض والنصر على الأعداء. قال الله تعالى: "الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور".

٢٣- شهد الله تعالى للمنفقين بالهدى والفلاح. قال الله عز وجل: "ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين × الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون...." ثم قال: أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون". فأداء الزكاة من أعظم صفات أهل التقوى الذين ينتفعون بالقرآن.

٢٤- قضاء الحوائج وتفريج الكربات: لأن الجزاء من جنس العمل؛ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة... والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه" (صحيح مسلم ٢٦٩٩).

٢٥- من أسباب النصر والرزق: لقوله صلى الله عليه وسلم "هل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم؟" (صحيح البخاري ٢٨٩٦).

٢٦- النجاة من الخوف والحزن "الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون".

٢٧- في إعطاء الزكاة للمؤلفة قلوبهم: ترغيبهم في الإسلام، وتحبيبه إليهم، وتقوية ما في قلوبهم من الإيمان، أو كف شرهم عن المسلمين، وإيصال الدعوة إلى من لديهم من المستضعفين.

٢٨- في إعطاء الغارمين الزكاة نوع من التخفيف عنهم من همّ الديون بالليل وتحريرهم من ذلها بالنهار؛ فإن الدين همٌّ على المؤمن بالليل وذلٌّ بالنهار.

وكذلك مساعدة أبناء السبيل الذين انقطعت بهم الأسباب؛ فيصلهم إخوانهم بزكاة أموالهم ويبلغوهم ديارهم وأوطانهم.

٢٩- تجهيز المقاتلين في سبيل الله تعالى، وإعداد ما يلزم من العدد والعتاد، لقتال أعداء الإسلام، والدفاع عن الإسلام وديار المسلمين، وكف الظلم، ودفع العدوان "حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله". فتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى.

٣٠- مضاعفة الثواب والأجر العظيم لقوله صلى الله عليه وسلم: "من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب، ولا يقبل الله إلا الطيب فإن الله يتقبلها بيمينه ثم يربيها لصاحبه كما يربي أحدكم فلوه، حتى تكون مثل الجبل"؛ فتأمل كيف تصير التمرة عند الله مثل الجبل.

وفوق ذلك وعد الله تعالى المؤمنين المتصدقين بالجنة وما فيها من النعيم المقيم، والرضوان العظيم. قال الله تعالى: "والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم×وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم".

فاللهم إنا نسألك الجنة وما قرب إليها من قول أو عمل، والحمد لله رب العالمين.

Upload by: altawhedmag.com

مشروعية زكاة الفطر

إعداد د/ سيد عبد العال

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.

أما بعد: فما يزال حديثنا موصولاً في أحداث السنة الثانية من الهجرة. وفي هذه السنة شرعت زكاة الفطر. السيرة لابن كثير (٣٧٩/٢).

وكانت مشروعيتها قبل زكاة الأموال؛ عن قيس بن سعد قال: "كنا نعطي صدقة الفطر قبل أن تنزل الزكاة..."، سنده صحيح مسند أحمد (٢٣٨٤٣)..

١- الزكاة لغة: النماء، والزيادة، والطهارة، والبركة، والصلاح.

وأضيفت الزكاة إلى الفطر؛ لأنه سبب وجوبها أو زمنه.

واصطلاحًا: هي صدقة تجب بالفطر من رمضان. الزكاة في الإسلام (٢٠٧)، والشرح الممتع (١٤٩/٦).

٢: حكمها: ذهب جمهور الفقهاء إلى وجوب زكاة الفطر.

لحديث ابن عمر رضي الله عنهما، "أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَرَضَ زَكَاةَ الْفِطْرِ مِنْ رَمَضَانَ" صحيح مسلم (٩٨٤).

٣-شروط وجوب زكاة الفطر ثلاثة:

الأول: الإسلام: فلا تجب على كافر ولا تصح منه.

الثاني: أن يفضُل عنده عن قوته وقوت عياله يوم العيد وليلته صاع؛ لأن قوته وقوت عياله أهم فيجب تقديمه لقوله صلى الله عليه وسلم: "ابدأ بنفسك ثم بمن تعول"

ولا يشترط عند الجمهور خلافا للحنفية ملك النصاب لصدقة الفطر.

الثالث: دخول وقت الوجوب، وهو غروب شمس آخر يوم من رمضان أو طلوع الفجر صبيحة الفطر على الراجح. الفقه الميسر (١٠٥/٢)، والممتع (٧٥٠/١)، والمحلى بالآثار (٢٦٥/٤).

٤: حكمتها

- طُهرةٌ للصائم، من اللغو والرفث.

- طعمةٌ للمساكين، وإغناء لهم عن السؤال في يوم العيد.

- مواساةٌ: لفقراء المسلمين ذلك اليوم؛ لكي يتفرغ الجميع لعبادة الله تعالى، والسرور بهذا اليوم.

-فهي تقوّي روح الوحدة والتجانس والترابط والإخاء، فالمجتمع كالجسد الواحد إذا اشتكى منه مسلم اشتكى من ذلك جميع المسلمين.

وهذه الأمور تدخل في حديث ابن عباس رضي الله عنهما "فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم زكاة الفطر: طهرة للصائم، من اللغو، والرفث، وطعمة للمساكين" حسنه الألباني في صحيح أبي داود (١٦٠٩).

Upload by: altawhedmag.com

- حصول الثواب والأجر العظيم بدفعها لمستحقيها في وقتها المحدد.

- زكاة للبدن حيث أبقاه الله تعالى عاما من الأعوام، وأنعم عليه سبحانه بالبقاء؛ لهذا المعنى استوى في وجوبها الكبير والصغير، والذكر والأنثى، والغني والفقير، والكامل والناقص واستوى في مقدار الواجب؛ وهو الصاع.

- شكر نعم الله تعالى على الصائمين بإتمام الصيام، ولله حكم، وأسرار لا تصل إليها عقول العالمين. الزكاة في الإسلام (٢١١)، وإرشاد أولي البصائر للسعدي (١٣٤).

فإن قيل: قد شُرعت زكاة الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث، فلما تجب على من لم يصم لصغر أو مرض....؟

فالجواب من وجهين:

أولاً: أن زكاة الفطر شُرعت "طهرة للصائم من اللغو والرفث وطعمة للمساكين " فإذا انتفت العلة الأولى بقيت العلة الثانية.

ثانيا: أن الحكم في قوله "طهرة للصائم من اللغو والرفث" قد صدر للأغلب.

الأناة في قواعد فقه الزكاة (٨٠).

٥: على من تجب زكاة الفطر:

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه قال: "فَرَضَ رَسُولُ اللَّهِ- صلى الله عليه وسلم- زَكَاةَ الفِطْرِ صَاعًا مِنْ تَمْرٍ أَوْ صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ عَلَى العَبْدِ وَالحُرِّ وَالذَّكَرِ وَالأُنْثَى وَالصَّغِيرِ وَالكَبِيرِ مِنَ المُسْلِمِينَ وأمر بها أن تُؤَدَّى قبل خروج الناس إلى الصلاة" البخاري (١٥٠٣)، ومسلم (٩٨٤).

ويستحب إخراج زكاة الفطر عن الحمل؛ لفعل عثمان- رضي الله عنه-

أخرجه ابن أبي شيبة، (٤١٩/٣).

٦- وقت وجوب إخراج زكاة الفطر:

عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا "أنه أمر بها أن تؤدى قبل خروج الناس إلى الصلاة". البخاري (١٥٠٣). أي صلاة العيد. وفي رواية عن ابن عمر رضي الله عنهما: "وكانوا يعطون قبل الفطر بيوم أو يومين" البخاري، (١٥١١)، ومسلم (٩٨٤)، وحديث ابن عمر ظاهر في أنه أمر بها قبل الخروج إلى الصلاة؛ فهذا وقت وجوب أدائها. المحلى بالآثار (٢٦٥/٤)، والفقه الميسر (١٠٥/٢).

٧-هل يجوز إخراجها قبل العيد؟

الراجح: عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: "كانوا يعطون صدقة الفطر قبل العيد بيوم أو يومين" وذلك يدل إقرارها من النبي صلى الله عليه وسلم وإجماع الصحابة عليه. الفقه الميسر (١٠٧/٢).

٨-درجات إخراج زكاة الفطر:

الأولى: جواز تقديم زكاة الفطر قبل العيد بيوم أو يومين أو ثلاثة...

الثانية: وقت الوجوب: وهو غروب شمس آخر يوم من رمضان أو طلوع الفجر يوم العيد فمن مات بعد وجوب الزكاة ؛فليس عليه زكاة الفطر، ومن ولد حين ابيضاض الشمس من يوم الفطر فما بعد ذلك، أو أسلم كذلك؛ فليس عليه زكاة الفطر، ومن مات بين هذين الوقتين أو ولد أو أسلم أو تمادت حياته وهو مسلم؛ فعليه زكاة الفطر، فإن لم يؤدها وله مال؛ فهي دين عليه أبدا حتى يؤديها متى أداها. المحلى (٢٦٥/٤).

الثالثة: الأولى إخراج زكاة الفطر يوم الفطر قبل صلاة العيد؛ لأنها أقرب إلى إغنائهم عن السؤال يوم العيد.

الرابعة: لا يجوز تأخيرها بعد صلاة العيد على القول الصحيح، فمن أخرها بعد الصلاة بدون عذر، فعليه التوبة، وعليه أن يخرجها على الفور، وتكون صدقة من الصدقات.

والدليل على ذلك حديث ابن عباس رضي الله عنهما صريح في هذا، حيث قال: "من أداها قبل الصلاة فهي زكاة مقبولة، ومن أداها بعد الصلاة فهي صدقة من الصدقات" صحيح الجامع رقم (٣٥٧٠) وهذا نص في أنها لا تجزئ... الشرح الممتع (١٧١/٦).

ولكن لا تسقط زكاة الفطر بخروج وقتها؛ لأنها وجبت في ذمته لمن هي له، وهم مستحقوها؛ فهي دين لهم لا تسقط إلا بالأداء، أما حق الله في التأخير عن وقتها فلا يجبر إلا بالاستغفار والتوبة. الفقه الميسر (١٠٧/٢).

٩-مقدار زكاة الفطر:

المقدار الواجب إخراجه في الفطرة صاع من

Upload by: altawhedmag.com

جميع الأصناف التي يجوز إخراج الفطرة منها، واختلفوا في القدر المجزئ من القمح: فذهب الجمهور إلى أن الواجب إخراجه في القمح هو صاع منه. مستدلين بحديث ابن عمر السابق.

وذهب الحنفية، واختاره ابن تيمية، وابن القيم: إلى أن الواجب في القمح هو نصف صاع. الفقه الميسر (١٠٨/٢)، والاختيارات الفقهية، (١٨٣).

واستدل الحنفية بحديث معاوية أنه قال " إني أرى مدين من سمراء الشام تعدل صاعا من تمر، فأخذ الناس بذلك" مسلم (٩٨٥).

وقال ابن القيم: والمعروف: أن عمر بن الخطاب جعل نصف صاع من بر مكان الصاع من هذه الأشياء. صحيح سنن أبي داود (١٦١٤)، وفيه عن النبي صلى الله عليه وسلم آثار مرسلة ومسندة، يقوي بعضها بعضًا. زاد المعاد (١٨/٢).

ومنها أمره بصدقة الفطر: صاع تمر، أو صاع شعير: على كل رأس أو صاع بُر، أو قمح بين اثنين" وصححه الألباني في صحيح أبي داود (١٤٣٤).

ورجّح النووي الأول واختار ابن باز وابن عثيمين لقوة أدلته. شرح النووي على مسلم (٦٧/٧)، والزكاة في الإسلام (٢١٩).

ومقدار الصاع الذي تُؤدّى به زكاة الفطر أربعة أمداد،-أربع حفنات بملء اليدين المعتدلتين- من الطعام اليابس، كالتمر، والحنطة، ونحو ذلك." مجموع فتاوى ابن باز، (٢٠٤/١٤).

١٠-لمن تعطى زكاة الفطر؟

ذهب الحنفية والشافعية والحنابلة إلى أن زكاة الفطر تصرف كالزكاة في المصارف الثمانية، واستثنى الحنفية الذمي، وذهب المالكية إلى أنها لا تعطى إلا لفقير مسلم، وهذا اختيار ابن تيمية

وقال ابن القيم: وكان من هديه تخصيص المساكين بهذه الصدقة، ولم يكن يقسمها على الأصناف الثمانية قبضة قبضة، ولا أمر بذلك، ولا فعله أحد من أصحابه، ولا من بعدهم...وهذا القول أرجح من القول بوجوب قسمتها على الأصناف الثمانية. زاد المعاد (٢١/٢).

ولا يجوز وضعها في بناء مسجد أو مشاريع خيرية. وزاد المعاد (٢٢/٢).

١٠- حكم دفع القيمة في زكاة الفطر:

ذهب المالكية والشافعية والحنابلة إلى أنه لا يجوز دفع القيمة:

لأنه لم يرد نص بذلك. وذهب الحنفية إلى أنه يجوز دفع القيمة في صدقة الفطر رعاية لمصلحة الفقير. الموسوعة الفقهية (٣٤٤/٢٣).

والمختار هو القول الأول: لظاهر الدليل، ولأن حاجة الناس إلى الطعام لا تنفك وهي أشد وخصوصا في أيام الغلاء، وندرة السلع. راجع المغني (٣١٦/٤).

١١-صدقة الفطر تلزم المسلم عن نفسه وعن من يعول:

قال ابن المنذر رحمه الله: "وأجمعوا على أن صدقة الفطر تجب على المرء إذا أمكنه أداؤها عن نفسه، وأولاده الأطفال الذين لا أموال لهم" الإجماع (٥٥)، فتلزمه فطرتهم، كما تلزمه مؤنتهم، إذا وجد ما يؤدي عنهم لحديث ابن عمر رضي الله عنهما، قال: "أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بصدقة الفطر، عن الصغير، والكبير، ممن تمونون" حسنه الألباني في الإرواء (٨٣٥).

١٢- مكان زكاة الفطر وحكم نقلها:

السنة توزيعها بين الفقراء في بلد المزكي، وعدم نقلها إلى بلد آخر؛ لإغناء فقراء بلده وسد حاجتهم، إلا لضرورة أو مصلحة راجحة. مجموع فتاوى ابن باز (٢١٥/١٤)، وابن عثيمين (١٠٢)، ومنهاج المسلم (٢٣٢).

١٣-بعض الأحكام

يجوز دفع صدقة الفطر للجمعيات الخيرية، ويجب على الجمعيات الخيرية صرفها للمستحقين لها قبل صلاة العيد، ولا يجوز تأخيرها عن ذلك.

-من كان عليه دين وصاحبه لا يطالبه به، أدى صدقة الفطر وقت وجوبها عليه.

الفقه الميسر (١١٤/٢).

والحمد لله رب العالمين.

Upload by: altawhedmag.com

هجرة زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم

الحمد لله رب العالمين، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم.

أما بعد: فما زلنا نلتمس الهدى والرشاد في سيرة خير العباد صلى الله عليه وسلم، وقد انتهينا قبل ذلك من الكلام في وفاة رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم في أعقاب بدر، وأما موضوعنا في هذا العدد فيتعلق بيوم آخر من أيام حياته صلى الله عليه وسلم مع إحدى بناته حيث فرق بينهما بالهجرة زمنًا لا يكاد يهون الفراق فيه على قلب الأب عمومًا؛ فكيف بقلب أرحم الآباء؟! صلى الله عليه وسلم؛ حيث أخرج نبينا -أبوها- صلى الله عليه وسلم وأصحابه من مكة وبقيت هي عند زوج كافر وبين الكفار!

إعداد: د/ سيد عبد العال

إن القلب ليتفطر عندما ينظر في حال البنت-رضي الله عنها- حالَ بعدِها عن أبيها، فإذا التفتَ نحو الأب، وما يتحمله من مسئولية الرعاية نحو الأبناء فوق الحب والشفقة والرحمة، ذاب ولم يعد يتحمل، ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم احتمل وصبر هو وابنته رضي الله عنها!

فمن هي؟ إنها زينب رضي الله عنها، فما الذي حدث؟ لكي نتصور الأمر لا بد من الإشارة إلى زينب، وزوجها وإلى قصة الهجرة وما الذي جرى لها فيها

أولًا: من هي زينب؟!

إنها زَيْنَبُ بِنْتُ رَسُولِ اللهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَأَكْبَرُ أَخَوَاتِهَا، مِنَ الْمُهَاجِرَاتِ السَّيِّدَاتِ... ولدت في سنة ثلاثين من مولد النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وماتت في سنة ثمان من الهجرة.

قَالَ أَبُو عُمَرَ: كانت زينب أكبر بناته صلى الله عليه وسلم، لا خلاف أعلمه في ذلك إلا مَا لا يصح ولا يلتفت إليه، وإنما الاختلاف بين زينب والقاسم أيهما ولد له صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أولًا.

سير أعلام النبلاء (٢٤٦/٢)، والاستيعاب (١٨٥٣/٤).

ثانيا: زوجها:

هو أبو العاص ابن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس بن عبد مناف. اسمه القاسم،- وهو الثبت-، ويقال: لقيط، ويقال: مهشم، وكان يقال له جرو البطحاء، وأبو العاص هو ابن خالة زينب؛ أمه هالة بنت خويلد بن أسد أخت خديجة رضي الله عنها. وهو القائل وخرج إلى الشام فتشوق زينب:

ذكرت زينب لما جاوزت إرما... فقلت سقيا لشخص يسكن الحرما

بنت النبي جزاها الله صالحة... وكل بعل سيثنى بالذي علما

وتوفي أبو العاص في ذي الحجة سنة اثنتي عشرة من الهجرة. معجم الشعراء (٣٣٢).

Upload by : altawhedmag.com

ثالثًا: ذكر موقف سابق يترجم عن محبة الصحابة لآل البيت، وعن تكريم الإسلام للمرأة، وعما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من حسن السياسة والإكرام لأصحابه ورعاية الحقوق رغم ما كان عليه الصحابة من توقيره وتعزيره صلى الله عليه وسلم!

وذلك أنه كان من الأسرى في بدر صهرُ الرسول- صلى الله عليه وسلم- أبو العاص بن الربيع- رضي الله عنه- وكان ما زال مُشركًا؛ فعن عائشة رضي الله عنها قالت: لما بعث أهل مكة في فداء أسراهم، بعثت زينب بنت رسول الله- صلى الله عليه وسلم- في فداء أبي العاص بن الربيع بمال، وبعثت فيه بقلادة لها كانت لخديجة رضي الله عنها، أدخلتها بها على أبي العاص حين بنى عليها، قالت: فلما رآها رسول الله-صلى الله عليه وسلم- رق لها رقة شديدة، وقال: "إن رأيتم أن تُطلقوا لها أسيرها، وتردُّوا عليها الذي لها، فافعلوا". فقالوا: نعم يا رسول الله، فأطلقوه، وردُّوا عليها الذي لها.

قال ابن إسحاق: فكان ممن سُمِّي لنا ممَّن منَّ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأسارى بغير فداء من بني أمية: أبو العاص بن الربيع...وقد كان رسول صلى الله عليه وسلم قد أخذ عليه أن يخلي سبيل زينب، يعني أن تُهاجر إلى المدينة، فوفى أبو العاص بذلك. صحيح. مسند أحمد (٢٦٣٦٢)، وشرح مشكل الآثار (٤٧٠٨) وسنن أبي داود (٢٦٩٢)، وانظر: السيرة النبوية لابن كثير (٢/ ٤٨٤).

فتأملوا كيف أطلق الصحابة الأسير الكافر؛ إكرامًا لزوجته؛ لأنها بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن أهل بيته! ثم يقال: إن الصحابة يعادون أهل البيت! وهذا كذب.

وكيف أكرمها رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك-في موقف متعلق بالجيش والحرب والقوة والغلبة- ثم يقال: الإسلام ظلم المرأة! وهذا محض افتراء.

وقوله: "فلما رآها"؛ أي: تلك القلادة "رسول الله رق لها"؛ أي لزينب "رقة شديدة"؛ أي: لغربتها ووحدتها وتذكر عهد خديجة وصحبتها فإن القلادة كانت لها وفي عُنقها. مرقاة المفاتيح (٦/ ٢٥٥٦).

وفيه إشارة إلى ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم من الحب لخديجة رضي الله عنها وأن ذلك ما زال باقيا حتى بعد موتها وأنه حفظ العهد بذلك. وقد ترجم البخاري فقال: باب حسن العهد من الإيمان.

ثم روى عن عائشة رضي الله عنها، قالت: "ما غرت على امرأة ما غرت على خديجة، ولقد هلكت قبل أن يتزوجني بثلاث سنين، لما كنت أسمعه يذكرها، ولقد أمره ربه أن يبشرها ببيت في الجنة من قصب، وإن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليذبح الشاة ثم يهدي في خلتها منها" صحيح البخاري (٦٠٠٤).

ثم تأمل: أن الراوي لذلك كله هي عائشة رضي الله عنها، وأنه في مناقب أهل البيت رضي الله عنهم، وهو واضح في بيان كذب الرافضة في ادعاء العداوة بين الصحابة وآل البيت عموما وبين عائشة رضي الله عنها خصوصًا!

رابعًا: في ذكر موقف الهجرة:

وقد تعرضت فيه زينب رضي الله عنها لمحاولة اغتيال من بعض المشركين؛ كما في حديث عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله-صلى الله عليه وسلم- لما قدم المدينة، خرجت ابنته من مكة مع بني كنانة فحرجوا في أثرها-وكانت رضي الله عنها حاملاً- فأدركها هبار بن الأسود، فلم يزل يطعن بعيرها برمحه حتى صرعها، فألقت ما في بطنها وأهريقت دمًا؛ فانطلق بها، واشتجر فيها بنو هاشم، وبنو أمية، فقال بنو أمية: نحن أحق بها، وكانت تحت ابن عمهم أبي العاص بن الربيع بن عبد شمس، فكانت عند هند بنت عتبة بن ربيعة، وكانت تقول لها هند: هذا في سبب أبيك، فقال رسول الله-صلى الله عليه وسلم- لزيد بن حارثة: "ألا تنطلق فتجئ بزينب؟" قال: بلى يا رسول الله، قال-صلى الله عليه وسلم-: "فخذ خاتمي هذا، فأعطها إياه"، فانطلق زيد، فلم يزل يلطف، وترك بعيره حتى أتى راعيا، فقال له: لمن ترعى؟ قال: لأبي العاص بن الربيع، قال: فلمن هذه الغنم؟ قال: لزينب بنت محمد-صلى الله عليه وسلم-، فسار معه شيئا، ثم قال له: هل لك أن أعطيك

Upload by : altawhedmag.com

شيئًا تُعطيها إيّاه، ولا تذكُرُه لأحد؟ قال: نعم. فأعطاه الخاتم، فانطلق الراعي، فأدخل غنمه، وأعطاها الخاتم فعرفته، فقالت: من أعطاك هذا؟ قال: رجل. قالت: وأين تركته؟ قال: مكان كذا وكذا، فسكتت حتى إذا كان الليل خرجت إليه، فقال لها زيد: اركبي بين يدي. قالت: لا ولكن اركب أنت، فركب وركبت وراءه حتى أتت النبيّ-صلى الله عليه وسلم-، كان رسول الله-صلى الله عليه وسلم- يقول: "هي أفضل بناتي أصيبت فيّ"

فبلغ ذلك عليّ بن حسين فانطلق إلى عُروة فقال: ما حديثٌ بلغني عنك أنك تحدثه تنقص فيه حقّ فاطمة؟ فقال عروة: والله ما أحبّ أنّ لي ما بين المشرق والمغرب، وأني أنتقص لفاطمة حقًا هو لها، وأما بعد ذلك إني لا أحدث به أبدًا. المعجم الكبير (١٠٥١)، والمستدرك (٦٩١٥). وقال: إسناده جيد، وقال الحاكم: " هذا حديثٌ صحيحٌ على شرط الشيخين ولم يخرجاه " وانظر: والصحيحة (٣٠٧١).

وهذا فيه فوائد:

منها: أن ما كان من أمر النبي صلى الله عليه وسلم زيدًا باصطحاب زينب في السفر كان في حال أخوته لها بالتبني قبل تحريمه؛ فكان محرمًا لها؛ جائزًا له السفر بها، كما يجوز لأخ لو كان لها من النسب من السفر بها. شرح مشكل الآثار (١٣٥/١)، واللؤلؤ المكنون (٤٧٢/٢).

ومنها: أن قوله-صلى الله عليه وسلم-: "أفضل بناتي". هذا محمول على هذا الوقت والله أعلم قال ابن حجر: وأما قوله: "هي أفضل بناتي أصيبت فيّ"، فجوابه: أن ذلك كان متقدمًا، ثم وهب الله تعالى لفاطمة من الأحوال السنية والكمال ما لم يشاركها أحدٌ من نساء هذه الأمة مطلقًا. الفتح (٤٧٧/٧).

وقال: يحتمل: أن يقدر "من" أي من أفضل بناتي.

وأن يقال: كان ذلك قبل أن يحصل لفاطمة جهة التفضيل التي امتازت بها عن غيرها من أخواتها. فتح الباري (١٠٩/٧).

ومنها: أن رسول الله-صلى الله عليه وسلم- كان يُثني على أبي العاص بن الربيع-رضي الله عنه- ويحفظ له هذا الموقف: فيقول: "حدثني فصدقني، ووعدني فوفى لي". البخاري (٣٧٢٩).

خامسًا: شأن هبار بن الأسود:

وأمّا هبّارُ بنُ الأسود الذي طعن بعير زينب فأسقطها منه، فقد مر بمرحلتين بعد ذلك:

الأولى: أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتله حرقًا بالنار ثم نسخ ذلك بالأمر بقتله دون النار: فعن أبي هريرة-رضي الله عنه- أنه قال: بعثنا رسول الله-صلى الله عليه وسلم- في بعث فقال: "إن وجدتم فلانًا وفلانًا- هبار بن الأسود، ونافع بن عبد القيس- فأحرقوهما بالنار"، ثم قال رسول الله-صلى الله عليه وسلم- حين أردنا الخروج: "إني أمرتكم أن تحرقوا فلانًا وفلانًا، وإن النار لا يعذب بها إلا الله، فإن وجدتموهما فاقتلوهما" البخاري (٣٠١٦)، وصحيح ابن حبان (٥٦١١).

الثانية: توبته وإسلامه: عن ابن أبي نجيح أنه ذكر نحو الحديث السابق ثم قال: فلم تصبه السرية وأصابته نقلة إلى المدينة، فأسلم.

وقال ابن عبد البر: ثم أسلم بعد الفتح، وحسن إسلامه، وصحب النبي صلى الله عليه وسلم، وعاش إلى خلافة معاوية بن أبي سفيان-رضي الله عنه-. سنن سعيد بن منصور (٢٦٤٦)، والاستيعاب (١٥٣٦/٤).

فتأمل هذا كله: يسلم ويعفو عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ لأن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر، ولأن الإسلام يجب ما كان قبله، ولأن الأعمال بالخواتيم: فسبحان ربنا الرحمن الرحيم!

وانظر: واللؤلؤ المكنون (٤٧٤/٢).

هذا ولقد توفيت زينب رضي الله عنها في أوائل العام الثامن الهجري، ونذكر هناك قصة الغسل والتكفين وما يتعلق بهما إن شاء الله وكذلك أبناؤها من أبي العاص.

والحمد لله رب العالمين.

Upload by : altawhedmag.com

زواج فاطمة

بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم النبيين.

أما بعد: فما زلنا نشرف بذكر أحداث السنة الثانية من هجرة سيد الأولين والآخرين صلى الله عليه وسلم، ومع حدث جليل القدر عظيم المنزلة: من أيام رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فيا ترى ما هو ذلك اليوم؟!

إعداد: د. سيد عبد العال

إنه السعادة والسرور يوم يسميه الناس في عرفنا: "يوم الفرح"؛ إنه يوم "زواج عليٍّ-رضي الله عنه- من فاطمة رضي الله عنهما" فما أجمله من عرس يجمع بين اثنين هما من أفضل خلق الله تعالى أما فاطمة: فهي الزهراء سيدة نساء العالمين، بنت إمام المتقين رسول الله: محمد ابن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم، الهاشمية صلى الله على أبيها وآله وسلم ورضي عنها؛ كانت تكنى أم أبيها. الإصابة (٨/ ٢٦٢).

وأما علي-فهو- ابن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم الهاشميُّ، ابنُ عمِّ رسول الله- صلى الله عليه وسلم-، وزوجُ ابنته؛ من السابقين الأولين، ورجح جمعٌ: أنه أولُ من أسلم، وهو أحدُ العشرة، مات في رمضان سنة أربعين، وهو يومئذ أفضل الأحياء من بني آدم بالأرض، بإجماع أهل السُّنة، وله ثلاث وستون على الأرجح. تقريب التهذيب (٤٧٥٣).

تاريخ الزواج:

لقد كان هذا الزواج المبارك في السنة الثانية من الهجرة بعد غزوة بدر. تقريب التهذيب (٨٦٥٠).

وعنْ عليٍّ-رضي الله عنه- قال: كانتْ لي شارفٌ منْ نصيبي منَ المغنم يوْم بدْر، وكان النَّبيُّ-صلى الله عليه وسلم- أعْطاني شارفًا - أي ناقة مسنة- من الخُمُس، فلمَّا أردْتُ أنْ أبْتني بفاطمة بنْت رسُول الله-صلى الله عليه وسلم- واعدْتُ رجُلًا صوَّاغًا منْ بني قيْنُقاع أنْ يرْتحل معي فنأتي بإذْخر- وهي حشيشة طيِّبة الرائحة- أردْتُ أنْ أبيعه الصوَّاغين، وأسْتعين به في وليمة عُرسي. البخاري (٣٠٩١)، ومسلم (١٩٧٩)، والنهاية (١/ ٣٦).

Upload by : altawhedmag.com

- عمرهما رضي الله عنهما:

وكان عُمرُ فاطمة رضي الله عنها يوم بنى بها عليٌّ -رضي الله عنه- ثمان عشرة سنة، وعُمرُ عليٍّ -رضي الله عنه- يومئذ خمسة وعشرون سنة. اللؤلؤ المكنون (٢/ ٤٩٩)، والإصابة (٨/ ٢٦٤).

وقيل: زُفت إلى علي وسنها خمس عشرة سنة، وسن علي إحدى وعشرين. الإشارة إلى سيرة المصطفى (ص ٩٩) الكوثر الجاري (٦/ ٤٧٠).

وهذا الحدث رغم قصره كحدث إلا أنه غزير الفوائد، ولذلك أجدني مضطرًا للوقوف على حافة نهره متعرضا؛ لفيضه؛ لكي أنهل من فوائد هذا الحدث العظيم ما أروي به ظمئي

ومنها ما يلي:

وفي البداية أسوق إليكم شيئًا من فضائلها، ومناقبها، وهي كثيرة نكتفي منها بما يلي:

فاطمة الزهراء سيدة نساء أهل الجنة:

عن عائشة رضي الله عنها، قالت: أقبلت فاطمة تمشي كأن مشيتها مشي النبي صلى الله عليه وسلم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "مرحبا بابنتي" ثم أجلسها عن يمينه، أو عن شماله، ثم أسر إليها حديثا: فبكت، فقلت لها: لم تبكين؟ ثم أسر إليها حديثا: فضحكت، فقلت: ما رأيت كاليوم فرحا أقرب من حزن، فسألتها عما قال: فقالت: ما كنت لأفشي سر رسول الله صلى الله عليه وسلم، حتى قبض النبي صلى الله عليه وسلم، فسألتها: فقالت: أسر إلي: "إن جبريل كان يعارضني القرآن كل سنة مرة، وإنه عارضني العام مرتين، ولا أراه إلا حضر أجلي، وإنك أول أهل بيتي لحاقا بي". فبكيت، فقال: "أما ترضين أن تكوني سيدة نساء أهل الجنة، أو نساء المؤمنين" فضحكت لذلك. صحيح البخاري (٣٦٢٣).

وقد جاء ما يبين أن بكاءها لم يكن: لأنها أول أهله لحوقا به، وإنما كان لعلمها بوفاته، أن كونها أول أهله لحوقا به كان بشارة لها؛ كما في حديث عائشة رضي الله عنها أنها ذكرت الحديث ثم قالت: فسألتها عن ذلك، فقالت: "سارني النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرني أنه يقبض في وجعه الذي توفي فيه، فبكيت ثم سارني فأخبرني أني أول أهل بيته أتبعه فضحكت".

وهذا الحديث اشتمل على مناقب رفيعة لفاطمة رضي الله عنها كما هو واضح في الحديث:

وعن حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "إن هذا ملك لم ينزل الأرض قط قبل هذه الليلة استأذن ربه أن يسلم علي ويبشرني بأن فاطمة سيدة نساء أهل الجنة" سنن الترمذي (٣٧٨١) وقال: حسن غريب.

وهي بضعة من النبي صلى الله عليه وسلم.

وعن المسور بن مخرمة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: "فاطمة بضعة مني، فمن أغضبها أغضبني" صحيح البخاري (٣٧١٤).

وقوله صلى الله عليه وسلم: "إنما فاطمة بضعة مني" بفتح الباء لا غير، أي: قطعة. مطالع الأنوار على صحاح الآثار (١/ ٥٢٤).

- وإليك يوم من حياتها قبل زوجها:

- لقد عانت السيدة فاطمة شتى كثيرا مما كان يعانيه النبي صلى الله عليه وسلم في دعوته إلى الله تعالى ومن ذلك حديث ابن مسعود، قال: بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي عند البيت، وأبو جهل وأصحاب له جلوس، وقد نحرت جزور بالأمس، فقال أبو جهل: أيكم يقوم إلى سلا جزور بني فلان، فيأخذه فيضعه في كتفي محمد إذا سجد؟ فانبعث أشقى القوم فأخذه، فلما سجد النبي صلى الله عليه وسلم وضعه بين كتفيه، قال: فاستضحكوا، وجعل بعضهم يميل على بعض وأنا قائم أنظر، لو كانت لي منعة طرحته عن ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم، والنبي صلى الله عليه وسلم ساجد ما يرفع رأسه حتى انطلق إنسان فأخبر فاطمة، فجاءت وهي جويرية، فطرحته عنه، ثم أقبلت عليهم تشتمهم، فلما قضى النبي صلى الله عليه وسلم صلاته، رفع صوته، ثم دعا عليهم، وكان إذا دعا دعا ثلاثا، وإذا سأل سأل ثلاثا، ثم قال: "اللهم، عليك بقريش" ثلاث مرات، فلما سمعوا صوته ذهب عنهم الضحك، وخافوا دعوته، ثم قال: "اللهم، عليك بأبي جهل بن هشام، وعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، والوليد

Upload by : altawhedmag.com

بْن عُقْبة، وأُمية بْن خلف، وعُقْبة بْن أبي مُعَيْط"- وذكر السابع ولم أحفظه - فو الذي بعث مُحمدًا صلى الله عليه وسلم بالحق، لقد رأيت الذين سمى صرعى يوم بدر، ثم سُحبوا إلى القليب- قليب بدر. صحيح مسلم (١٧٩٤).

وفيه قوة نفس فاطمة الزهراء منْ صغرها، لشرفها في قومها ونفسها، لكونها صرحت بشتمهم، وهم رؤوس قريش، فلم يردوا عليها كما ورد في بعض الروايات. فتح الباري (١/ ٤٦٨).

وهذا بعض فضائلها وغير ذلك كثير ومع هذه الفضائل كيف كانت الخطبة والزواج؟

-ذكر خطبتها رضي الله عنها، وما كان من صداقها!

عن بريدة قال: قال نفرٌ من الأنصار لعليٍّ- رضي الله عنه-: عندك فاطمة، فأتى رسول الله-صلى الله عليه وسلم-. فسلم عليه، فقال رسول الله-صلى الله عليه وسلم-: "ما حاجة ابن أبي طالب؟ " قال: يا رسول الله، فاطمة بنت رسول الله-صلى الله عليه وسلم-.

فقال-صلى الله عليه وسلم-: "مرحبًا وأهلاً"، لم يزده عليها، فخرج عليٌّ-رضي الله عنه- على أولئك الرهط من الأنصار وهم ينتظرونه، فقالوا: ما وراءك؟ قال: ما أدري، ولكنه قال لي: "مرحبًا وأهلاً"، قالوا: يكفيك من رسول الله-صلى الله عليه وسلم- إحداهما أعطاك الأهل، وأعطاك المرحب. حسن... شرح مشكل الآثار (٥٩٤٧).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال لي عليٌّ-رضي الله عنه-: أردتُ أن أخطب إلى رسول الله-صلى الله عليه وسلم- ابنته، فقلت: ما لي من شيء فكيف؟ ثم ذكرت صلته وعائدته-صلى الله عليه وسلم-، فخطبتها إليه، فقال-صلى الله عليه وسلم-: "هل لك من شيء؟ " قلت: لا. قال: "فأين درعك الحطمية؟ ". قال: هي عندي. قال-صلى الله عليه وسلم-: "فأعطنيها"، قال عليٌّ-رضي الله عنه-: فأعطيتها إياه. صحيح أخرجه ابن حبان في صحيحه (٦٩٤٥).

وقوله: الحطمية: هي التي تحطم السيوف، أي تكسرها، وقيل: هي منسوبة إلى بطن من عبد القيس يُقال لهم: حُطمة بن مُحارب. النهاية (١/ ٣٨٧).

ومن فوائده: أن كل شيء يتمول يصح أن يكون صداقا.

وأنه يجوز أن يكون المهر مما لا يصلح: للمرأة ولكن تبيعه أو تهديه؛ لأن الدرع إن كان درع الحديد الذي يتوقى به السهام فإن المرأة لا تلبسه عادة.

وفيه: استحباب تيسير الصداق: وتيسير الزواج: فهذه سيدة نساء أهل الجنة، وزوجها مبشر بالجنة، وهو من سادات أهلها، وأبوها سيد الأولين والآخرين صلى الله عليه وسلم، وأمها: سلم عليها ربها، وبشرها ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ونصب. فقه الإسلام (٧/ ٩٧).

وأما جهازها رضي الله عنها:

ثُمَّ جهز رسول الله-صلى الله عليه وسلم- ابنته فاطمة رضي الله عنها

فعن عليِّ بن أبي طالب-رضي الله عنه- قال: "جهز رسول الله-صلى الله عليه وسلم- فاطمة في خميل، وقربة، ووسادة أدم حشوها ليف الإذخر".

قوله: خميل وفي رواية خميلة: والخميلة: قطيفة بيضاء من الصوف.

والقربة: يُستسقى بها، وتكون للماء. لسان العرب (١١/ ٨٦).

والأديم: الجلد. لسان العرب (١/ ٩٦).

- إن البناء بفاطمة رضي الله عنها كان بعد غزوة بدر، وقد اختلف في تفاصيل ذلك

قال ابن حجر: واختُلف في وقت دُخول عليٍّ بفاطمة وهذا الحديث يُشعر بأنه كان عقب وقعة بدر ولعله كان في شوال سنة اثنتين فإن وقعة بدر كانت في رمضان منها وقيل: تزوجها في السنة الأولى ولعل قائل ذلك أراد العقد. فتح الباري (٦/ ١٩٩)، والنهاية (٢/ ٤١٥).

وهذا ما كان في شأن المهر والجهاز: فكيف كانت الوليمة؟ لنرى ذلك في عددنا القادم حتى نتأسى بمن يشرفنا أن نتأسى بهم، ونكتفي بهذا وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

Upload by : altawhedmag.com

الحلقة 2

زواج فاطمة

بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم

لا بد للعرس من وليمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم النبيين.

أما بعد: فما زلنا نشرف بذكر أحداث السنة الثانية من هجرة سيد الأولين والآخرين صلى الله عليه وسلم، وتحديدًا مع هذا الحدث الجليل العظيم المنزلة: من أيام رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ وهو زواج فاطمة من علي رضي الله عنهما، وقد تحدثنا قبل ذلك في الخطبة، والمهر، وما كان من تيسير فيهما، وتوقفنا عند العرس والوليمة؛ فماذا حدث؟

إعداد: د. سيد عبد العال

عَنْ بريدة رضي الله عنه قَالَ: " قَالَ نَفَرٌ مِنَ الأَنْصَارِ لِعَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: عِنْدَكَ فَاطِمَةُ. فَأَتَى رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ، فَقَالَ: "مَا حَاجَةُ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ"؟ قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، فَاطِمَةُ بِنْتُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. قَالَ: "مَرْحَبًا وَأَهْلًا"، لَمْ يَزِدْهُ عَلَيْهَا، فَخَرَجَ عَلِيٌّ عَلَى أُولَئِكَ الرَّهْطِ مِنَ الأَنْصَارِ وَهُمْ يَنْتَظِرُونَهُ؛ فَقَالُوا مَا وَرَاءَكَ؟ قَالَ: مَا أَدْرِي، وَلَكِنَّهُ قَالَ لِي مَرْحَبًا وَأَهْلًا. قَالُوا: يَكْفِيكَ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِحْدَاهُمَا، أَعْطَاكَ الأَهْلَ، وَأَعْطَاكَ المَرْحَبَ، فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ ذَلِكَ بَعْدَمَا زَوَّجَهُ قَالَ: " يَا

Upload by : altawhedmag.com

عليٌّ، إنَّهُ لا بُدَّ للعُرْس من الوَليمة".
فقال سَعْدٌ: عندي كَبْش، وجَمَعَ لَهُ رَهْطٌ من الأنْصار آصُعًا من ذُرة، فلمَّا كانَ ليْلَةُ البِنَاء قَالَ: " لا تُحْدِثْ شَيْئًا حتَّى تَلْقَاني ". فَدَعَا رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وسَلَّمَ بِمَاء فَتَوَضَّأ منْهُ، ثُمَّ إنَّهُ أفْرَغَهُ عَلَى عَليٍّ، فقَالَ: " اللَّهُمَّ بَارِكْ فيهما، وبَارِكْ عَلَيْهِمَا، وبَارِكْ في نَسْلِهِمَا " أخرجه أحمد (٢٣٠٣٥)، والطحاوي (٥٩٤٧)، وصححه الألباني في صحيح وضعيف الجامع (٤١٨٤).

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: أصبت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في مغنم يوم بدر وأعطاني رسول الله صلى الله عليه وسلم شارفًا أخرى فأنختهما يومًا بباب رجل من الأنصار، وأنا أريد أن أحمل عليهما إذخرًا لأبيعه ومعي صائغ من بني قينقاع، ليرتحل معي فنأتي بإذخر أردت أن أبيعه من الصواغين - فأستعين به على وليمة فاطمة.... البخاري (٢٣٧٥)، ومسلم (١٩٧٩) (والشارف: النَّاقَةُ المُسنَّة، إذخر: حشيش معروف طيب الرائحة).

وهذه الأحاديث فيها فوائد:

الأولى: وليمة العرس:

لقوله "لابد للعرس من وليمة".

والوليمة في اللغة مشتقَّة من الوَلْم، وهو: القيد والجمع؛ لأنَّ الزوجين يجتمعان، ويُقال: "أوْلَمَ فلانٌ" إذا اجتمع خلقه وعقله، ويُقال أيضًا: "أوْلَمَ فلان" إذا عمل وليمةً.

وأصل الوليمة تمام الشيء واجتماعُه، ومنه التأم القوم: يعني: اجتمعوا، وهي في الحقيقة جامعةٌ للأمرين، ففيها اجتماعٌ وفيها إتمامٌ، ولكنَّها نقلت بالعُرف والاصطلاح إلى نفس الطعام الذي يُصنَع في أيَّام العُرس؛ لاجتماع الرجل والمرأة بسبب الزواج.

والغالبُ عند أهل اللغة وفي عُرف الفقهاء عدم إطلاق الوليمة إلا على طَعام العُرس.

الثانية: العُرس: هو النِّكاح، وقيل: "العُرْس" بضمِّ العين هو الزفاف، وهو إهداء العَرُوس إلى زوجها، و"العِرس" بالكسر: يُطلَق على الزوج أو الزوجة، والعَروس يُطلَق على الذَّكر والأنثى أيَّام الدُّخول.

الثالثة: حكم وليمة العرس

استدل جماعة من العلماء بقوله صلى الله عليه وسلم "لابد للعرس من وليمة" على أن وليمة العرس واجبة.

وهناك أدلة أخرى: منها أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وسلَّم أمَر بها عبدالرحمن بن عوف وقال له: "أوْلِمْ" والأمرُ للوجوب ما لم يُوجَدْ صارف يصرفه إلى النَّدب.

ومنها أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وسلَّم أوْلَمَ على زوجاته في السفر والحضر وفي السَّعة والضِّيق، فلو كانت محمولةً على الاستحباب لتركها الرسول صلَّى الله عليه وسلَّم في السفر أو الضِّيق تعليمًا لأمَّته، ولكنَّه لم يفعلْ؛ فدلَّ ذلك على وجوبها.

وقد ذهب جمهور العلماء إلى أنَّ وليمة العُرس مستحبَّة، واستدلوا على ذلك بسُنَّة الرسول عليه الصلاة والسلام القوليَّة والفعليَّة. منها ما سبق من أدلة القول الأول ولكن أصحاب هذا القول حملوها على الاستحباب.

الرابعة: أن الوليمة مشروعةٌ في حقِّ الزوج، والأصل أنَّه هو الذي يصنَعُها؛ لأنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وسلَّم قال لعلي: "لابد للعرس من وليمة".

الخامسة: قوله " قال سعد عندي كبش..." فيه استحباب المواساة في مثل هذه المناسبة:

فيستحبُّ لأصدقاء المتزوِّج أنْ يُساعدوه في وليمته؛ لهذا الحديث ولما رواه مسلم عن أنس رضي الله عنه قال: "تزوَّج

Upload by : altawhedmag.com

رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم فدخل بأهله فصنعت أمي أمُّ سليم حيسًا فجعلتْه في تور فقالت: يا أنس، اذهبْ بهذا إلى رسولِ الله صلَّى الله عليه وسلَّم فقُلْ: بعثتْ بهذا إليك أمي وهي تُقرئك السلام وتقول: إنَّ هذا لك منَّا قليلٌ يا رسول الله". قال الإمام النووي رحمه الله تعالى في شرح الحديث: "فيه أنَّه يستحبُّ لأصدقاء المتزوِّج أنْ يبعثوا إليه بطعامٍ يُساعدونه به على وليمته".

وما أجمل أنْ يتعاون المسلمون فيما بينهم، ويعينَ بعضهم بعضًا فيما ينوبُهم من الأمور والمناسبات، وخُصوصًا عند الزواج!

ويلاحظ: أن هذا موجود في زماننا، ولكن غالب الناس يجعله دينًا وينتظر مثله، والأحسن ألا يكون كذلك، وإنما يكون هبة خالصة-لا دينًا- كما كان عليه الصحابة رضي الله عنهم.

الفائدة السادسة: قوله " اللهُمَّ بَارِكْ فيهِمَا، وَبَارِكْ عَلَيْهِمَا"، فيه الدعاء بالبركة للعروسين:

وقد كان لذلك آثار واضحة في مسيرة الحياة ومنها قيام فاطمة بالخدمة في البيت وهي بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم زوج إمام من أئمة الدين وسيد من سادات أهل الجنة ولمَّا تعبت يومًا طلبت خادمًا فجاءها الجواب شافيًا كافيًا من أب رحيم، ورسول كريم، ومعلم ناصح، ومبلغ صادق فما الخبر إذا؟!

عن عَلِيٍّ رضي الله عنه أَنَّ فَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَامُ، شَكَتْ مَا تَلْقَى مِنْ أَثَرِ الرَّحَى، فَأَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ سَبْيٌ، فَانْطَلَقَتْ فَلَمْ تَجِدْهُ، فَوَجَدَتْ عَائِشَةَ فَأَخْبَرَتْهَا، فَلَمَّا جَاءَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ أَخْبَرَتْهُ عَائِشَةُ بِمَجِيءِ فَاطِمَةَ، فَجَاءَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ إِلَيْنَا وَقَدْ أَخَذْنَا مَضَاجِعَنَا، فَذَهَبْتُ لأَقُومَ، فَقَالَ: "عَلَى مَكَانِكُمَا". فَقَعَدَ بَيْنَنَا حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَ قَدَمَيْه عَلَى صَدْرِي، وَقَالَ: "أَلاَ أُعَلِّمُكُمَا خَيْرًا مِمَّا سَأَلْتُمَانِي، إِذَا أَخَذْتُمَا مَضَاجِعَكُمَا تُكَبِّرَا أَرْبَعًا وَثَلاَثِينَ، وَتُسَبِّحَا ثَلاَثًا وَثَلاَثِينَ، وَتَحْمَدَا ثَلاَثًا وَثَلاَثِينَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمَا مِنْ خَادِمٍ" صحيح البخاري (٣٧٠٥)، ومسلم (٢٧٢٧).

وفيه منقبة لعلي رضي الله عنه؛ ألا وهي دخول النبي صلى الله عليه وسلم بينه وبين فاطمة رضي الله عنهما في فراشهما وأمره لعلي بلزوم مكانه بعد أن هم بالقيام وهذا يدل على أن لأبي الحسن رضي الله عنه منزلة عظيمة عند المصطفى صلى الله عليه وسلم.

وفيه أن الذكر يقوّي البدن، ويُعين على قضاء الحوائج.

وفيه أن فاطمة رضي الله عنها عاشت رضوان الله عليها في بيتها حياة بسيطة متواضعة، فهي تطحن وتعجن خبزها بيديها مع إدارة كافة شؤون بيتها الأخرى، إضافةً إلى حقوق زوجها عليها.

وفيه أيضًا بيان حسن معاملة ومحبة السيدة عائشة رضي الله عنها للسيدة فاطمة رضي الله عنها، وليس الأمر كما يظن البعض أن بينهما عداوة.

السابعة: قوله صلى الله عليه وسلم: "وبَارِكْ في نَسْلِهِمَا":

يؤخذ منه الدعاء للأولاد، وقد ظهر أثر ذلك في أولادهما رَضِيَ اللَّه عَنْهُمَا: حيث وَلَدَتْ فَاطِمَةُ رَضِيَ اللَّه عَنْهَا لِعَلِيِّ بن أبي طالب رضي الله عنه: الحَسَنَ، وَالحُسَيْنَ، وَمُحْسِنًا، وَأُمَّ كُلْثُومٍ، وَزَيْنَبَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ.

وهذا ما نذكره في تاريخ مولد الحسن والحسين بإذن الله تعالى.

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

Upload by : altawhedmag.com

غزوة بني قينقاع

إعداد: د. سيد عبد العال
إمام وخطيب بوزارة الأوقاف

الحمد لله رب العالمين، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم، أما بعد: فما نزال في أحداث السنة الثانية من الهجرة، وموضوعنا في هذا العدد بعنوان: "غزوة بني قينقاع" فماذا حدث فيها؟ ومن هم؟ ولماذا ومتى أجلاهم النبي صلى الله عليه وسلم؟ وأين ذهبوا؟

أولًا: ملخص الحدث:

"وحاصل ذلك: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة وادعته يهود، وكتب بينه وبينهم كتابًا، وجعل بينه وبينهم أمانًا؛ فلما قدم من بدر بغت يهود، وقطعت ما كان بينها وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم من العهد؛ فجمعهم، ثم قال: يا معشر يهود، احذروا من الله مثل ما نزل بقريش من النقمة وأسلموا؛ فإنكم قد عرفتم أني نبيٌّ مرسل، فقالوا: يا محمد، لا يغرنك أنك لقيت قومًا لا علم لهم بالحرب، فأصبت منهم فرصة، إنا والله لئن حاربناك؛ لتعلمن أنا نحن الناس (هذه الرواية أوردها ابن إسحق في سيرته، وقد أخرج الحديث أبو داود في سننه في كتاب الخراج والفيء والإمارة، باب كيف كان إخراج اليهود من المدينة، وفي سنده محمد بن محمد مولى زيد بن ثابت، وهو مجهول كما ذكر الذهبي في تهذيب التهذيب (٦٩٠/٣)، وابن حجر في تقريب التهذيب(٨٩٤/١).)، وكان بنوا قَينُقاع أوّل يهود نقضوا العهد، فسار إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهم سبعمائة مقاتل، وهم حلفاء لعبد الله بن أبيّ بن سلول، وعبادة بن الصامت؛ فحاصرهم خمس عشرة ليلة حتى نزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم خلى عنهم بشفاعة عبد الله بن أبي بن سلول، وأمرهم أن يجلوا من المدينة، وكان قد استخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة بني قينقاع على المدينة أبا لبابة ابن عبد المنذر، وحمل لواءه حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه" (البداية والنهاية: ٣١٨/٥).

ثانيًا: ذكر الفوائد

الأولى: "قينقاع" نونها مثلثة -يجوز فيها الفتح والضم والكسر- والضم أشهر، وهو غير منصرف، وهم قبيلة معروفة من اليهود وهم

Upload by: altawhedmag.com

الذين كانوا بالمدينة. القاموس المحيط (٧٥٧).
الثانية: وهم قوم عبد الله بن سلام
كما في حديث ابن عمر: "قال: "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أجلى يهود المدينة كلهم: بني قينقاع، وهم رهط عبد الله بن سلام." (البخاري ٤٠٢٨).
الثالثة: عبد الله بن سلام بن الحارث، وكنيته أبو يوسف، وكان حبرا قبل أن يسلم، وكان من بني إسرائيل من ولد يوسف بن يعقوب بن إسحاق عليهم السلام. (الثقات لابن حبان: ٣/٢٢٨/٧٣٤).
الرابعة: في الخبر منقبة لعبد الله بن سلام رضي الله عنه: لأن النبي صلى الله عليه وسلم أجلى قومه فلم يرق لهم بل ثبت على دينه معاديًا لهم في الله تعالى ومناقبه كثيرة: منها: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال فيه "إنه من أهل الجنة" (البخاري ٣٨١٢).
ومنها مسارعته إلى الإسلام دون قومه بني قينقاع، وتأمل حواره معهم أمام النبي صلى الله عليه وسلم
عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: أقبل نبي الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة... فذكر حديث الهجرة عند دخول النبي صلى الله عليه وسلم المدينة وقال فيه: فلما جاء نبي الله صلى الله عليه وسلم جاء عبد الله بن سلام فقال: أشهد أنك رسول الله، وأنك جئت بحق، وقد علمت يهود أني سيدهم وابن سيدهم، وأعلمهم وابن أعلمهم، فادعهم فاسألهم عني قبل أن يعلموا أني قد أسلمت، فإنهم إن يعلموا أني قد أسلمت قالوا في ما ليس في.
فأرسل نبي الله صلى الله عليه وسلم فأقبلوا فدخلوا عليه، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يا معشر اليهود، ويلكم، اتقوا الله، فوالله الذي لا إله إلا هو، إنكم لتعلمون: أني رسول الله حقا، وأني جئتكم بحق: فأسلموا". قالوا: ما نعلمه، قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم، حتى قالها ثلاث مرار، قال: "فأي رجل فيكم عبد الله بن سلام؟" قالوا: ذاك سيدنا وابن سيدنا، وأعلمنا وابن أعلمنا، قال: "أفرأيتم إن أسلم؟". قالوا: حاشى لله ما كان ليسلم، قال: "أفرأيتم إن أسلم؟" قالوا: حاشى لله ما كان ليسلم، قال: "أفرأيتم إن أسلم؟". قالوا: حاشى لله ما كان ليسلم، قال: "يا ابن سلام اخرج عليهم". فخرج فقال: يا معشر اليهود اتقوا الله، فوالله الذي لا إله إلا هو، إنكم لتعلمون أنه رسول الله، وأنه جاء بحق، فقالوا: كذبت، فأخرجهم رسول الله صلى الله عليه وسلم. (البخاري ٣٩١١).
وفي رواية قالوا " قالوا: شرنا وابن شرنا، وتنقصوه، قال: هذا كنت أخاف يا رسول الله" (البخاري ٣٩٣٨).
ولما جاء النبي صلى الله عليه وسلم المدينة قال عبد الله " فلما استبنت وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب" (سنن الترمذي ٢٤٨٥).
الخامسة: القصة تبين أن النبي -صلى الله عليه وسلم- كان قد تعايش هو أصحابه مع اليهود في المدينة مع أن القيادة صارت إليه؛ ومن ذلك دخول الصحابة سوقهم، ومبايعتهم، ومعاملتهم؛ فالمسلمون أسوة بنبيهم صلى الله عليه وسلم يقبلون الآخرين، ويعيشون معهم، ولكنهم لا يقبلون الاعتداء عليهم وعلى أعراضهم؛ فهذا علي -رضي الله عنه- يقول: "واعدت رجلا صواغا في بني قينقاع أن يرتحل معي، فنأتي بإذخر، فأردت أن أبيعه من الصواغين، فنستعين به في وليمة عرسي" (البخاري ٤٠٠٣).
السادسة: إذا قلنا بأن المسلمين يتعايشون مع غيرهم فما سبب إخراجهم يهود بني قينقاع من المدينة؟
عرضنا فيما سلف لحقد يهود بني قينقاع على المسلمين لما انتصروا في غزوة بدر؛ فطفحت سريرتهم بهذا الرد الذي صرحوا فيه بإعلان الحرب على المسلمين، ومع أن النبي صلى الله عليه وسلم كان قد وصله خبر فسادهم في المدينة وخشي خيانتهم إلا أنه مشى إليهم ونبذ إليهم عهدهم حالة ثبوت الخيانة عليهم، ولم يبادلهم بمثل صنيعهم من الغدر خفية، وهذا يعلن بعظمة الإسلام وأحكامه وحسن تعايشه مع الآخرين.
وقد أنزل الله تعالى في ذلك قوله: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ

Upload by: altawhedmag.com

﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا ۖ فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ ﴾ (آل عمران ١٢:١٣).

- ويجب أن يُفهم أن سبب جلاء بني قينقاع لا يعود إلى رفضهم قبول الإسلام؛ ففي هذه المرحلة كان الإسلام يقبل التعايش السلمي معهم، ولم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يشترط على أحد من يهود أن يدخل في الإسلام مقابل بقائه في المدينة المنورة، وإنما يعود سبب الإجلاء إلى ما أظهروه من روح عدائية. انتهت إلى الإخلال بالأمن داخل المدينة المنورة. (السيرة للعمري ١/ ٣٠١).

موقف عبد الله بن أبي بن سلول وفيه بيان خطر النفاق

عن عاصم بن عمر بن قتادة "أن عبد الله ابن أبي بن سلول ذهب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أمكنه الله تعالى منهم؛ فقال: يا محمد! أحسن في موالي. فأبطأ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد أحسن في موالي فأعرض عنه؛ فأدخل يده في جيب درع رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أرسلني؛ فقال: والله لا أرسلك حتى تحسن في موالي أربعمائة حاسر وثلاثمائة دارع منعوني من الأحمر والأسود تحصدهم في غداة واحدة إني لامرؤ أخشى الدوائر. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: هم لك" (سيرة ابن إسحاق) (قال د. أكرم ضياء العمري في كتابه السيرة النبوية الصحيحة، محاولة لتطبيق قواعد المحدثين في نقد روايات السيرة: " وعاصم من صغار التابعين، فالرواية ضعيفة حسب اصطلاح المحدثين، وهي مما يتساهل فيه من الأخبار").

موقف عبادة بن الصامت وبيان عظمة الإيمان:

عن عُبادة بن الوليد بن عُبادة بن الصامت، قال: "لما حاربت بنو قينقاع رسول الله صلى الله عليه وسلم تشبث بأمرهم عبد الله بن أبي وقام دونهم فمشى عبادة بن الصامت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان أحد بني عوف بن الخزرج لهم من حلفهم مثل الذي لهم من حلف عبد الله بن أبي، فخلعهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتبرأ إلى الله وإلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من حلفهم، فقال: يا رسول الله أتبرأ إلى الله وإلى رسوله من حلفهم، وأتولى الله ورسوله والمؤمنين، وأبرأ من حلف الكفار وولايتهم، ففيه وفي عبد الله بن أبي نزلت الآيات في المائدة، يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم، إلى قوله: فترى الذين في قلوبهم مرض، يعني عبد الله بن أبي لقوله إني أخشى الدوائر، يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة، حتى بلغ قوله: إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا لقول عبادة أتولى الله ورسوله والذين آمنوا، وتبريه من بني قينقاع وحلفهم وولايتهم إلى قوله: ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون" (دلائل النبوة للبيهقي ٣/ ١٧٤).

والفرق واضح بين عبد الله بن أبي الذي أشرب قلبه بالنفاق وبين عبادة بن الصامت الذي صقلته التربية المحمدية، وخلصته من آثار العصبية الجاهلية والأهواء والمصالح الشخصية، فنظر إلى مصلحة العقيدة وقدمها على مصالحه الخاصة، فكان مثالاً للمؤمن الواعي الملتزم. (السيرة النبوية الصحيحة ١/ ٣٠٠، واللؤلؤ المكنون ٢/ ٥٢٥).

غنائم المسلمين من بني قينقاع

وغنم المسلمون ما كان لهم من مال، ولم تكن لهم أرضون ولا مزارع، إنما كانوا صاغة، ووجدوا في حصونهم آلة الصياغة، وسلاحا كثيرا؛ فقسمت الغنائم بين الصحابة بعد إخراج الخمس للرسول صلى الله عليه وسلم، وكان الذي ولي قبض أموالهم محمد بن مسلمة رضي الله عنه. ورحل يهود بني قينقاع إلى أذرعات بالشام ولم يبقوا هناك طويلا حتى هلك أكثرهم. (فقه السيرة للغزالي، ص٢٤٨).

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

Upload by: altawhedmag.com

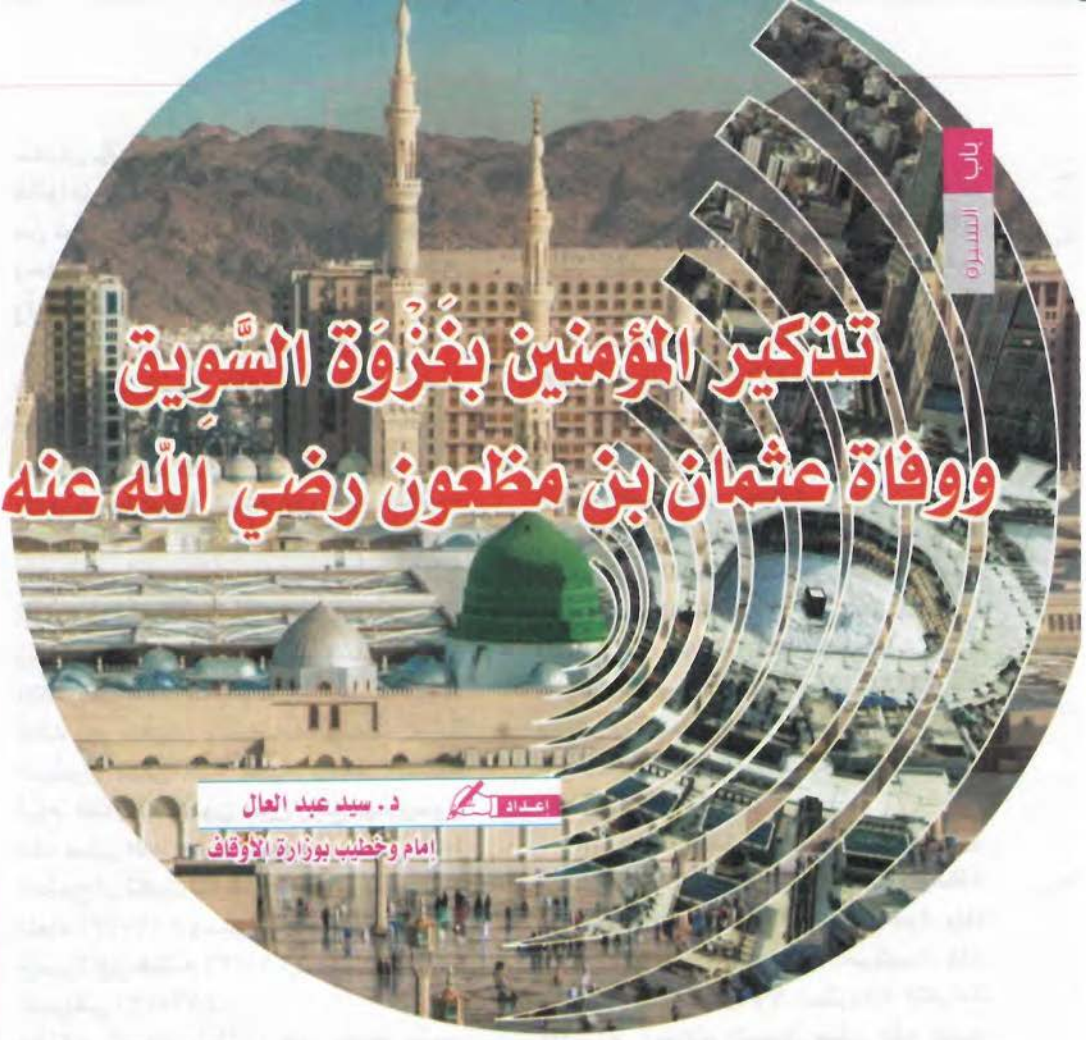

تذكير المؤمنين بغَزْوَة السَّوِيق ووفاة عثمان بن مظعون رضي الله عنه

إعداد
د. سيد عبد العال
إمام وخطيب بوزارة الأوقاف

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله.

أما بعد: فنحن على موعد مع آخر أحداث السنة الثانية من الهجرة، ونذكر في هذا العدد بمشيئة الله ثلاثة من أحداث هذه السنة:

الأول: غزوة السويق.
الثاني: صلاة النبي صلى الله عليه وسلم أول عيد أضحى.
الثالث: وفاة عثمان بن مظعون رضي الله عنه.

أولا: غزوة السويق:

تاريخها: وقعت غزوة السويق في الخامس من ذي الحجة، من السَّنَة الثَّانِيَة على رأس اثْنَيْن وَعِشْرِين شَهْرًا من الهجرة النبوية.

سبب الغزوة:

لما هزم المشركون في بدر نَذَر أَبُو سُفْيَان (أَنْ لا يَمَسَّ رَأْسَهُ مَاءٌ) مِنْ جَنَابَةٍ حَتَّى يَغْزُو مُحَمَّدًا صلى الله عليه وسلم، وَيَثْأَر لأَصْحَابِه؛ فَخَرَج في مائَتَيْ رَاكِب، ليَبَرّ بيَمِينِه، ووَصَل إلى أَطْرَاف المَدِينَة لَيْلاً... فَانْصَرَف إلَى سَلاَّم بن مِشْكَم، وَكَان سَيِّد بَنِي النَّضِير، فَاسْتَأْذَن عَلَيْهِ، فَأَذِن لَهُ؛ فَضَيَّفَه وَأَخْبَرَه مِنْ أَخْبَار رَسُول اللَّه صلى الله عليه وسلم، ثُمَّ خَرَج أَبُو

Upload by: altawhedmag.com

سُفيان في عقب ليلته حتى أتى أصحابه؛ فأتوا ناحية من المدينة؛ فحرقوا في أصوار من نخل بها، ووجدوا رجلاً من الأنصار، وحليفًا له في حرث لهما؛ فقتلوهما، ثم ولوا مدبرين.

خروج الرسول صلى الله عليه وسلم:

فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فخرج في أثرهم يطلبهم في مائتين من المهاجرين والأنصار، واستعمل على المدينة أبا لبابة بشير بن عبد المنذر -رضي الله عنه-، فجعل أبو سفيان وأصحابه يلقون جرب السويق، وهي عامة أزوادهم، يتخففون منها للنجاء، حتى بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم قرقرة الكدر، ثم انصرف راجعًا إلى المدينة، وقد فاته أبو سفيان وأصحابه، وكانت غيبة الرسول صلى الله عليه وسلم خمسة أيام، فقال المسلمون حين رجع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله! أنطمع أن تكون لنا غزوة؟ قال: "نعم". زاد المعاد (٣/ ١٧٠)، وسيرة ابن اسحاق (٣١٠)، وسيرة ابن هشام (٣/ ٣١٠)، ودلائل النبوة للبيهقي (٣/ ١٦٥).

وقوله "أصوار نخل"، هي جمع صور؛ والصور: نخل مجتمعة.

الدروس والعبر:

- إن الغسل من الجنابة كان معمولاً به في الجاهلية بقية من دين إبراهيم، واسماعيل كما بقي فيهم الحج والنكاح. الروض الأنف (٥/ ٢٧١).

- إنها سميت غزوة السويق؛ قال ابن هشام: وإنما سُميت غزوة السويق لأن أكثر ما طرح القوم من أزوادهم السويق، فرجع المسلمون بسويق.

والسويق: هو أن تحمص الحنطة، أو الشعير، أو نحو ذلك، ثم تطحن، ثم يسافر بها، وقد تمزج باللبن، والعسل والسمن، وتلت، فإن لم يكن شيء من ذلك مزجت بالماء. المدينة النبوية في فجر الإسلام (١/ ١٤٨).

- الظاهر أن أبا سفيان أراد بهذه الغزوة: أن يبر يمينه فقط؛ لأنه لا يتصور أنه كان يريد بهذه القوة الصغيرة (٢٠٠ راكب) الانتصار على المسلمين في هذه الغزوة بعد أن شاهد قوتهم في غزوة بدر. محمد صلى الله عليه وسلم (١/ ٢٦٦).

- وهذا يتضمن تعظيمهم للأيمان، وحرصهم على الوفاء بها، وهذا من بقايا ملة إبراهيم عليه السلام.

- قوله: "واستعمل على المدينة أبا لبابة بشير بن عبد المنذر" وفيه: أهمية الترتيب، والتنظيم الإداري على مختلف المستويات. ولذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم يستخلف على المدينة من يصلي بهم ومن يحكم بينهم.

- وهذا يتضمن فضيلة لأبي لبابة رضي الله عنه.

- إن هذا الغزوة خوفت المشركين، وأشعرتهم بما عليه المسلمون من اليقظة والحذر، وأنهم لا يؤخذون على غرة، وإذا كانوا قد قتلوا اثنين في حرثهما؛ فإن ذلك لا يعد نصرًا ولا استردادا للكرامة والمنزلة. (خاتم النبيين صلى الله عليه وآله وسلم لأبي زهرة (٢/ ٥٩٧).

قال الغزالي: ولم تنل قريش من هذه الغارة الفاشلة شيئًا يرفع رأسها. فقه السيرة (٢٥٣).

- وخروج النبي صلى الله عليه بنفسه وكان بإمكانه أن يرسل سرية تقوم بهذا العمل ينبئ عن حبه للجهاد وهو القائل " ولولا أن أشق على أمتي ما قعدت خلف سرية" صحيح البخاري (٣٦).

- خطر اليهود على الدولة الإسلامية؛ وتعاونهم مع المشركين ضد المسلمين، ولذلك لجأ أبو سفيان إليهم، واتخذهم وسيلة لتنفيذ غارته على المسلمين.

- أن الإسلام يجب ما كان قبله، وذلك أن أبا سفيان أسلم بعد ذلك، وحسن إسلامه

Upload by: altawhedmag.com

وجاهد في سبيل الله وأبلى بلاء حسنا؛ فلا يجوز لأحد أن يتجرأ عليه، أو يقع فيه بسبب هذه الأحداث التي تروى عنه رضي لله عنه.

ثانيا: أول أضحى رآه المسلمون

وفي ذي الحجة من هذه السنة صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أول عيد أضحى؛ قال الطبري: وبعد أن انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة حضرت الأضحى، وكان أول أضحى رآه المسلمون، فخرج بالناس إلى المصلى، فصلى بهم أول صلاة أضحى، وذبح فيه بيده الشريفة شاتين، وقيل شاة. اللؤلؤ المكنون (٢/٥٣٢).

ثالثا: وفاة أبي السائب عثمان بن مظعون رضي الله عنه

وفي ذي الحجة من السنة الثانية للهجرة توفي عثمان بن مظعون رضي الله عنه، وكان من سادة المهاجرين، ومن أولياء الله المتقين الذين فازوا بوفاتهم في حياة نبيهم، فصلى عليهم... أسلم رضي الله عنه أول الإسلام، بعد ثلاثة عشر رجلاً، وهاجر إلى الحبشة هو وابنه السائب الهجرة الأولى، فبلغهم وهم في الحبشة أن قريشا أسلمت فعادوا. وهو أول من مات بالمدينة من المهاجرين، وأول من دفن بالبقيع. وهو خال حفصة وعبد الله بن عمر رضي الله عنهما، وهو رضيع رسول الله صلى الله عليه وسلم. انظر: اللؤلؤ المكنون في سيرة النبي المأمون (٢/٥٣٦)، وأسد الغابة (٣/٢٢٥)، وسير أعلام النبلاء (١/١٥٤)، وحدائق الأنوار ومطالع الأسرار في سيرة النبي المختار (٢٥٥)، وتاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس (١/٤١١).

ثم هاجر إلى المدينة، وشهد بدرًا، وكان رضي الله عنه من أشد الناس اجتهادًا في العبادة، يصوم النهار ويقوم الليل.

ومن فضائله: اجتهاده في العبادة حتى أراد الانقطاع لها عن الدنيا ولذاتها؛ عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: "رَدَّ رَسُول الله صلى الله عليه وسلم عَلَى عُثْمَان بن مَظْعُون التَّبَتُّل، وَلَوْ أذن له لاخْتَصَيْنَا" صحيح البخاري (٥٠٧٣).

والتبتل هو الانقطاع عن النساء، وترك النكاح وترك لذات الدنيا وشهواتها، شرح النووي على مسلم (٩/١٧٦).

عن أم العلاء: أن عثمان بن مظعون طار لهم في السكنى، حين اقترعت الأنصار على سكنى المهاجرين؛ قالت: فاشتكى، فمرضناه حتى إذا توفي وجعلناه في ثيابه، دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلت: رحمة الله عليك أبا السائب، فشهادتي عليك لقد أكرمك الله، فقال لي النبي صلى الله عليه وسلم: "وما يدريك أن الله أكرمه؟"، فقلت: لا أدري بأبي أنت وأمي يا رسول الله، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أما عثمان فقد جاءه والله اليقين، وإني لأرجو له الخير، والله ما أدري وأنا رسول الله ما يفعل به" -وفي رواية "بي"، قالت: فوالله لا أزكي أحدا بعده أبدا، وأحزنني ذلك، قالت: فنمت، فأريت لعثمان عينا تجري، فجئت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأخبرته، فقال: "ذاك عمله" صحيح البخاري (٣٩٢٩).

وعن عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل عثمان بن مظعون وهو ميت، ودموعه تسيل على خد عثمان بن مظعون. رواه الترمذي وصححه (ح ٩٨٩).

ودفن رضي الله عنه في البقيع، وهو أول من دفن بالبقيع من المهاجرين رضي الله عنهم وعن جميع الصحابة وعنا معهم. الإصابة (٤/٣٨٢).

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

Upload by: altawhedmag.com

سرية كعب بن الأشرف

الحمد لله رب العالمين وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم. أما بعد:

فمن الأحداث التي أثير حولها كثير من التساؤلات حدث مقتل كعب بن الأشرف اليهودي: لماذا ومتى وكيف قتل؟ وهل كان اعتداءً أم عقابًا على فعل؟ هذا ما نبينه إن شاء الله في هذا العدد.

إعداد: د. سيد عبد العال
إمام وخطيب بوزارة الأوقاف

أولا: ذكر الحدث مجملا:

عن جابر رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ- صلى الله عليه وسلم- قَالَ: "مَنْ لِكَعْبِ بْنِ الأَشْرَفِ؟ فَإِنَّهُ قَدْ آذَى اللَّهَ وَرَسُولَهُ". فَقَامَ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَتُحِبُّ أَنْ أَقْتُلَهُ؟ قَالَ: "نَعَمْ". قَالَ: فَائْذَنْ لِي أَنْ أَقُولَ شَيْئًا، قَالَ: "قُلْ"، فَذَهَبَ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ إِلَى كَعْبِ بْنِ الأَشْرَفِ، فَقَالَ لَهُ: إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ -أَيْ رَسُولَ اللَّهِ- صلى الله عليه وسلم- قَدْ سَأَلَنَا صَدَقَةً، وَإِنَّهُ قَدْ عَنَّانَا، وَإِنِّي قَدْ أَتَيْتُكَ أَسْتَسْلِفُكَ؟ قَالَ: وَأَيْضًا وَاللَّهِ لَتَمَلُّنَّهُ.

فَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ: إِنَّا قَدِ اتَّبَعْنَاهُ، فَلاَ نُحِبُّ أَنْ نَدَعَهُ حَتَّى نَنْظُرَ إِلَى أَيِّ شَيْءٍ يَصِيرُ شَأْنُهُ، وَقَدْ أَرَدْنَا أَنْ تُسْلِفَنَا وَسْقًا أَوْ وَسْقَيْنِ.

قَالَ كَعْبٌ: نَعَمْ أَرْهَنُونِي.

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ: أَيَّ شَيْءٍ تُرِيدُ؟

قَالَ كَعْبٌ: أَرْهَنُونِي نِسَاءَكُمْ؟

فَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ: كَيْفَ نَرْهَنُكَ نِسَاءَنَا وَأَنْتَ أَجْمَلُ العَرَبِ؟

قَالَ كَعْبٌ: فَارْهَنُونِي أَبْنَاءَكُمْ.

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ: كَيْفَ نَرْهَنُكَ أَبْنَاءَنَا، فَيُسَبُّ أَحَدُهُمْ؟ فَيُقَالُ: رُهِنَ بِوَسْقٍ أَوْ وَسْقَيْنِ هَذَا عَارٌ عَلَيْنَا، وَلَكِنَّا نَرْهَنُكَ اللأْمَةَ، يَعْنِي السِّلاَحَ.

فَوَاعَدَهُ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ أَنْ يَأْتِيَهُ بِالسِّلاَحِ. (صحيح البخاري- كتاب المغازي، باب قتل كعب بن الأشرف؛ صحيح مسلم- كتاب الجهاد والسير- باب قتل كعب بن الأشرف طاغوت اليهود).

وَصَنَعَ أَبُو نَائِلَةَ مِثْلَ مَا صَنَعَ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ... وَأَرَادَ محمد وأبو نائلة: أَنْ لا يُنْكِرَ السِّلاَحَ إِذَا جَاءُوا بِهِ... سيرة ابن إسحاق- (٢٩٨/٣)، وابن هشام (٥٥/٢).

وَفِي لَيْلَةِ مُقْمِرَةٍ-لَيْلَةِ الرَّابِعَ عَشَرَ مِنْ شَهْرِ رَبِيعٍ الأَوَّلِ مِنَ السَّنَةِ الثَّالِثَةِ لِلْهِجْرَةِ- انْطَلَقَ هَؤُلاَءِ الأَبْطَالُ مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم؛ فَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: مَشَى مَعَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِلَى بَقِيعِ الْغَرْقَدِ، ثُمَّ وَجَّهَهُمْ وَقَالَ:

Upload by: altawhedmag.com

" انطلقوا على اسم الله "، وقال: " اللهم أعنهم " أخرجه أحمد (٢٣٩١) بسند صحيح، وحسنه الألباني في الإرواء (١١٩١) من أجل ابن إسحاق، والراجح أنه إمام في المغازي، وحديثه صحيح إن صرح بالتحديث وقد صرح به فالحديث صحيح.

وأقبلوا حتى انتهوا إلى حصن كعب بن الأشرف؛ فهتف به أبو نائلة، فقام؛ لينزل إليهم، فقالت له امرأته-وكان حديث عهد بعرس- أين تخرج هذه الساعة؟.

فقال: إنما هو أخي محمد بن مسلمة، ورضيعي أبو نائلة، قالت: أسمع صوتا كأنه يقطر منه الدم. قال: إنما هو أخي محمد بن مسلمة، ورضيعي أبو نائلة، إن الكريم لو دعي إلى طعنة بليل لأجاب، ثم خرج إليهم، وهو متطيب ينفخ رأسه.

وكان أبو نائلة قال لأصحابه: إذا ما جاءني فإني آخذ بشعره فأشمه، فإذا رأيتموني استمكنت من رأسه، فدونكم فاضربوه.

فلما نزل كعب إليهم تحدث معهم ساعة، وتحدثوا معه، ثم قال له أبو نائلة: هل لك يا ابن الأشرف أن نتماشى إلى شعب العجوز، فنتحدث بقية ليلتنا؟

قال: إن شئتم؛ فخرجوا يتماشون، فقال أبو نائلة وهو في الطريق: ما رأيت كالليلة طيبا أعطر قط!

فقال كعب: عندي أعطر نساء العرب؛ فقال أبو نائلة: أتأذن لي أن أشم رأسك؟ قال: نعم؛ فأدخل يده في رأسه فشمه، ثم مشى ساعة، ثم قال أبو نائلة: أعود-أي لشم رأسه- قال كعب: نعم، فعاد لمثلها حتى اطمأن: ثم مشى ساعة، ثم قال أبو نائلة: أعود-أي لشم رأسه- قال كعب: نعم، فأدخل يده في رأسه، فلما استمكن منه، قال أبو نائلة لأصحابه: دونكم عدو الله، فاختلفت عليه أسيافهم، لكنها لم تغن شيئا، فأخذ محمد بن مسلمة معولا، فوضعه في ثنته، ثم تحامل عليه حتى بلغ عانته، فوقع عدو الله قتيلا، وكان قد صاح صيحة شديدة أفزعت من حوله، فلم يبق حصن إلا أوقدت عليه النيران.

ورجعت هذه المجموعة، وقد أصيب الحارث بن أوس بذباب بعض سيوف أصحابه، فجرح ونزف الدم، فلما بلغت هذه المجموعة حرة العريض، رأت: أن الحارث ليس معهم؛ فوقفوا ساعة حتى أتاهم يتبع آثارهم، فاحتملوه، حتى إذا بلغوا بقيع الغرقد كبروا، فسمع رسول الله-صلى الله عليه وسلم- تكبيرهم؛ فعرف أنهم قد قتلوه، فكبر، فلما انتهوا إلى رسول الله-صلى الله عليه وسلم-، وذلك من آخر الليل قال-صلى الله عليه وسلم-: "أفلحت الوجوه"، قالوا: ووجهك يا رسول الله، فحمد رسول الله-صلى الله عليه وسلم- الله تعالى على قتله، وتفل على جرح الحارث فبرئ. (البخاري (٣٨١١)، ومسلم (١١٩)، وانظر: الرحيق المختوم (٢٢٠)، واللؤلؤ المكنون (٢/٥٥٢).

ثانيا: الدروس والعبر:

١- الفرق بين السرية والغزوة:

السرية: ما أرسل للقتال ولم يخرج فيها النبي صلى الله عليه وسلم؛ والغزوة: ما خرج فيها عليه الصلاة والسلام بذاته الشريفة، إلا موتة.. فإنهم يعدونها في المغازي: إما لعظمها، أو لارتفاع معركتها له عليه الصلاة والسلام حتى شاهدها؛ فكأنه حضرها بنفسه الشريفة. إنارة الدجى في مغازي خير الورى صلى الله عليه وآله وسلم (ص٤٢٢).

٢- تاريخ هذه السرية: كانت هذه السرية لأربع عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الأول في السنة الثالثة من الهجرة. عيون الأثر (١/٣٤٨).

٣- من هو كعب بن الأشرف؟

كعب بن الأشرف يهودي من أشد اليهود عداوة للرسول وأصحابه، وكان أبوه عربيا من قبيلة طيء، من بني نبهان، وكان أصاب دما في الجاهلية، فأتى المدينة؛ فحالف بني النضير؛ فشرف فيهم، وتزوج عقيلة بنت أبي الحقيق، فولدت له كعبا، وكان طويلا جسيما، ذا بطن وهامة، وكان شاعرا مجيدا، ساد يهود الحجاز؛ بكثرة ماله؛ وكان حصنه شرقي جنوب المدينة في خلفيات ديار بني النضير. (فتح الباري (٧٧/٨)، والطبقات الكبرى (٢/٢٦٥)، وسيرة ابن هشام (٣/٤٦و٣١٨).

٤- قوله "من لكعب بن الأشرف، فإنه قد آذى الله ورسوله" فيه أن سبب مقتله هو حربه للنبي صلى الله عليه وسلم وإيذاؤه له، ولم يكن اغتيالا ولا غدرا، وإنما كان عقوبة رآها ولي الأمر، ونفذت بأمره وتحت سمعه وبصره؛ فلا لوم فيه إلا عند من لم ينظر في سبب القتل، ولا حجة فيه على الاغتيال ولا على قتل يقع بغير إذن ولي الأمر وإدارته، إلا عند من لم يحترم ولاية النبي صلى

Upload by: altawhedmag.com

الله عليه وسلم وقد ورد في بيان السبب أحاديث أخرى منها حديث عَبْد الرَّحْمَن بْن عَبْد الله ابْن كَعْب بْن مالك، عنْ أبيه، وكانَ أحد الثلاثة الذين تيب عليهم، قال "وكان كَعْبُ بْنُ الأشْرف يهْجو النبيَّ صلى الله عليه وسلم، ويحرض عليه كفار قريش، وكان النبيُّ صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة، وأهلها أخلاط، منهم المسلمون، والمشركون يعبدون الأوثان، واليهود وكانوا يؤذون النبيَّ صلى الله عليه وسلم وأصحابه، فأمر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم بالصبر والعفو؛ ففيهم أنزل الله: "وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ" (آل عمران: ١٨٦) الآية. فلما أبى كعب بْن الأشرف أن ينزع عن أذى النبيِّ صلى الله عليه وسلم، أمر النبيُّ صلى الله عليه وسلم سعْد بْن مُعاذ أن يبْعث رهْطا يقْتلونه، فبعث مُحمّد بْن مسْلمة، وذكر قصة قتله، فلما قتلوه، فزعت اليهود والمشركون؛ فغدوا على النبيِّ صلى الله عليه وسلم، فقالوا: طرق صاحبنا فقتل؛ فذكر لهم النبيُّ صلى الله عليه وسلم الذي كان يقول، ودعاهم النبيُّ صلى الله عليه وسلم إلى أن يكتب بينه وبينهم كتابا، ينتهون إلى ما فيه؛ فكتب النبيُّ صلى الله عليه وسلم، بينه وبينهم وبين المسلمين عامة صحيفة" (أخرجه أبو داود (٣٠٠٠) وهو مرسل صحيح السند إلى عبد الله بن كعب بن مالك. وذكره الألباني في صحيح سنن أبي داود (٢٦٥٤) ثم قال: وهذا إسناد صحيح على شرط البخاري؛ على اعتبار أن المراد بقوله: (أبيه): أي: جده؛ كما هو ظاهر قوله: وكان أحد الثلاثة).

ومنها ما جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما قدم كعب بن الأشرف مكة أتوه، فقالوا: نحن أهل السقاية والسدانة، وأنت سيد أهل يثرب؛ فنحن خير أم هذا الصنيبير -أي الضعيف المنقطع بلا ناصر- المنبتر - أي: لا عقب له- من قومه يزعم؛ أنه خير منا؟ فقال: أنتم خير منه، فنزل على رسول الله "إن شانئك هو الأبتر"، ونزلت: "ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا" صحيح أخرجه ابن حبان (٦٥٧٢)، وصححه الألباني في صحيح السيرة النبوية (٢٢٥).

وقد ورد أنه لما بلغه الخبر عن مقتل أهل بدر: قال: والله لئن كان محمد أصاب هؤلاء القوم لبطن الأرض خير من ظهرها: فلما تيقن عدو الله الخبر خرج إلى مكة: فنزل على المطلب بن أبي وداعة: فأنزله وأكرمه، وجعل يحرض على قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم وينشد الأشعار ويندب من قتل من المشركين يوم بدر بقصيدة مطلعها:

طحنت رحى بدر لمهلك أهله
ولمثل بدر تستهل وتدمع.

ثم ذكر ابن إسحاق شعر حسان في الرد عليه قصيدة جاء فيها

ولقد شفى الرحمن منا سيدا
وأهان قوما قاتلوه وصرعوا

ولم يخرج من مكة حتى أجمع أمرهم على قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم قدم المدينة يعلن بالعداوة ويحرض الناس على الحرب، وجعل يشبب بنساء المسلمين. (السيرة النبوية لابن كثير (١١/٣)، ودلائل النبوة للبيهقي (١٨٧/٣و١٩٠).

قال ابن حجر: وإنما فتكوا به: لأنه نقض العهد، وأعان على حرب النبي صلى الله عليه وسلم وهجاه ولم يقع لأحد ممن توجه إليه تأمين له بالتصريح، وإنما أوهموه ذلك، وآنسوه حتى تمكنوا من قتله. (فتح الباري (١٦٠/٦)، وهكذا قال البيهقي في الدلائل (١٩٣/٣)، والبخاري (٣٠٣٢).

٥- وقد اجتمع على قتله: محمد بْن مسْلمة، وأبو نائلة، وعبد بْن بشر أحد بني عبْد الأشْهل، والحارث بْن أوس بن مُعاذ وأبو عبْس بْن جبْر. (السيرة النبوية لابن كثير (١٢/٣).

ولا شك أن هذا العقاب كان قطعًا لدابر الفتنة والشر الذي أقدم على إثارته اليهود في صورة كعب بن الأشرف، وفي هذا الخبر مسائل وفوائد وقواعد وأثير حوله شبهات نذكر بعضها في العدد القادم إن شاء الله تعالى، والحمد لله رب العالمين.

Upload by: altawhedmag.com

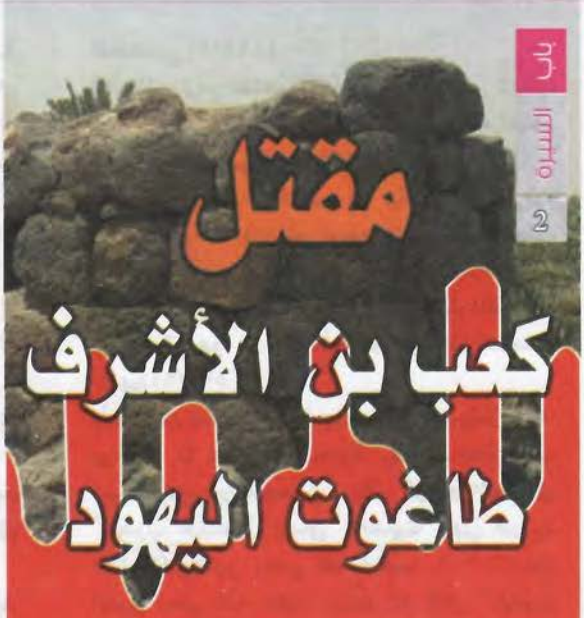

مقتل كعب بن الأشرف طاغوت اليهود

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق وخاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد: فنواصل الكتابة في بيان الفوائد والأحكام المتعلقة بمقتل كعب بن الأشرف اليهودي.

إعداد: د. سيد عبد العال
إمام وخطيب بوزارة الأوقاف

وملخص الحديث كما سبق عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من لكعب بن الأشرف، فإنه قد آذى الله ورسوله صلى الله عليه وسلم"، فقال محمد بن مسلمة: أنا، (أتحب أن أقتله يا رسول الله؟ قال: نعم قال: فأذن لي، فأقول قال: "قد فعلت" فأتاه: فقال: إن هذا- يعني النبي صلى الله عليه وسلم- قد عنانا وسألنا الصدقة، قال: وأيضا، والله لتملنه، قال: فإنا قد اتبعناه: فنكره أن ندعه، حتى ننظر إلى ما يصير أمره) فقال: أردنا أن تسلفنا، وسقا أو وسقين، فقال: ارهنوني نساءكم، قالوا: كيف نرهنك نساءنا وأنت أجمل العرب؟ قال: فارهنوني أبناءكم، قالوا: كيف نرهن أبناءنا، فيسب أحدهم، فيقال: رهن بوسق، أو وسقين؟ هذا عار علينا، ولكنا نرهنك اللأمة- قال سفيان: يعني السلاح- فوعده أن يأتيه، فقتلوه، ثم أتوا النبي صلى الله عليه وسلم فأخبروه. البخاري (٢٥١٠و٣٠٣١و٣٠٣٢).

وقد سبق سياق الحديث بذلك مفصلا، وبيان معانيه في العدد الماضي، وفي هذا العدد نذكر بعض ما يتضمنه من الأحكام الفقهية، والسياسة الشرعية:

أولا: حكم الكذب في الحرب:

استدل بهذا الحديث على جواز الكذب في الحرب، والخديعة، والفتك بأهل الحرب، وموضع الاستشهاد من الحديث على ذلك هو قوله لرسول الله صلى الله عليه وسلم " فأذن لي أن أقول شيئا". وقوله لكعب: "إن هذا الرجل قد عنانا...الخ".

أما الكذب: فالأصل فيه أنه حرام كله وهو من علامات النفاق سواء كان الرجل المكذوب عليه مسلما، أو كافرا برا، أو فاجرا لكن الافتراء على المؤمن أشد؛ بل الكذب كله حرام. مجموع الفتاوى (٢٨/٢٢٣).

ولكن توجد حالات جاء الشرع بجواز الكذب فيها تحقيقا للمصلحة العظيمة أو دفعا للمضرة: فمن تلك الحالات: "الحرب" وقد سبق بيان: أن كعبا كان محاربا للمسلمين.

وقد ترجم البخاري رحمه الله تعالى فقال: "باب الكذب في الحرب". ثم ساق حديث جابر رضي الله عنه، في قتل كعب بن الأشرف،

Upload by : altawhedmag.com

وترجم عليه النسائي في الكبرى باب الرخصة في الكذب في الحرب ثم ساقه برقم (٨٥٨٧، الرساله).

وعن أسماء بنت يزيد قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لا يحل الكذب إلا في ثلاث... وذكر منها "الكذب في الحرب" سنن الترمذي (١٩٣٩)، وقال: حسن غريب.

قال ابن حجر: ترجم البخاري بذلك؛ لقول محمد بن مسلمة للنبي صلى الله عليه وسلم أولا "ائذن لي أن أقول؟ قال: قل": فإنه يدخل فيه الإذن في الكذب تصريحًا وتلويحًا. فتح الباري (١٥٩/٦).

وفيه جواز الكلام الذي يُحتاج إليه في الحرب، ولو لم يقصد قائله إلى حقيقته. فتح الباري (٣٤٠/٧).

وحديث أسماء صريح في إباحة الكذب في الحرب، ولكن العلماء اختلفوا في تفسير الكذب في الحرب على قولين:

القول الأول: أن الكذب في الحرب هو التورية، والتعريض وليس الكذب الصريح؛ كأن يقول في جيش المسلمين كثرة، وجاءهم مدد كثير، أو يقول انظر إلى خلفك؛ فإن فلانًا قد أتاك من ورائك ليضربك. واليه مال ابن بطال فيما نقله عن بعض شيوخه. شرح صحيح البخاري (١٨٩/٥).

واليه مال الطبري، وابن تيمية وابن القيم وابن العربي، والماوردي. إغاثة اللهفان (٣٨١/١)، وأدب الدنيا والدين (٢٦٥)، و إكمال المعلم (٤٢/٦)، و عارضة الأحوذي (١٦٥/١).

القول الثاني: المقصود بالكذب معناه الحقيقي، وهو الإخبار بخلاف الواقع، ويكون رخصة في هذا الموضع؛ للمصلحة الراجحة؛ فيكون فيه: مراعاة أعظم المصلحتين تحصيلا وأعظم المفسدتين دفعا؛ قال الخطابي: هذه أمور قد يضطر الإنسان فيها إلى زيادة القول، ومجاوزة الصدق؛ طلبا للسلامة ورفعا للضرر، وقد رخص في بعض الأحوال في اليسير من الفساد، لما يؤمل فيه من الصلاح، ومن الكذب في الحرب؛ أن يظهر من نفسه قوة، ويتحدث بما يقوي أصحابه، ويكيد به عدوه. معالم السنن (١٢٣/٤).

وإنما أبيح ذلك؛ لأنه من باب المكيدة في الحرب لمصلحة الإبقاء على النفس. غريب الحديث للخطابي (١٦٥/٢).

قال النووي: والظاهر: إباحة حقيقة نفس الكذب لكن الاقتصار على التعريض أفضل والله أعلم. شرح النووي على مسلم (٤٥/١٢).

وقال القرطبي: والأولى ألا يكذب، إذا وجد عنه مندوحة؛ فإن لم توجد المندوحة؛ أعملت الرخصة، وقد يجب ذلك بحسب الحاجة إلى تلك المصلحة، والضرورة إلى دفع تلك المفسدة، وما ذكرته هو- إن شاء الله- مذهب أكثر العلماء. المفهم (٥٩٢/٦).

وأما الخدعة ففيها ما يفهم من حديثنا هذا، ووجهه ما فعله الصحابة في خديعة كعب ليستنزلوه من الحصن، وقد ترجم البخاري "الحرب خدعة"، وساق حديث أبي هريرة (٣٠٢٩) وجابر رضي الله عنهما (٣٠٣٠) عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "الحرب خدعة"، وترجم أبو داود " باب في العدو يُؤتى على غرة ويُتشبه بهم" وساق حديث مقتل كعب (٢٧٦٨)، وقوله "خدعة" بفتح المعجمة مع سكون المهملة على الأفصح. فتح الباري (١٥٨/٦).

وأصل الخدع إظهار أمر وإضمار خلافه، كما كان رسول الله- صلى الله عليه وسلم - "قلما يريد غزوة إلا ورى بغيرها. صحيح البخاري (٤١٥٦)؛ أي: أوهم غيرها، والتورية: أن يذكر لفظا يحتمل معنيين أحدهما: أقرب من الآخر؛ فيوهم إرادة القريب وهو يريد البعيد. فتح الباري (١١٧/٨).

والمراد: أنه كان يريد أمرًا: فلا يظهره كأن يريد: أن يغزو وجهة الشرق: فيسأل عن أمر في جهة الغرب، ويتجهز للسفر: فيظن من يراه ويسمعه أنه يريد جهة الغرب. فتح الباري (١٥٩/٦).

وفي الحديث الإشارة إلى استعمال الرأي في الحرب بل الاحتياج إليه أكد من الشجاعة، ولهذا وقع الاقتصار على ما يشير إليه بهذا الحديث، وهو كقوله "الحج عرفة" فتح الباري (١٥٨/٦).

وكما قيل

الرأي قبل شجاعة الشجعان
هو أول وهي المحل الثاني
فإذا هما اجتمعا لنفس مرة
بلغت من العلياء كل مكان.

طرح التثريب (٢١٦/٧).

- واعلم: أن الخديعة في الحرب سنة ثابتة قولا

Upload by : altawhedmag.com

وعملاً وأما الغدر والخيانة؛ فحرام. ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ ﴾ (الأنفال: ٥٨)؛ وممن نص على ذلك الخطابي رحمه الله. غريب الحديث (١٦٥/٢).

وقال النووي: واتفق العُلماءُ على جواز خداع الكفار في الحرب وكيف أمكن الخداع إلا أن يكون فيه نقض عهد، أو أمان؛ فلا يحل. شرح مسلم (٤٥/١٢).

ولا شك أن المسلم يقاتل طاعةً لله، لا هوًى في نفسه، والمسلم كما أنه مأمور بتقوى الله في حال السلم، فهو كذلك مأمور بتقوى الله حال الحرب، ولذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أرسل جيشا، أو سرية أمره بتقوى الله حتى تنضبط نفوس المقاتلين، ولا تركب أي محرم.

فعن سُلَيمان بن بُرَيدة، عن أبيه، قال: كان رسُولُ الله صلى الله عليه وسلم إذا أمّر أميرًا على جيش، أو سرية، أوصاهُ في خاصّته بتقوى الله، ومن معه من المسلمين خيرًا، ثم قال: اغزوا باسم الله في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا وليدًا. صحيح مسلم (١٧٣١).

فلا يجوز لنا أن نركب كل طريق، وكل سبيل، ولو كان حراما، بحجة أن من فعلنا ذلك به عدو لنا، ويخالفنا في الدين، فهذا من أخلاق اليهود، وليس من أخلاق المسلمين، فإن اليهود كانوا يستحلون أموال العرب والمسلمين، ولا يتورعون عن شيء من ذلك، كما قال تعالى عنهم: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (آل عمران: ٧٥). وانظر: تفسير القرآن العظيم (٦١/٢).

قال المهلب- رحمه الله-: "الغدر حرام بالمؤمنين، وبأهل الذمة، وفاعله مستحق لاسم النفاق وللعنة الله والملائكة والناس أجمعين" شرح صحيح البخاري لابن بطال (٣٦٢/٥).

والذي لا مرية فيه أن سنة النبي-صلى الله عليه وسلم- الفعلية تبين سنته القولية، وقد اجتهد صلوات الله وسلامه عليه في غزواته بكل سبب للظفر على العدو، ومن ذلك مخادعته للعدو من غير غدر، ولا نقض لعهد. تهذيب الآثار: (١١٦/١).

ومن أمثلته مقتل كعب بن الأشرف... وقد بحث هذه المسألة محمد بن عيسى بن أصبغ ت (٦٢٠) هـ بحثًا جيدًا جاء فيه: الخديعة المباحة هي كل ما يرجع إلى إجادة النظر في تدابير غوامض الحرب، وإدارة الرأي فيها مما يوهم العدو الإعراض عنه، أو الغفلة دونه، وما أشبه ذلك من التقدم بكل ما يقع من توهين العدو، أو تلتمس فيه غرته، وإصابة الفرصة منه، على وجه لا يوهم الأمان، ولا يتضمن الإشعار بالأنس إليه على حال، فيدخل في ذلك التورية والتبييت وتشتيت بينهم، ونصب الكمين والاستطراد حال القتال لانتهاز فرصة المكر، وما أشبه ذلك مما يرجع الأمر فيه إلى ما حددناه، وليس من ذلك أن يظهر لهم أنه منهم، أو جاء لنصيحتهم؛ فإذا وجد غفلة نال منهم... الإنجاد في أبواب الجهاد (٢٣٢-٢٣٤).

وأما الفتك: فهو أن يأتي الرجل صاحبه وهو غافل؛ فيشد عليه؛ فيقتله، والغيلة: أن يخدعه ثم يقتله في موضع خفي. النهاية (٤٠٩/٣).

وهو جائز في أهل الحرب، ولمن ليس له عهد، ولا أمان، ويدخل فيه من اغتصب أرض المسلمين، واحتلها بجنوده وعساكره، وانتهك الأعراض، وسلب الأموال، وسفك الدماء؛ فمثل هذا لا حرمة له، ولا كرامة، وقتاله واجب على القادر من المسلمين.

وقد ترجم البخاري فقال: "بَابُ الفَتْكِ بِأَهْلِ الحَرْبِ"، ثم ساق طرفًا من حديثنا هذا قال ابن حجر: أي جواز قتل الحربي سرا، وإنما فتكوا به؛ لأنه نقض العهد، وأعان على حرب النبي صلى الله عليه وسلم، وهجاه، ولم يقع لأحد ممن توجه إليه تأمين له بالتصريح، وإنما أوهموه ذلك، وأنسوه حتى تمكنوا من قتله. فتح الباري (١٦٠/٦).

ولا يعارضه قوله: "إنَّ الإيمانَ قيدَ الفتكِ، لا يفتكُ مؤمنٌ" صحيح؛ أخرجه أحمد (١٤٢٦)؛ لأن معناه: قيده بحيث لا يكون إلا في محله، ومنعه من أن يكون في غير محله؛ فلا يفتك المؤمن بأحد له عهد. وقال الخطابي: الفتك إنما هو فجأة قتل من له أمان، وكان كعب بن الأشرف ممن خلع الأمان ونقض العهد. معالم السنن (٣٣٧/٢).

ونكتفي بهذا، والحمد لله رب العالمين.

Upload by : altawhedmag.com

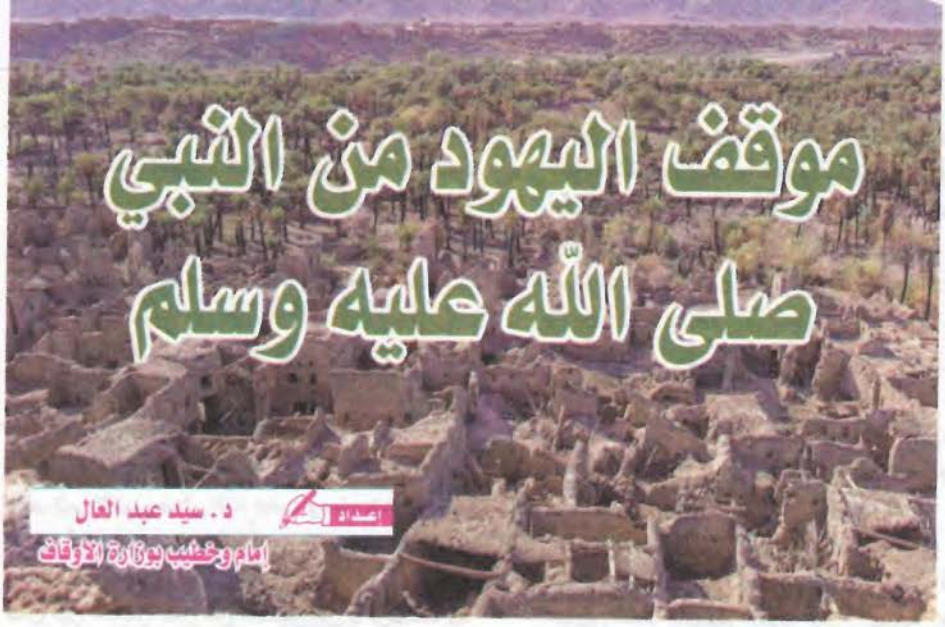

موقف اليهود من النبي صلى الله عليه وسلم

إعداد: د. سيد عبد العال
إمام وخطيب بوزارة الأوقاف

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد: فقد مر معنا مقتل كعب بن الأشرف اليهودي، وكعادة اليهود يعيشون دور الضحية، وادعاء المظلومية قديمًا، وحديثًا مع أنهم هم المعتدون الظالمون، وما صدر في حقهم ما هو إلا عقوبة، ورد على اعتدائهم، ومصداق ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم "مَنْ لِكَعْبِ بْنِ الأَشْرَفِ؛ فَإِنَّهُ قَدْ آذَى اللَّهَ وَرَسُولَهُ".

ومع أن النبي صلى الله عليه وسلم قال هذا إلا أن ناسًا من بني جلدتنا، ويصلون لقبلتنا ما زالوا يدافعون عن ذاك اليهودي، وعن جميع اليهود، ويتعاطفون معهم، ويصفون قتل كعب، بالاعتداء، والاغتيال غير المبرر! ولا شك أن الأذى الصادر لم يكن قاصرًا على كعب بن الأشرف وإنما سبقه به إليه أناس، وتبعه عليه آخرون منهم في كل عصر ومصر حتى اشتد أذاهم بعباد الله: قتلًا وتشريدًا في عصرنا هذا: فمن لبني صهيون: فإنهم قد آذوا عباد الله، وأتباع رسوله صلى الله عليه وسلم؟ ولكي تتضح الصورة لمن يعترض على هذا الموقف الصارم تجاه اليهود تعالوا بنا في رحلة إلى المدينة أيام رسول الله صلى الله عليه وسلم، ورحلتنا هذه المرة نخصصها للتنقيب عن آثار اليهود، وموقفهم من النبي صلى الله عليه وسلم، وحينئذ يظهر للمنصف: أنهم لا يستحقون الوقوف في صف الضحية، والمظلوم لا قديمًا ولا حديثًا.

إطلالة من بعيد:

لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة: بادر عالم اليهود وحبرهم: عبد الله بن سلام: فأسلم، وأبى عامتهم إلا الكفر: فوادع من بالمدينة من اليهود، وكتب بينهم كتابًا، وكانوا ثلاث قبائل: قينقاع، والنضير، وقريظة: فنقض الثلاثة العهد طائفة بعد طائفة: فمن على بني قينقاع، وأجلى بني النضير، واستأصل بني قريظة، ونزلت سورة الحشر في بني النضير، وسورة الأحزاب في بني قريظة. مختصر سيرة الرسول (١٣٩).

مجاهرة اليهود بالعداء وبغض أخبارهم:

لقد نصبت أحبار يهود لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولأصحابه العداوة، بغيًا وحسدًا وضغنًا. سيرة ابن هشام (١/٥١٣).

هذا مع أنهم كانوا يعرفونه كما يعرفون أبناءهم، وكانوا يستنصرون به على أهل الأوثان، بل كانوا يترقبون مبعثه: كما قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ (البقرة: ٨٩): فقوله: «وكانوا من

Upload by: altawhedmag.com

قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا»، أَيْ: وَقَدْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ مَجِيءِ هَذَا الرَّسُولِ بِهَذَا الكِتَابِ يَسْتَنْصِرُونَ بِمَجِيئِهِ عَلَى أَعْدَائِهِمْ مِنَ المُشْرِكِينَ إِذَا قَاتَلُوهُمْ، يَقُولُونَ: إِنَّهُ سَيُبْعَثُ نَبِيٌّ فِي آخِرِ الزَّمَانِ نَقْتُلُكُمْ مَعَهُ قَتْلَ عَادٍ وَإِرَمَ «فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ ۚ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ» (البقرة: ٨٩). (تفسير ابن كثير ١/ ٣٢٥).

واليك موقف رؤساء اليهود الذين يعرفون صفة النبي صلى الله عليه وسلم

ولا شك أن موقف العامة تابع لموقف قادتهم وقد لمس النبي صلى الله عليه وسلم هذا المعنى فقال " لَوْ آمَنَ بِي عَشَرَةٌ مِنَ اليَهُودِ، لَآمَنَ بِي اليَهُودُ" البخاري (٣٩٤١)

قال ابن حجر: كَانَ مِنَ المَشْهُورِينَ بِالرِّيَاسَةِ فِي اليَهُودِ عِنْدَ قُدُومِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمِنْ بَنِي النَّضِيرِ أَبُو يَاسِرِ بْنُ أَخْطَبَ، وَأَخُوهُ حُيَيُّ بْنُ أَخْطَبَ، وَكَعْبُ بْنُ الأَشْرَفِ، وَرَافِعُ بْنُ أَبِي الحُقَيْقِ، وَمِنْ بَنِي قَيْنُقَاعَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حُنَيْفٍ، وَفِنْحَاصُ، وَرِفَاعَةُ بْنُ زَيْدٍ، وَمِنْ بَنِي قُرَيْظَةَ الزُّبَيْرُ بْنُ بَاطِيَا، وَكَعْبُ بْنُ أَسَدٍ، وَشَمْوِيلُ بْنُ زَيْدٍ: فَهَؤُلاءِ لَمْ يَثْبُتْ إِسْلامُ أَحَدٍ مِنْهُمْ، وَكَانَ كُلُّ مِنْهُمْ رَئِيسًا فِي اليَهُودِ، وَلَوْ أَسْلَمَ لاتَّبَعَهُ جَمَاعَةٌ مِنْهُمْ؛ فَيَحْتَمِلُ: أَنْ يَكُونُوا المُرَادَ. فتح الباري (٧/ ٢٧٥).

ورأس الإيذاء وكبره تكذيبه صلى الله عليه وسلم، ولا شك أن كل إيذاء تابع للتكذيب والكفر الذي قابلوا به رسول الله صلى الله عليه وسلم

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَالَ رَافِعُ بْنُ حُرَيْمِلَةَ-أَوْ وَهْبُ بْنُ زَيْدٍ-: يَا مُحَمَّدُ، ائْتِنَا بِكِتَابٍ تُنَزِّلُهُ عَلَيْنَا مِنَ السَّمَاءِ نَقْرَؤُهُ، وَفَجِّرْ لَنَا أَنْهَارًا نَتَّبِعْكَ وَنُصَدِّقْكَ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ قَوْلِهِمْ: «أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۗ وَمَن يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ» (البقرة:١٠٨): والمرادُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى ذَمَّ مَنْ سَأَلَ الرَّسُولَ-صلى الله عليه وسلم- عَنْ شَيْءٍ، عَلَى وَجْهِ التَّعَنُّتِ وَالاقْتِرَاحِ، كَمَا سَأَلَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلامُ، تَعَنُّتًا وَتَكْذِيبًا وَعِنَادًا. تفسير ابن كثير (١/ ٣٨١).

كتمان الحق عند اليهود

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ النَّبِيَّ-صلى الله عليه وسلم- دَعَا يَهُودَ فَسَأَلَهُمْ عَنْ شَيْءٍ فَكَتَمُوهُ إِيَّاهُ، وَأَخْبَرُوهُ بِغَيْرِهِ، فَأَرَوْهُ أَنْ قَدِ اسْتَحْمَدُوا إِلَيْهِ بِمَا أَخْبَرُوهُ عَنْهُ فِيمَا سَأَلَهُمْ، وَفَرِحُوا بِمَا أُوتُوا مِنْ كِتْمَانِهِمْ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: «وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوا وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ الْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ» آل عمران آية (١٨٧-١٨٨)- والحديث أخرجه البخاري (٤٥٦٨)، ومسلم (٢٧٧٨).

قَالَ الحافظ ابن كثير في تفسير هذه الآية: هَذَا تَوْبِيخٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، وَتَهْدِيدٌ لأَهْلِ الكِتَابِ، الَّذِينَ أَخَذَ عَلَيْهِمُ العَهْدَ عَلَى أَلْسِنَةِ الأَنْبِيَاءِ أَنْ يُؤْمِنُوا بِمُحَمَّدٍ-صلى الله عليه وسلم-، وَأَنْ يُنَوِّهُوا بِذِكْرِهِ فِي النَّاسِ؛ لِيَكُونُوا عَلَى أُهْبَةٍ مِنْ أَمْرِهِ، فَإِذَا أَرْسَلَهُ اللَّهُ تَابَعُوهُ، فَكَتَمُوا ذَلِكَ، وَتَعَوَّضُوا عَمَّا وَعَدُوا عَلَيْهِ مِنَ الخَيْرِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ بِالدُّونِ الطَّفِيفِ، وَالحَظِّ الدُّنْيَوِيِّ السَّخِيفِ، فَبِئْسَتِ الصَّفْقَةُ صَفْقَتُهُمْ، وَبِئْسَتِ البَيْعَةُ بَيْعَتُهُمْ.

وَفِي هَذَا تَحْذِيرٌ لِلْعُلَمَاءِ أَنْ يَسْلُكُوا مَسْلَكَهُمْ فَيُصِيبَهُمْ مَا أَصَابَهُمْ، وَيُسْلَكَ بِهِمْ مَسْلَكَهُمْ، فَعَلَى العُلَمَاءِ أَنْ يَبْذُلُوا مَا بِأَيْدِيهِمْ مِنَ العِلْمِ النَّافِعِ، الدَّالِّ عَلَى العَمَلِ الصَّالِحِ، وَلا يَكْتُمُوا مِنْهُ شَيْئًا، فَقَدْ وَرَدَ فِي الحَدِيثِ المَرْوِيِّ مِنْ طُرُقٍ مُتَعَدِّدَةٍ عَنِ النَّبِيِّ-صلى الله عليه وسلم- أَنَّهُ قَالَ: "مَنْ سُئِلَ عَنْ عِلْمٍ فَكَتَمَهُ، أُلْجِمَ يَوْمَ القِيَامَةِ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ". مسند أحمد (٧٥٧١) وإسناده صحيح، وانظر: تفسير ابن كثير (٢/ ١٨٠).

فإذا كان هذا موقف اليهود أمام النبي صلى الله عليهم وسلم وهم يعلمون: أنه يوحى إليه؛ فكيف بهم أمام غيره، ومتى ينتظر منهم الاعتراف بحق المسلمين، أو بخطئهم في الاعتداء عليهم؟

سب الله على لسان علمائهم

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ أَبُو بَكْرٍ-رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- لِفِنْحَاصَ-وَكَانَ مِنْ عُلَمَاءِ اليَهُودِ وَأَحْبَارِهِمْ-: اتَّقِ اللَّهَ وَأَسْلِمْ، فَوَاللَّهِ إِنَّكَ لَتَعْلَمُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ-صلى الله عليه وسلم-

Upload by: altawhedmag.com

رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، جَاءَكُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِهِ، تَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَكُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ؛ فَقَالَ فِنْحَاصُ: يَا أَبَا بَكْرٍ، وَاللَّهِ مَا بِنَا إِلَى اللَّهِ مِنْ فَقْرٍ، وَإِنَّهُ إِلَيْنَا لَيَفْتَقِرُ، وَمَا نَتَضَرَّعُ إِلَيْهِ كَمَا يَتَضَرَّعُ إِلَيْنَا، وَإِنَّا عَنْهُ لأَغْنِيَاءُ، وَلَوْ كَانَ عَنَّا غَنِيًّا لَمَا اسْتَقْرَضَنَا أَمْوَالَنَا كَمَا يَزْعَمُ صَاحِبُكُمْ، يَنْهَاكُمْ عَنِ الرِّبَا وَيُعْطِينَاهُ! وَلَوْ كَانَ عَنَّا غَنِيًّا مَا أَعْطَانَا الرِّبَا؛ فَغَضِبَ أَبُو بَكْرٍ فَضَرَبَ وَجْهَ فِنْحَاصَ، فَأَخْبَرَ فِنْحَاصُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأَبِي بَكْرٍ: " مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ؟ " فَأَخْبَرَهُ، فَجَحَدَ ذَلِكَ فِنْحَاصُ وَقَالَ: مَا قُلْتُ ذَلِكَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: «لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ». سورة آل عمران آية (١٨١).

وَأَنْزَلَ فِي أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَمَا بَلَغَهُ مِنْ ذَلِكَ الْغَضَبِ: «وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ» (آل عمران: ١٨٦) وَقَالَ فِيمَا قَالَ فِنْحَاصُ، وَأَحْبَارٌ مِنَ الْيَهُودِ مَعَهُ: «وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلا تَكْتُمُونَهُ» (آل عمران: ١٨٧) إِلَى قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: «عَذَابٌ أَلِيمٌ» (آل عمران: ١٨٨)، يَعْنِي فِنْحَاصَ، وَأَشْيَعَ وَأَشْبَاهَهُمَا مِنَ الأَحْبَارِ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا يُصِيبُونَ مِنَ الدُّنْيَا عَلَى مَا زَيَّنُوا لِلنَّاسِ مِنَ الضَّلالَةِ، وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا، وَلِيَقُولَ النَّاسُ: لَهُمْ عِلْمٌ، وَلَيْسُوا بِأَهْلِ عِلْمٍ، لَمْ يَحْمِلُوهُمْ عَلَى هُدًى وَلا عَلَى خَيْرٍ، وَيُحِبُّونَ أَنْ يَقُولَ النَّاسُ: قَدْ فَعَلُوا، وَلَمْ يَفْعَلُوا" أخرجه الطحاوي في شرح مشكل الآثار (١٨٣٠) واسناده حسن- وأوردها الحافظ في الفتح (٩٩/٩) وحسّن إسنادها.

فتأملوا سبّ الله تعالى، وتكذيب رسوله صلى الله عليه وسلم على لسان هذا العالم اليهودي، ثم تأملوا غيرة الصديق رضي الله عنه، والردّ المباشر، ثم غياب الشجاعة عن هذا اليهودي، وحلول المسكنة عندما يشكوا فنحاص، ثم لون آخر من الكفر بعلم الله الغيب عندما ينكر ما قال؛ فيكذبه الله، ويصدق أبا بكر؛ فرضي الله عن أبي بكر، ولعن الله من سبه وكذب رسوله صلى الله عليه وسلم، والعجب بعد ذلك من أناس يدعون محبة النبي صلى الله عليه وسلم، ثم يقولون فيمن يسب الله، ويكذب رسوله صلى الله عليه وسلم: "ليسوا كفارا بل هم إخواننا، وهم مؤمنون، ومن أهل الجنة"! يا قوم: أما لكم في أبي بكر أسوة؟

ومن مواقف اليهود العجيبة دخولهم في الإسلام ظاهريا ثم الخروج منه بقصد إضلال الناس:

حثّ جماعةٌ من اليهود بعضُهم لبعض: تعالَوا نؤمنْ بما أُنزل على مُحمَّد وأصحابه غُدوةً ونكفرْ به عشيةً، حتى نلبس عليهم دينهم لعلهم يصنعون كما نصنع، ويرجعون عن دينه، فأنزل الله تعالى فيهم: «يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٧١﴾ وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٢﴾ وَلا تُؤْمِنُوا إِلا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ» سورة آل عمران آية (٧١- ٧٣)، والخبر في سيرة ابن هشام (١٦٦/٢).

وقصدهم بهذا التنقيص بهذا الدين، ولفت أنظار الآخرين إلى النقص، والعيب الذي تزعمه اليهود في هذا الدين، والله حسيبهم «وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ» (الشعراء: ٢٢٧).

ولنا عودة إلى بيان موقفهم من النبي صلى الله عليه وسلم في العدد القادم إن شاء الله، وإنما قصدنا بذلك أن نُذكّر إخواننا بأن موقف اليهود من البداية موقف عداء مع نبي أرسله الله رحمة للعاملين؛ فهم من أول الطريق يعادون الرحمة التي أرسلت للناس كافة، ولا شك أن جهادهم جهادٌ لإيصال الرحمة للعالمين، ليصل النور لمن يرتاد هذا الطريق.

والحمد لله رب العالمين.

Upload by: altawhedmag.com

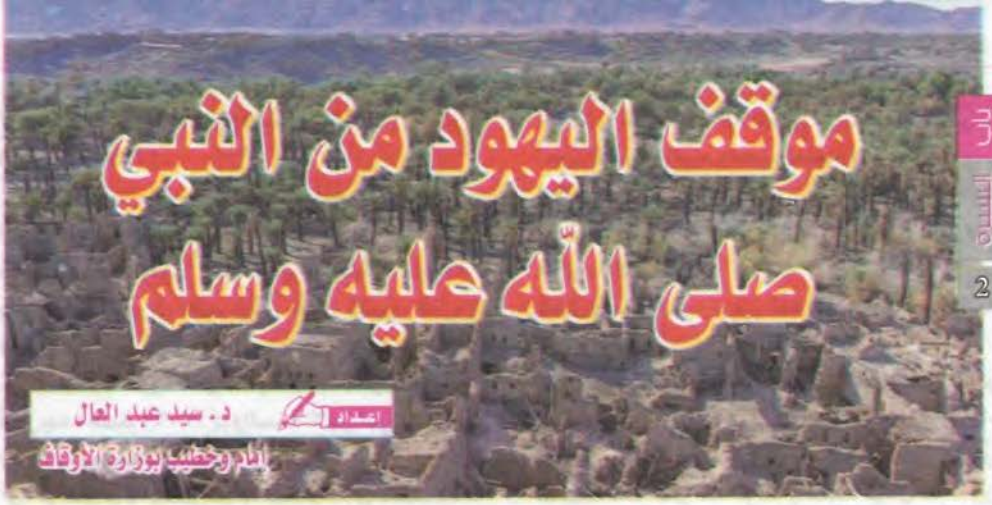

موقف اليهود من النبي صلى الله عليه وسلم

إعداد: د. سيد عبد العال
إمام وخطيب بوزارة الأوقاف

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد: فما زلنا في سياق التأمل لقول النبي صلى الله عليه وسلم "مَنْ لكعب بن الأشرف، فإنه قد آذى الله ورسوله". وما زلنا نلقى أقلامًا تتباكى على كعب قديم وأكعب حديثة طال أذاها أمة الإسلام، وعلى ضوء ذلك نتجول في شوارع تاريخ المدينة زمان النبي صلى الله عليه وسلم؛ لنشاهد بعض المواقف من اليهود تجاه النبي صلى الله عليه وسلم؛ لنأخذ منها ما يكشف عن صفة اليهود لهؤلاء وموقفهم من سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ لتكون رسالة للمدافعين عن كعب بن الأشرف، وعن اليهود بصفة عامة.

لقد حاول اليهود صد الناس عن الإيمان بالنبي صلى الله عليه وسلم، وحاولوا إيقاف هذه الدعوة وسلكوا في سبيل ذلك مسالك شتى منها: أَسْئِلَتُهُمْ لِلرَّسُولِ- صلى الله عليه وسلم- والسؤال في حد ذاته ليس مشكلة، ولكن ما الغرض من السؤال وما النتيجة بعد الإجابة على السؤال هذا ما يثير العجب؛ لأنهم كانوا يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللَّهِ لاَ لِيَعْرِفُوا الحَقَّ، وَإِنَّمَا تَكَبُّرًا وَاسْتِهْزَاءً، وتعجيزا مع علمهم: أنه صادق ويوحى إليه؛ فما هذه المكابرة العجيبة، والحسد الأعمى، ونسوق تحت هذا المعنى عدة أخبار.

الأول: السؤال عن الروح

عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَرْثٍ بِالمَدِينَةِ، وَهُوَ يَتَوَكَّأُ عَلَى عَسِيبٍ، (عصا من جريد النخل)- ؛ فَمَرَّ بِنَفَرٍ مِنَ اليَهُودِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: سَلُوهُ عَنِ الرُّوحِ وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لاَ تَسْأَلُوهُ، لاَ يُسْمِعُكُمْ مَا تَكْرَهُونَ، فَقَامُوا إِلَيْهِ فَقَالُوا: يَا أَبَا القَاسِمِ حَدِّثْنَا عَنِ الرُّوحِ، فَقَامَ سَاعَةً يَنْظُرُ؛ فَعَرَفْتُ أَنَّهُ يُوحَى إِلَيْهِ، فَتَأَخَّرْتُ عَنْهُ حَتَّى صَعِدَ الوَحْيُ، ثُمَّ قَالَ: " وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي، (الإسراء: ٨٥)". صحيح البخاري (٧٢٩٧) ومسلم (٢٧٩٤).

وواضح أن هذا سؤال تعجيز فقولهم "سلوه عن الروح"؛ أي: اسألوه عن الروح؛ ليعجز عن الجواب عنها؛ فتثيروا حوله الشكوك والشبهات"، وقال بعضهم: لا تسألوه لا يجيء فيه بشيء تكرهونه" أي لا تسألوه خشية أن يجيبكم بما هو موجود في كتابكم؛ فيخيّب ظنكم، ويقع ما تكرهون "فقال بعضهم لنسألنه" أي والله لنسألنه مهما كانت النتائج.

وفيه فوائد:

١- وَفِيهِ التَّوَقُّفُ عَنِ الجَوَابِ بِالاجْتِهَادِ لِمَنْ يَتَوَقَّعُ النَّصَّ.

٢- وفيه أَنَّ بَعْضَ المَعْلُومَاتِ قَدِ اسْتَأْثَرَ اللَّهُ بِعِلْمِهَا حَقِيقَةً.

٣- أن الروح غيب، وسر من أسرار الله القدسية استأثر الله بعلمه، وأودعه بعض مخلوقاته نعرف آثاره، ونجهل حقيقته، وقد وقف هذا الإنسان حسيراً أمام ذلك السر اللطيف لا يدري ما هو؛ ولا يعرف عنه إلا ما جاء في بعض الأخبار الصحيحة.

٤- قلة علم الإنسان وضآلته، وأن العقل البشري

لا يحيط بكل شيء. فتح الباري (٩/٣٢٣)، ومنار القاري (١/٢٢٧).

الثاني: ادعاؤهم العلم وذلك أنه لما قيل في الجواب على سؤالهم «وما أوتيتم من العلم إلا قليلا» قالوا: أوتينا علمًا كثيرًا، أوتينا التوراة، ومن أوتي التوراة، فقد أوتي خيرًا كثيرًا، قال: فأنزل الله عز وجل: «قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ» سورة الكهف آية (١٠٩). والحديث أخرجه أحمد (٢٣٠٩)، والسنة لابن أبي عاصم (٥٩٥) (وصححه هناك الألباني).

أي: لو كان ماء البحر مدادًا للقلم الذي تُكتب به كلمات ربي وحكمه وآياته الدالة عليه «لنفد البحر» أي لفرغ البحر قبل أن يفرغ من كتابة ذلك «ولو جئنا بمثله» أي بمثل البحر آخر، ثم آخر، وهلم جرًا، بحور تمده ويكتب بها، لما نفدت كلمات الله. تفسير ابن كثير (٥/٢٠٤).

الثالث: ادعاؤهم عداوة جبريل عليه السلام لهم:

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: حضرت عصابة من اليهود يومًا إلى النبيّ- صلى الله عليه وسلم- . فقالوا: يا أبا القاسم، حدثنا عن خلال نسألك عنها، لا يعلمها إلا نبيّ.

فقال- صلى الله عليه وسلم-: "سلوني عما شئتم، ولكن اجعلوا لي ذمة الله، وما أخذ يعقوب عليه السلام على بنيه، لئن أنا حدثتكم شيئا فعرفتموه؛ لتتابعني على الإسلام".

قالوا: فذلك لك.

قال: "فسلوني عما شئتم".

قالوا: أخبرنا عن أربع خلال نسألك عنها: أخبرنا عن الطعام الذي حرم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة، وأخبرنا عن ماء المرأة من ماء الرجل، وكيف يكون منه الذكر حتى يكون ذكرًا، وكيف تكون منه الأنثى حتى تكون أنثى، وأخبرنا كيف هذا النبيّ في النوم، ومن وليك من الملائكة؟

قال- صلى الله عليه وسلم-: "فعليكم عهد الله وميثاقه لئن أنا حدثتكم لتتابعني؟"

فأعطوه ما شاء من عهد وميثاق.

قال- صلى الله عليه وسلم-: "أنشدكم بالله الذي أنزل التوراة على موسى، هل تعلمون أن إسرائيل يعقوب مرض مرضا شديدا، وطال سقمه، فنذر لله نذرًا لئن شفاه الله تعالى من سقمه، ليحرمن أحب الشراب إليه، وأحب الطعام إليه، وكان أحب الشراب إليه ألبان الإبل، وأحب الطعام إليه لحمان الإبل؟".

قالوا: اللهم نعم.

فقال رسول الله- صلى الله عليه وسلم-: "اللهم اشهد عليهم".

قال: "فأنشدكم بالله الذي لا إله إلا هو، الذي أنزل التوراة على موسى: هل تعلمون أن ماء الرجل غليظ أبيض، وأن ماء المرأة رقيق أصفر، فأيهما علا كان له الولد والشبه بإذن الله، وإن علا ماء الرجل ماء المرأة كان ذكرًا بإذن الله، وإن علا ماء المرأة ماء الرجل كانت أنثى بإذن الله؟".

قالوا: اللهم نعم.

فقال رسول الله- صلى الله عليه وسلم-: "اللهم اشهد عليهم".

قال: "فأنشدكم بالله الذي أنزل التوراة على موسى، هل تعلمون أن هذا النبيّ تنام عيناه، ولا ينام قلبه؟"

قالوا: اللهم نعم.

قال- صلى الله عليه وسلم-: "اللهم اشهد عليهم".

قالوا: أنت الآن، حدثنا: من وليك من الملائكة؟ فعندها نجامعك أو نفارقك.

قال: "وليي جبريل، ولم يبعث الله عز وجل، نبيًا قط إلا وهو وليه".

قالوا: فعندها نفارقك، لو كان وليك غيره من الملائكة لبايعناك وصدقناك.

قال: "فما يمنعكم أن تصدقوه؟"

قالوا: إنه عدونا من الملائكة، فأنزل الله عز وجل: «قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ» إلى آخر الآية، ونزلت: «فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ». سورة البقرة آية (٩٠). (رواه أحمد (٢٥١٤) وصححه محققوه).

فيا أمة الإسلام قوم يدعون عداوة جبريل، وفيكم من يطمع بمودتهم، ورب العالمين قطع الأمل في هذا بقوله: «ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل إن هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم ما لك من الله من ولي ولا نصير» (البقرة: ١٢٠).

الرابع: استفتاؤهم النبيّ- صلى الله عليه وسلم- عن حكم الرجم: رغبة في النزول على تحريفهم للتوراة:

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: إن اليهود جاؤوا إلى رسول الله- صلى الله عليه وسلم- فذكروا له أن رجلاً منهم وامرأة زنيا، فقال لهم رسول الله- صلى الله عليه وسلم-: "ما تجدون في التوراة في شأن الرجم؟".

فقالوا: نفضحهم ويجلدون.

قال عبد الله بن سلام- رضي الله عنه- وهو مع رسول الله- صلى الله عليه وسلم-: كذبتم، إن فيها الرجم، فأتوا بالتوراة فنشروها، فوضع أحدهم يده على آية الرجم، فقرأ ما قبلها وما بعدها.

فقال عبد الله بن سلام- رضي الله عنه-: ارفع يدك فرفع يده فإذا فيها آية الرجم.

قالوا: صدق يا محمد، فيها آية الرجم، فأمر بهما رسول الله- صلى الله عليه وسلم- فرجما.

صحيح البخاري (٦٨٤١)، ومسلم (١٦٩٩).

وعن البراء بن عازب- رضي الله عنه- قال: مُرّ على رسول الله- صلى الله عليه وسلم- بيهودي محمم- أي مسود الوجه- مجلود، فدعاهم، فقال: "أهكذا تجدون حد الزنى في كتابكم؟".

فقالوا: نعم، قال: فدعا رجلاً من علمائهم، فقال: "أنشدك بالله الذي أنزل التوراة على موسى، أهكذا تجدون حد الزنى في كتابكم؟". فقال: لا والله، ولولا أنك أنشدتني بهذا لم أخبرك، نجد حد الزنى في كتابنا الرجم، ولكنه كثر في أشرافنا، فكنا إذا أخذنا الشريف، تركناه، وإذا أخذنا الضعيف، أقمنا عليه الحد، فقلنا: تعالوا حتى نجعل شيئاً نقيمه على الشريف والوضيع، فاجتمعنا على التحميم والجلد. فقال رسول الله- صلى الله عليه وسلم-: "اللهم إني أول من أحيا أمرك إذ أماتوه". قال: فأمر به فرجم.... صحيح مسلم (١٧٠٠).

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى: فهذه أحاديث دالة على أن رسول الله- صلى الله عليه وسلم- حكم بموافقة حكم التوراة، وليس هذا من باب الإلزام بما يعتقدون صحته؛ لأنهم مأمورون باتباع الشرع المحمدي لا محالة، ولكن هذا بوحي خاص من الله عز وجل.

بذلك، وسؤاله إياهم عن ذلك ليقررهم على ما بأيديهم، مما تراضوا على كتمانه وجحده، وعدم العمل به تلك الدهور الطويلة، فلما اعترفوا به مع عملهم على خلافه، بأن زيغهم وعنادهم وتكذيبهم لما يعتقدون صحته من الكتاب الذي بأيديهم، وعدولهم إلى تحكيم الرسول- صلى الله عليه وسلم- إنما كان عن هوى منهم وشهوة لموافقة آرائهم، لا لاعتقادهم صحة ما يحكم به؛ لهذا قالوا: «إن أوتيتم هذا» أي: الجلد والتحميم «فخذوه» أي: اقبلوه، «وإن لم تؤتوه فاحذروا» أي: من قبوله واتباعه. تفسير ابن كثير (١١٦/٣).

الخامس: حالهم فيما بينهم

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كانت قريظة والنضير، وكانت النضير أشرف من قريظة، قال: وكان إذا قتل رجل من قريظة رجلاً من النضير قتل به، وإذا قتل رجل من النضير رجلاً من قريظة ودي مائة وسق من تمر، فلما بعث النبي- صلى الله عليه وسلم- قتل رجل من النضير رجلاً من قريظة، فقالوا: ادفعوه إلينا نقتله، فقالوا: بيننا وبينكم النبي- صلى الله عليه وسلم- ، فأتوه فنزلت: «وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط»، والقسط النفس بالنفس، ثم نزلت: «أفحكم الجاهلية يبغون». سورة المائدة آية (٥٠)، والحديث أخرجه أبو داود في سننه (٤٤٩٤) وصححه الألباني، وابن حبان في صحيحه (٥٠٥٧).

فانظر: كيف يفعل من قدر منهم على أخيه، وأهل ملته، ولا يزال قوم من أهل ملتنا يطمعون في عدلهم فينا، وأن يردوا إلينا حقنا!

ولم يقف أمرهم مع النبي صلى الله عليه وسلم عند هذا الحد بل وصل إلى محاولة فتنة النبي صلى الله عليه وسلم، والاستهزاء به، وهذا ما تناوله في العدد القادم إن شاء الله تعالى.

اللهم ردنا إليك ردًا جميلاً، وارحم ضعفنا واجبر كسرنا وأنج عبادك المستضعفين يا ذا الجلال والإكرام. وصل اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

موقف اليهود من النبي صلى الله عليه وسلم

إعداد
د. سيد عبد العال
إمام وخطيب بوزارة الأوقاف

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

ذكرنا في مقال سابق: أن من مسالك اليهود في حرب النبي صلى الله عليه وسلم أسئلتهم للرسول- صلى الله عليه وسلم-؛ والسؤال إذا قصد منه التعلم كان خيرا ولكن اليهود كانوا يسألون لا ليعرفوا الحق، وإنما تكبرا واستهزاء، وتعجيزا مع علمهم، أنه صادق ويوحى إليه...

وذكرنا من هذه الأسئلة، والمواقف: السؤال عن الروح، وادعاءهم العلم، وادعاءهم عداوة جبريل، وسؤالهم عن حكم الرجم، وآخر ما ذكرنا: تفرقتهم لليهودي من بني النضير، واليهودي من بني قريظة: فإذا قتل رجل من قريظة رجلا من النضير قتل به، وإذا قتل رجل من النضير رجلا من قريظة ودي مائة وسق من تمر، فلما بعث النبي-صلى الله عليه وسلم- قتل رجل من النضير رجلا من قريظة، فقالوا: ادفعوه إلينا نقتله، فقالوا: بيننا وبينكم النبي صلى الله عليه وسلم فأتوه فنزلت: «وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ، وَالْقِسْطُ النَّفْسُ بِالنَّفْسِ، ثُمَّ نَزَلَتْ: «أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ» سورة المائدة آية (٥٠)، والحديث أخرجه أبو داود في سننه (٤٤٩٤)، وابن حبان في صحيحه (٥٠٥٧).

ولأي عاقل أن يتساءل: هل كان اليهود يعلمون الحق في ذلك؟ والجواب: نعم! فلماذا يسألون النبي صلى الله عليه وسلم إذا ما داموا يعلمون الحق، وقد قرروا الحيدة عنه اتباعا لأهوائهم؟

وهذا هو النوع السادس من أسئلتهم للنبي صلى الله عليه وسلم

محاولة فتنة النبي صلى الله عليه وسلم:

لم يكتف اليهود بما سبق من محاولات الصد عن سبيل الله حتى حاولوا فتنة النبي صلى الله عليه وسلم نفسه؛ ووصل الأمر إلى أن حذر الله نبيه صلى الله عليه وسلم من فتنتهم فقال تعالى « وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ » (المائدة: ٤٩)؛ والمعنى: احذر هؤلاء اليهود الذين جاءوك محتكمين إليك" أن يفتنوك"، فيصدُّوك عن بعض ما أنزل الله إليك من حكم كتابه؛ فيحملوك على ترك العمل به واتباع أهوائهم. تفسير الطبري (١٠/٣٩٢).

وذلك أن أحبارهم، وأشرافهم، وسادتهم ذهبوا إليه، وهم في ظاهر الأمر يتحاكمون إليه، وفي قصدهم شيء آخر! فما هو؟ يجيب عن ذلك عبد الله بن عباس رضي الله عنهما فيما أخرج الطبري (١٠/٣٩٣/١٢١٥٠) من طريق محمد بن إسحاق قال، حدثني محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت قال، حدثني سعيد بن جبير أو عكرمة، عن ابن عباس قال: قال

Upload by : altawhedmag.com

كعب بن أسد، وابن صوريا وشاس بن قيس، بعضهم لبعض: اذهبوا بنا إلى محمد، لعلنا نفتنه عن دينه! فأتوه فقالوا: يا محمد، إنك قد عرفت أنا أحبار يهود وأشرافهم وساداتهم، وأنا إن اتبعناك اتبعنا يهود ولم يخالفونا، وأن بيننا وبين قومنا خصومة، فنحاكمهم إليك، فتقضي لنا عليهم، ونؤمن لك ونصدقك! فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأنزل الله فيهم قوله «وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك» إلى قوله: «لقوم يوقنون».

والآية الكريمة إقرار لرسول الله صلى الله عليه وسلم على ما فعل، وأمر له بالثبات وعدم الانخداع بكلام اليهود، فإن أعرضوا عن حكمك بعد تحاكمهم إليك، فاعلم: أن حكمة الله في ذلك هي أن إرادته تمت على أن يعذبهم ببعض ذنوبهم في الحياة الدنيا قبل الآخرة، لأن استثقالهم لأحكام التوراة الموجودة لديهم، وتحاكمهم إليك لعلك تتبع أهواءهم، ومحاولتهم لفتنتك عن بعض ما أنزل الله إليك من القرآن كل هذه أمارات على فساد الأخلاق وانحلال روابط الاجتماع، ولا بد أن تكون نتيجتها وقوع العذاب بهم، وقد حل بيهود المدينة وما حولها-بسبب غدرهم- ما حل: فقد أجلى النبي صلى الله عليه وسلم بني النضير عنها، وقتل بني قريظة. وقوله: «وإن كثيراً من الناس لفاسقون» أي: متمردون في الكفر، مصرون عليه، خارجون من الحدود والشرائع التي اختارها الله لعباده.

وقال الإمام القرطبي: "والمعنى أن الجاهلية كانوا يجعلون حكم الشريف خلاف حكم الوضيع.. وكانت اليهود تقيم الحدود على الضعفاء الفقراء، ولا يقيمونا على الأقوياء الأغنياء، فضارعوا الجاهلية في هذا الفعل" تفسير المراغي (٦/١٣٢-١٣٣)، وتفسير أبي السعود (٣/٤٧)، والقرطبي (٦/٢١٤)، ومنهج القرآن الكريم في دعوة المشركين إلى الإسلام (٢/٧٥٨).

وقفة مهمة:

إذا صدر هذا التحذير للنبي صلى الله عليه وسلم من فتنة اليهود!؛ فلا شك أن من بعده من الأمراء والعلماء أولى بالحذر من فتنتهم؛ فاللهم يا مقب القلوب ثبت قلوبنا على دينك، ولا بد للمسلم حينئذ أن يحدد موقفه عقيدة وعملاً تجاه اليهود عامة، والمحاربين منهم خاصة.

وملخص ذلك أمران:

الأول: نهى الله تعالى المسلمين عن مودتهم!

قال ابن إسحاق: وكان رفاعة بن زيد بن التابوت، وسويد بن الحارث قد أظهرا الإسلام ونافقا، كان رجال من المسلمين يوادونهما، فأنزل الله تعالى: «يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء واتقوا الله إن كنتم مؤمنين...» إلى قوله تعالى: «وإذا جاءوكم قالوا آمنا وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به والله أعلم بما كانوا يكتمون».

قال ابن إسحاق: وكان رجال من المسلمين يواصلون رجالاً من اليهود، لما كان بينهم من الجوار والحلف في الجاهلية، فأنزل الله تعالى فيهم ينهاهم عن مباطنتهم: «يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالاً ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون (١١٨) ها أنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتاب كله وإذا لقوكم قالوا آمنا وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ قل موتوا بغيظكم إن الله عليم بذات الصدور» اللؤلؤ المكنون (٢/٢٤٧).

الثانية: وجوب العدل فيهم وعدم استحلال ظلمهم وإن كنا لا نحبهم،

فمما ينبغي: أن يعلم أن المودة أمر قلبي عقدي والامتناع من مودة أعداء الله ورسوله من صميم العقيدة، وأما المعاملة فإن هذه

Upload by : altawhedmag.com

الشريعة العظيمة التي نهت عن مودتهم أمرت بالعدل فيهم ونهت عن ظلمهم وهذا من الكمال الذي لا تجده في غير دين الإسلام...

قال الشنقيطي رحمه الله: ومنصوص على عدم موالاتهم في قوله تعالى: **يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين** (المائدة: ٥١)، ومع ذلك لما أخرجهم-صلى الله عليه وسلم- من المدينة وحاصرهم بعدها في خيبر، وفتحها الله عليه وأصبحوا في قبضة يده فلم يكونوا بعد ذلك في موقف المقاتلين، ولا مظاهرين على إخراج المسلمين من ديارهم عاملهم الرسول-صلى الله عليه وسلم- بالقسط؛ فعاملهم على أرض خيبر، ونخيلها، وأبقاهم فيها على جزء من الثمرة كأجراء يعملون لحسابه، وحساب المسلمين، فلم يتخذهم عبيدا يسخرهم فيها، وبقيت معاملتهم بالقسط أضواء البيان (٩٦/٨).

ومن ذلك ما في مرسل الشعبي وله شواهد صحيحة في أصل القصة: أنه قال: دفع رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر إلى أهلها بالنصف، فبعث عبد الله بن رواحة ليخرص النخل-أو قال الثمر- عليهم، فقال لهم ابن رواحة: جئتكم من عند رجل هو أحب إلي من نفسي، ولأنتم أبغض إلي من القردة والخنازير. فقالوا: كيف تعدل علينا، وأنت هكذا؟ فقال: ليس يمنعني ذلك من العدل عليكم. قالوا: بهذا قامت السماوات والأرض. قال: فخرص عليهم، ثم جعله نصفين، فخيرهم أن يأخذوا أيهما شاءوا. قال: فما زاد أحدهما على الآخر شيئا. الأموال للقاسم بن سلام (١٤٣٧).

وفي الكبير للطبراني (٤٢٢) عن عبد الله ابن عبيد بن عمير... وفيه: أنه قال: والله ما أعلم من خلق الله أحدا أعظم فرية على الله وأعدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم منكم، والله ما خلق الله أحدا أبغض إلي منكم، والله ما يحملني ذلك أن أحيف عليكم قدر مثقال ذرة وأنا أعلمها... فنظر بعضهم إلى بعض، ثم قالوا: بهذا قامت السماوات والأرض وبهذا يغلبونكم. وعند الطبراني في الكبير (٤٢٤) عن ابن شهاب وبرقم (٤٢٣) عن عروة.

وفيه: أنهم حاولوا رشوته كعادتهم فيما بينهم "... فلما قدم عليهم جعلوا يهدون له من الطعام، ويكلمونه، وجمعوا له حليا من حلي نسائهم، فقالوا: هذا لك وتخفف عنا وتجاوز، فقال ابن رواحة: يا معشر يهود إنكم والله لأبغض الناس إلي، إنما بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم عدلا بينكم وبينه، فلا أرب لي في دنياكم، ولن أحيف عليكم، وإنما عرضتم علي السحت، وإنا لا نأكله... فقالوا: يا ابن رواحة هذا الذي تعملون به، به تقوم السماوات والأرض، وإنما يقومان بالحق".

وقد أقر اليهود بعدله ونصفته، وأنه لم يحف عليهم كما ادعوا، ولكنهم قوم بهت. وانظر: الإيمان الأوسط لابن تيمية (٦٢٠)، ووسطية أهل السنة بين الفرق (١٧٢).

وليس الأمر مقتصرا على الصحابة بل فيما بعدهم -أيضا- من العدل ما هو واضح. (وسطية أهل السنة بين الفرق: ١٧٣).

فانظروا-يا عباد الله- إلى هذا القسط والعدل في أمر القلب الذي لا ينبغي أن يستقر فيه مودة أعداء الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وأمر الجوارح التي تعدل في أمر من هم أبغض الخلق إلى القلب طاعة لرب السماوات والأرض في كل حال؛ فالقلب يبغض طاعة لله، والجوارح تعدل طاعة لله؛ فالحمد لله على نعمة الإسلام وكفى بها نعمة.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

Upload by : altawhedmag.com

تذكير الأنام بتاريخ مشروعية الصيام

د. سيد عبد العال
إمام وخطيب بوزارة الأوقاف

الحمد لله الذي أعظم على عباده المنة بما دفع عنهم كيد الشيطان وفتنه، ورد كيده، وخيب ظنه إذ جعل الصوم حصنًا لأوليائه، وجنة، وفتح لهم به أبواب الجنة، وعرفهم: أن وسيلة الشيطان إلى قلوبهم الشهوات المستكنة، وإن بقمعها تصبح النفس مطمئنة، والصلاة والسلام على النبي محمد قائد الأمة، ومبين السنة، وعلى آله، وأصحابه ذوي الأبصار الثاقبة، والعقول الراجحة، وسلم تسليمًا كثيرا.

أما بعد؛ فإن الصوم متميز بخاصية النسبة إلى الله -تعالى- من بين سائر الأركان إذ قال الله -تعالى- فيما رواه عنه نبيه صلى الله عليه وسلم "كل حسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلا الصيام فإنه لي، وأنا أجزي به"، وقد قال الله تعالى ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (الزمر:١٠) وإن صوم نصف الصبر فقد جاوز ثوابه قانون التقدير والحساب، وناهيك في معرفة فضله قوله صلى الله عليه وسلم: "والذي نفسي بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك يقول الله عز وجل إنما يذر شهوته وطعامه وشرابه لأجلي فالصوم لي وأنا أجزي به"؛ فيفرغ للصائم جزاؤه إفراغا ويجازف جزافا فلا يدخل تحت وهم وتقدير.. إحياء علوم الدين (١/٢٣١).

إذا علم هذا؛ فإن مما استقر في قلوب البشر معرفة تواريخ الأحداث الجليلة، واهتماهم، بها فكيف، إذا كان الحدث بهذه المثابة والمنزلة؟!

فمتى شرع الصيام، وما هي مراتب تشريعه، ولماذا لم يكن في أول الإسلام؟ هذه هي الأسئلة التي نجيب عنها في مقالنا هذا بإذن الله تعالى.

أولا: مجمل الحديث:

في شهر شعبان من السنة الثانية من هجرة النبي صلى الله عليه وسلم كان تشريع الصيام؛ قال السفاريني: وفرض في السنة الثانية من الهجرة إجماعًا، فصام رسول الله-صلى الله عليه وسلم- تسع رمضانات إجماعًا. كشف اللثام (٣/٤٧٩).

ثانيا: ذكر بعض فوائده:

حيث إن هذا الحدث الجليل فيه فوائد نذكر منها ما يلي:

الأولى: هل أمر المسلمون بصوم قبل رمضان؟

والجواب: أن صوم عاشوراء كان مشروعًا قبل فرض رمضان ويرى الأحناف أنه كان فرضا قبل صوم رمضان والجمهور على خلاف هذا. وقد دل على ذلك حديث سلمة بن الأكوع رضي الله عنه، قال: أمر النبيُّ صلى الله عليه وسلم رجلًا من أسلم: "أن أذن في الناس: أن من كان أكل فليصم بقية يومه، ومن لم يكن أكل فليصم، فإن اليوم يوم عاشوراء" صحيح البخاري (٢٠٠٧).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة، فوجد

Upload by : altawhedmag.com

اليهود يصومون يوم عاشوراء: فسئلوا عن ذلك؟ فقالوا: هذا اليوم الذي أظهر الله فيه موسى، وبني إسرائيل على فرعون، فنحن نصومه تعظيمًا له، فقال النبيُّ صلى الله عليه وسلم: "نحن أولى بموسى منكم فأمر بصومه" صحيح مسلم (١١٣٠).

ثم تركت الفرضية إلى التخيير بعد ذلك: فعن الأشعث بن قيس "إنما هو يوم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصومه قبل أن ينزل شهر رمضان، فلما نزل شهر رمضان ترك" صحيح مسلم (١١٢٧).

وقوله تـرك: معناه: تـرك الفرضية، وبقيت المشروعية والفضيلة: لحديث عائشة رضي الله عنها قالت: "كان يوم عاشوراء يومًا تصومه قريش في الجاهلية، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصومه في الجاهلية، فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة صامه وأمر بصيامه.. فلما فرض رمضان كان هو الفريضة، وترك عاشوراء، فمن شاء صامه، ومن شاء تركه" سنن أبي داود (٢٤٤٢)، وصحيح مسلم (١١٢٥)، واللفظ لأبي داود.

وعن جابر بن سمرة رضي الله عنه، قال: "فلما فرض رمضان، لم يأمرنا، ولم ينهنا ولم يتعاهدنا عنده" صحيح مسلم (١١٢٨).

وقد اتفق العلماء على أن صوم عاشوراء سنة، وليس بواجب، واختلفوا في حكمة أول الهجرة، فقال أبو حنيفة: كان واجبًا، بدليل أمره صلى الله عليه وسلم أصحابه بصيامه، والأمر المجرد عن القرائن يدل على الوجوب، فلما فرض رمضان نسخ وجوب صوم عاشوراء وبقي الاستحباب، واستدل بحديث عائشة السابق وما في معناه، ومدة فريضة صيام عاشوراء على هذا سنة واحدة؛ لأن فرض صوم رمضان كان في السنة الثانية من الهجرة.

والمشهور عند الشافعية: أنه كان قبل فرض رمضان مستحبًا استحبابًا آكد، فلما فرض رمضان ترك تأكد استحبابه، وبقي مطلق الاستحباب، ورجح ابن حجر: أن المتروك وجوبه، وقال: إن تأكد استحبابه باق، ولا سيما مع استمرار الاهتمام به حتى في عام الوفاة، ولترغيبه صلى الله عليه وسلم في صومه، وأنه يكفر سنة، ثم قال: وأي تأكيد أبلغ من هذا؟ (فتح الباري (٤/٢٤٦))، والمنهل الحديث (٢/٢٤١).

الثانية: مراحل فرض صيام رمضان:

وقد مر فرض صيام شهر رمضان على ثلاث مراحل:

المرحلة الأولى: التخيير بين صيامه وبين إطعام مسكين عن كل يوم.

عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال: لما نزلت: «وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين» قال: كان من أراد منا أن يفطر ويفتدي، حتى نزل قوله «فمن شهد منكم الشهر فليصمه» (البقرة: ١٨٥) فنسختها. صحيح البخاري (٤٥٠٧)، ومسلم (١١٤٥).

وقال البخاري: قال ابن عمر، وسلمة بن الأكوع: نسختها «شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون» (البقرة: ١٨٥). صحيح البخاري (٣/٣٤).

وعن عطاء سمع ابن عباس يقرأ «وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين»؛ قال ابن عباس ليست بمنسوخة هو الشيخ الكبير والمرأة الكبيرة لا يستطيعان أن يصوما فيطعمان مكان كل يوم مسكينًا. صحيح البخاري (٤٥٠٥).

قال ابن حجر: هذا مذهب بن عباس، وخالفه الأكثر، وفي هذا الحديث الذي بعده ما يدل على أنها منسوخة، وعلى قول الجمهور يكون في الكلام حذف تقديره وعلى الذين يطيقون الصيام إذا أفطروا فدية، وكان هذا في أول الأمر عند الأكثر ثم نسخ وصارت الفدية للعاجز إذا أفطر، وأما على قراءة ابن عباس؛ فلا نسخ؛ لأنه يجعل الفدية على من تكلف الصوم، وهو لا يقدر عليه فيفطر ويكفر وهذا الحكم باق. فتح الباري (٨/١٨٠).

المرحلة الثانية: تحتم صيامه، لكن إذا أفطر أحدهم إنما يحل له الأكل والشرب والجماع إلى صلاة العشاء، أو ينام قبل ذلك، فمتى نام أو صلى العشاء حرم عليه الطعام والشراب والجماع إلى الليلة القابلة، فوجدوا من ذلك مشقة كبيرة. زاد

Upload by : altawhedmag.com

المعاد (٢/ ٣٠)، وتفسير ابن كثير (١/ ٥١٠).

عن البراء بن عازب -رضي الله عنه- قال: كان أصحاب محمد -صلى الله عليه وسلم- إذا كان الرجل صائمًا فحضر الإفطار، فنام قبل أن يفطر لم يأكل ليلته ولا يومه حتى يمسي، وإن أبا قيس صرمة بن أبي أنس الأنصاري كان صائمًا، فلما حضر الإفطار أتى امرأته، فقال لها: أعندك طعام؟ قالت: لا، ولكن أنطلق فأطلب لك، وكان يومه يعمل، فغلبته عيناه -أي نام- فجاءته امرأته، فلما رأته قالت: خيبة -أي: حرمان وخسران- لك، فأصبح صائمًا، فلما انتصف النهار غشي عليه، فذكر ذلك للنبي -صلى الله عليه وسلم- فنزلت هذه الآية: «أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم هن لباس لكم» ففرحوا بها فرحًا شديدًا، ونزلت: «وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر» البقرة آية (١٨٧). صحيح البخاري (١٩١٥)

المرحلة الثالثة: وهي التي استقر عليها الشرع إلى يوم القيامة، فأنزل الله تعالى: «أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم هن لباس لكم وأنتم لباس لهن علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم فالآن باشروهن وابتغوا ما كتب الله لكم وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر» سورة البقرة آية (١٨٧).

وانظر: اللؤلؤ المكنون (٢/ ٣٢٦)، وتفسير آيات الأحكام (٢)

الثالثة: لا يجوز لمسلم أن يتعبد بالمرحلة الأولى ولا أن يلزم نفسه بالثانية؛ لأنه التشريع استقر على الوضع الأخير وعلى ما فيه من اليسر ورفع الحرج، وتأكد وجوبه بالسنة القولية والعملية المتواترة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام، وأجمع على هذا المسلمون، فلا يحل لمسلم أن يفرط في هذا الأصل من أصول الإسلام الذي هو من أسس التقوى، وهي جماع الخير كله.

الرابعة: ذكر الحكمة من تأخير مشروعية الصيام

قال ابن القيم: لما كان المقصود من الصيام حبس النفس عن الشهوات، وفطامها عن المألوفات، وتعديل قوتها الشهوانية، لتستعد لطلب ما فيه غاية سعادتها ونعيمها، وقبول ما تزكو به مما فيه حياتها الأبدية، فهو لجام المتقين، وجنة المحاربين، ورياضة الأبرار والمقربين، وهو لرب العالمين من بين سائر الأعمال، وهو سر بين العبد وربه لا يطلع عليه سواه، والعباد قد يطلعون منه على ترك المفطرات الظاهرة، وأما كونه ترك طعامه وشرابه وشهوته من أجل معبوده، فهو أمر لا يطلع عليه بشر، وذلك حقيقة الصوم.

وللصوم تأثير عجيب في حفظ الجوارح الظاهرة والقوى الباطنة، وحميتها عن التخليط الجالب لها المواد الفاسدة التي إذا استولت عليها أفسدتها، واستفراغ المواد الرديئة المانعة لها من صحتها؛ فالصوم يحفظ على القلب، والجوارح صحتها، ويعيد إليها ما استلبته منها أيدي الشهوات، فهو من أكبر العون على التقوى، كما قال تعالى: «يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون» (البقرة: ١٨٣).

وقال النبي صلى الله عليه وسلم "الصوم جنة". وأمر من اشتدت عليه شهوة النكاح ولا قدرة له عليه بالصيام، وجعله وجاء هذه الشهوة.

والمقصود أن مصالح الصوم لما كانت مشهودة بالعقول السليمة والفطر المستقيمة، شرعه الله لعباده رحمة بهم، وإحسانا إليهم وحمية لهم وجنة.

وكان هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه أكمل الهدي، وأعظم تحصيل للمقصود، وأسهله على النفوس.

ولما كان فطم النفوس عن مألوفاتها وشهواتها من أشق الأمور وأصعبها، تأخر فرضه إلى وسط الإسلام بعد الهجرة، لما توطنت النفوس على التوحيد والصلاة، وألفت أوامر القرآن، فنقلت إليه بالتدريج. وكان فرضه في السنة الثانية من الهجرة... زاد المعاد (٢/ ٢٧).

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

والحمد لله رب العالمين.

Upload by : altawhedmag.com

أَوَّلُ عيدِ فطرٍ يَمُرُّ عَلَى المُسلِمين

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.. أما بعد:

فمن أحداث السنة الثانية من الهجرة صلاة أول عيد فطر للمسلمين، ولا يفوتنا، ونحن في شهر العيد أن نقف وقفة؛ مع هذا الحدث العظيم؛ لنشهد العيد، وهدي النبي صلى الله عليه وسلم فيه؛ فنفرح ونسعد بفضل ورحمته، ونتبع النبي صلى الله عليه وسلم في شرعته.

إعداد
د. سيد عبد العال
إمام وخطيب بوزارة الأوقاف

أولا: استهلال ومناسبة بديعة "فرحة العيد وفرحة النصر"

قال المُباركفُوري: ومِنْ أحسَنِ المَواقِعِ أنَّ أوَّلَ عيدٍ تعيَّدَ به المُسلِمونَ في حياتِهِمْ هُوَ العيدُ الذي وقَعَ في شوَّالٍ مِنَ السَّنةِ الثَّانيةِ للهِجْرةِ، إثْرَ الفَتْحِ المُبينِ الذي حصَلوا عليْه في غَزْوةِ بدْرٍ، فَما أرْوَعَ هذا العيدَ السَّعيدَ الذي جاءَ به اللهُ بعْدَ أنْ توَّجَ هامَتَهُمْ بتاجِ الفَتْحِ والعزِّ، وما أرْوَقَ مَنْظَرَ تلْكَ الصَّلاةِ التي صلَّوْها بعْدَ أنْ خرَجُوا مِنْ بُيُوتِهِمْ يرْفَعُونَ أصْواتَهُمْ بالتَّكْبيرِ، والتَّهْليلِ والتَّحْميدِ، وقَدْ فاضَتْ قُلُوبُهُمْ رَغْبَةً إلى اللهِ تعالَى، وحَنينًا إلى رَحْمَتِه ورِضْوانِه بعْدَما أوْلاهُمْ مِنَ النِّعَمِ، وأيَّدَهُ به مِنَ النَّصْرِ، وقَدْ ذكَّرَهُمْ سُبْحانَه وتعالَى بذلكَ فقالَ: «وَاذْكُرُوٓا۟ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ». الأنفال آية (٢٦)، (الرحيق المختوم (٢١١)).

فاللهم مُنَّ على إخواننا المجاهدين في سبيلك في غزة، بالنصر، والتمكين، واجعل فرحتنا جميعًا في هذا العيد فرحة بالنصر والعز للإسلام والمسلمين، وبتحرير المسجد الأقصى من أيدي اليهود يا حي يا قيوم يا ذا الجلال والإكرام.

وعَنْ أنَسٍ -رضي الله عنه- قال: قَدِمَ رَسُول

Upload by : altawhedmag.com

الله-صلى الله عليه وسلم- المدينة، ولهم يومان يلعبون فيهما في الجاهلية، فقال- صلى الله عليه وسلم-: "إن الله قد أبدلكم بهما خيرًا منهما: يوم الفطر، ويوم النحر". صحيح أخرجه أحمد (١٢٠٠٦).

وقال ابن الأعرابي: "سمي العيد عيدًا: لأنه يعود كل سنة بفرح مجدد". لسان العرب (٣١٧/١٣ - ٣١٩).

والعيد: هو يوم إعادة الاحتفال بذكرى سارة، والمسلمون لهم ثلاثة أعياد لا رابع لها: عيد الفطر، وعيد الأضحى، ويوم الجمعة. فتاوى اللجنة الدائمة (٣١٧/٨).

ثانيا: الأصل في صلاة العيدين:

الكتاب، والسنة، والإجماع:

أما الكتاب: فقوله تعالى: ﴿فصل لربك وانحر﴾. قال ابن قدامة: المشهور في التفسير أن المراد بذلك صلاة العيد.

وأما السنة، فثبت بالتواتر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يُصلي صلاة العيدين ومنه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "شهدت العيد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم". صحيح البخاري (٩٦٢).

وأما الإجماع، فأجمع المسلمون على صلاة العيدين. المغني (٢٧٢/٢).

ثالثا: آداب صلاة العيد على النحو الآتي:

١- الغسل يوم العيد، وهذا ثبت من فعل الصحابة- رضي الله عنهم-. فعن نافع أن عبد الله بن عمر كان يغتسل يوم الفطر قبل أن يغدو إلى المصلى.

قال العلامة الألباني: "وأحسن ما يستدل به على استحباب الاغتسال للعيدين، ما روى البيهقي من طريق الشافعي عن زاذان، قال: سأل رجل عليًا عن الغسل؟ قال: "اغتسل كل يوم إن شئت" فقال: لا. الغسل الذي هو الغسل؟ قال: "يوم الجمعة، ويوم عرفة، ويوم النحر، ويوم الفطر". صحيح عن علي إرواء الغليل (١٧٧/١).

٢- يستحب أن يتنظف، ويتطيب، ويتسوك، كما في الجمعة: لحديث ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن هذا يوم عيد، جعله الله للمسلمين، فمن جاء إلى الجمعة فليغتسل، وإن كان طيب فليمس منه، وعليكم بالسواك" سنن ابن ماجه (١٠٩٨)، وحسنه الألباني.

٣- يلبس أحسن ما يجد: قال الإمام ابن القيم: "وكان يلبس للخروج إليهما أجمل ثيابه، فكان له حلة يلبسها للعيدين والجمعة، ومرة كان يلبس بُردين أخضرين، ومرة بُردا أحمر، وليس هو أحمر مُصمتا كما يظنه بعض الناس" زاد المعاد، (٤٤١/١).

٤- يستحب أن يأكل قبل خروجه إلى المصلى في عيد الفطر تمرات: فعن أنس- رضي الله عنه- قال: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يغدو يوم الفطر حتى يأكل تمرات، ويأكلهن وترًا" البخاري (٩٥٣).

قال ابن بطال: الأكل عند الغدو إلى المصلى سنة مستحبة عند العلماء تأسيًا بالنبي صلى الله عليه وسلم، وهو قول عامة العلماء. شرح صحيح البخاري (٥٥١/٢).

٥- يخرج إلى العيد ماشيا - إلا لحاجة- وعليه السكينة والوقار:

لحديث سعد أن النبي صلى الله عليه وسلم "كان يخرج إلى العيد ماشيا ويرجع ماشيا" سنن ابن ماجه، (١٢٩٤)، وحسنه الألباني.

٦- السنة أن تُصلى صلاة العيدين في المصلى، إلا لحاجة: لحديث أبي سعيد الخدري- رضي الله عنه- قال: "كان النبي صلى الله عليه وسلم يخرج يوم الفطر والأضحى إلى المصلى" البخاري (٩٥٦).

قال النووي: هذا دليل لمن قال باستحباب الخروج لصلاة العيد إلى المصلى، وأنه أفضل من فعلها في المسجد وعلى هذا عمل الناس في معظم الأمصار وأما أهل مكة فلا يصلونها إلا في المسجد من الزمن الأول. شرح النووي على مسلم (١٧٧/٦).

وإن حصل عذر يمنع الخروج إلى المصلى صلى في المسجد. المغني (٢٦١/٣).

٧- السنة أن يذهب إلى المصلى من طريق

Upload by : altawhedmag.com

ويرجع من طريق آخر: لحديث جابر- رضي الله عنه- قال: "كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا كان يوم عيد خالف الطريق" صحيح البخاري (٩٨٦).

وأعظم الحكم التي يعتمدها المسلم في هذا وغيره: متابعة النبي صلى الله عليه وسلم، وهذه الحكمة أعلى حكمة يقنع بها المؤمن: أن يقال: هذا أمر الله ورسوله، ودليل ذلك قول الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾.

٨- يستحب للمأموم التبكير إلى مصلى العيد بعد صلاة الصبح، أما الإمام: فيستحب له أن يتأخر إلى وقت الصلاة؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يفعل ذلك، فعن أبي سعيد الخدري- رضي الله عنه- قال: "كان النبي صلى الله عليه وسلم يخرج يوم الفطر والأضحى إلى المصلى، فأول شيء يبدأ به الصلاة..." صحيح البخاري (٩٥٦).

٩- يُكبّر في طريقه إلى مُصلّى العيد ويرفع صوته بالتكبير؛ لقول الله تعالى: ﴿وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾، وقد جاء أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يخرج يوم الفطر؛ فيكبّر حتى يأتي المصلى، وحتى يقضي صلاته فإذا قضى الصلاة قطع التكبير. صححه الألباني لشواهده في الصحيحة (١٧٠).

١٠- لا نافلة لصلاة العيد قبلية ولا بعدية: قال الإمام ابن القيم رحمه الله: "ولم يكن هو صلى الله عليه وسلم ولا أصحابه يصلون إذا انتهوا إلى المصلى شيئا قبل الصلاة ولا بعدها". زاد المعاد (٤٤٣/١)، وانظر: صحيح البخاري (٩٨٩).

١١- لا أذان ولا إقامة لصلاة العيدين: لحديث جابر بن سمرة-رضي الله عنه- قال: ((صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم العيدين غير مرة ولا مرتين بغير أذان ولا إقامة" مسلم (٨٨٧). وجزم الصنعاني: بأنهما في العيدين بدعة. سبل السلام (٢٢٩/٣).

١٢- لا بأس باللعب بالدف للجواري، واللعب المباح في يوم العيد: قال المباركفوري رحمه الله: "الإذن في ذلك للنساء فلا يلحق بهن الرجال؛ لعموم النهي عن التشبه بهن، وكذلك الغناء المباح في العرس مختص بالنساء؛ فلا يجوز للرجال". تحفة الأحوذي (٢١٠/٤).

١٣- خروج النساء إلى مصلى العيد متحجبات غير متطيّبات: لحديث أم عطية رضي الله عنها السابق؛ وقال ابن باز: "وخروج النساء في صلاة العيد سنة وليس بواجب" صلاة العيدين (٤٥).

١٤- خروج الصبيان إلى المصلى: ليشهدوا دعوة المسلمين، قال الإمام البخاري رحمه الله تعالى: "باب خروج الصبيان إلى المصلى" عن ابن عباس قال: "خرجت مع النبي صلى الله عليه وسلم يوم فطر، أو أضحى؛ فصلى العيد، ثم خطب، ثم أتى النساء؛ فوعظهن، وذكرهن، وأمرهن بالصدقة" البخاري (٩٧٥).

١٥- التهنئة بالعيد: عن جبير بن نُفير قال: "كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا التقوا يوم العيد يقول بعضهم لبعض: تقبل الله منّا ومنك" قال ابن حجر: إسناد حسن. فتح الباري (٤٤٦/٢).

١٦- يقضي صلاة العيد من فاتته مع الإمام، قال الإمام البخاري رحمه الله: بابٌ إذا فاتته العيد يصلي ركعتين. وكذلك النساء ومن كان في البيوت، والقرى، لقول النبي صلى الله عليه وسلم: "هذا عيدنا أهل الإسلام" صلاة العيدين (٥٠).

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين والحمد لله رب العالمين.

Upload by : altawhedmag.com

تزويج أم كلثوم من عثمان، رضي الله عنهما

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. أما بعد: فنحن في هذا العدد على موعد مع أيام السعادة والسرور في حياة نبينا صلى الله عليه وسلم ألا، وهو زواج عُثْمَانَ -رضي الله عنه- مِنْ أُمِّ كُلْثُومٍ بِنْتِ الرَّسُولِ -صلى الله عليه وسلم- ورضي الله عنها.

إعداد
د. سيد عبد العال
إمام وخطيب بوزارة الأوقاف

ملخص الحدث:

في رَبِيعٍ الأَوَّلِ مِنَ السَّنَةِ الثَّالِثَةِ لِلْهِجْرَةِ تَزَوَّجَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ رضي الله عنه أُمَّ كُلْثُومٍ بِنْتَ الرَّسُولِ صلى الله عليه وسلم؛ قال الذهبي: "البَضْعَةُ الرَّابِعَةُ النَّبَوِيَّةُ يُقَالُ: تَزَوَّجَهَا عُتَيْبَةُ بْنُ أَبِي لَهَبٍ، ثُمَّ فَارَقَهَا، فَلَمَّا تُوُفِّيَتْ أُخْتُهَا رُقَيَّةُ، تَزَوَّجَ بِهَا عُثْمَانُ -وَهِيَ بِكْرٌ!- فِي رَبِيعٍ الأَوَّلِ، سَنَةَ ثَلاَثٍ، وَلَمْ تَلِدْ لَهُ، وَبِذَلِكَ سُمِّيَ عُثْمَانُ رضي الله عنه ذَا النُّورَيْنِ". سير أعلام النبلاء (٢/٢٥٢)، والإصابة (٨/٤٦٠).

وفي هذا الخبر فوائد:

الأولى: ذكر بنات النبي صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنهن

كان له صلى الله عليه وسلم أربع بنات:

الأولى: زينب، وهي أكبرهن سنا تَزَوَّجَهَا ابْنُ خَالَتِهَا أَبُو الْعَاصِي بْنُ الرَّبِيعِ.

الثانية: رُقَيَّةُ تَزَوَّجَهَا عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ...

الثالثة: أُمُّ كُلْثُومٍ- أُمُّهَا خَدِيجَةُ-.

الرابعة: فَاطِمَةُ الزَّهْرَاءُ وَهِيَ أَصْغَرُ بَنَاتِهِ، وَتَزَوَّجَهَا عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ مِنَ الْهِجْرَةِ فِي رَمَضَانَ. الشريعة للآجري (٥/٢١٩٢)، والإصابة في الذب عن الصحابة (٣٨٦)، وتفسير القرطبي (١٤/٢٤١).

وأما الذكور؛ فهم القاسم، والطيب، والطاهر وماتوا صغارا رضعا قبل المبعث، وإبراهيم وقد مات بعد البعثة، ، وأولاده كلهم من خديجة سوى إبراهيم. رضي الله عنهم أجمعين. سير أعلام النبلاء (١/٦٣).

الثانية: لم نقف لأم كلثوم على اسم غير هذه الكنية سوى رواية ذكرها الحاكم عن مُصْعَب ابْن عَبْد اللَّه الزُّبَيْرِيّ، قَالَ: "وَاسْمُ أُمّ كُلْثُوم بِنْت رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمِيَّة..." إلخ". المستدرك على الصحيحين (٧٠٤٩).

الثالثة: في هذا الزواج منقبة وفضيلة لعثمان رضي الله عنه:

وقد حمل بغض عثمان قومًا من الروافض أن يقولوا: إن رقية، وأم كلثوم لم يكونا لخديجة من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإنما كانتا من زوجها الأول؛ فقبَّح الله قومًا حملهم بغض نقلة الوحي وحملة الشريعة على نفي نسب بنات رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم يزعمون حب آل البيت؛ فلا ظهر منهم حبُّ آل البيت ولا استتر منهم بغض صحابة وأعجب منهم من يدعي: أنهم

Upload by : altawhedmag.com

المذهب الخامس، وأنهم أحد جناحي الأمة!

قال إبراهيم الحيدري: ومنها-الخلاف بينهم وبين الله تعالى- أن الله تعالى قد أثبت للنبي صلى الله عليه وسلم بنات بقوله: «يا أيها النبيُ قل لأزواجك وبناتك...»؛ وخالفت الشيعة في ذلك، حيث قالوا لعنهم الله تعالى: ليست للنبي صلى الله عليه وسلم من بنات إلا فاطمة رضي الله عنها، وأما زينب ورقية، وأم كلثوم-رضي الله تعالى عنهن- فلسن بنات النبي صلى الله عليه وسلم عندهم، بل بنات خديجة رضي الله عنها من زوجها الأول؛ حملتهم شدة بغض عثمان رضي الله عنه على إنكار كونهن بنتي النبي صلى الله عليه وسلم وإنكار القرآن... النكت الشنيعة (ص٥٦).

الرابعة: لا يخفى ما في القصة من وقوع المصاهرة بين الصحابة، ومنهم بنو أمية وبين آل البيت بوحي من الله تعالى.

وأشرف منهم وأكرم، سيد ولد آدم، إمام أهل البيت وسيدهم، تزوج من ابنتي أبي بكر وعمر «عائشة وحفصة»، رضي الله عنهم أجمعين.

وهذا عمر بن الخطاب تزوج من أم كلثوم بنت علي وفاطمة رضي الله عن الجميع. وعلي تزوج من أسماء بنت عميس زوجة أبي بكر الصديق بعد وفاته رضي الله عنهم. وهكذا ترى مصاهرات مشهورة معلومة. (الإصابة في الذب عن الصحابة: ص٣٨٥).

الخامسة: موقف عظيم يحتاج إلى وقفة تأمل:

عن عبد الله بن عمر، رضي الله عنهما، أن عمر بن الخطاب، حين تأيمت حفصة بنت عمر من خنيس بن حذافة السهمي، وكان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد شهد بدرًا، توفي بالمدينة، قال عمر: فلقيت عثمان بن عفان، فعرضت عليه حفصة، فقلت: إن شئت أنكحتك حفصة بنت عمر، قال: سأنظر في أمري، فلبثت ليالي، فقال: قد بدا لي أن لا أتزوج يومي هذا، قال عمر: فلقيت أبا بكر، فقلت: إن شئت أنكحتك حفصة بنت عمر، فصمت أبو بكر فلم يرجع إلي شيئًا، فكنت عليه أوجد مني على عثمان، فلبثت ليالي ثم "خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنكحتها إياه" فلقيني أبو بكر فقال: لعلك وجدت علي حين عرضت علي حفصة فلم أرجع إليك؟ قلت: نعم. قال: فإنه لم يمنعني أن أرجع إليك فيما عرضت، إلا أني قد علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ذكرها، فلم أكن لأفشي سر رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولو تركها لقبلتها. (البخاري: ٤٠٠٥).

وراه أبو يعلى في مسنده وزاد فيه: قال عمر: فشكوت عثمان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "تزوج حفصة خيرٌ من عثمان، وتزوج عثمان خيرًا من حفصة" فزوجه النبي صلى الله عليه وسلم ابنته. وفي سنده الوليد بن محمد الموقري وهو ضعيف. (مجمع الزوائد ٧٤٥٩).

ويشهد له مرسل عن سعيد بن المسيب قال: "أمت حفصة من زوجها، وأم عثمان من رقية، فمر عمر بعثمان: فقال: هل لك في حفصة: فقد انقضت عدتها: فلم يجب إليه شيئًا: فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له، قال: "فأنا أتزوج حفصة، وأزوج عثمان أختها أم كلثوم" قال: فقال عمر: فنعم فتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم حفصة، وتزوج عثمان أم كلثوم" أخرجه إسحاق بن راهويه (٢٠٣/٤)، والحاكم في المستدرك (٦٩٢٠) من طريق حماد بن سلمة عن علي بن زيد.

وأخرجه ابن سعد (٨٣/٨) من طريق حماد بن سلمة وحماد بن زيد عن علي بن زيد... وزاد حماد بن زيد في حديثه: قال سعيد: فخار الله لهما جميعا، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لحفصة خيرا من عثمان، وكانت بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم لعثمان خيرًا من حفصة بنت عمر. وفيه علي بن زيد ضعيف. تقريب التهذيب (٤٧٣٤).

وقال ابن عبد البر: وفي الحديث الصحيح، عن سعيد بن المسيب... ثم ذكره. (الاستيعاب ١٨٤٠/٤)، وروي مرسلاً أيضا عن الحسن أخرجه ابن سعد (٨٢/٨، ٨٣) ورواته ثقات.

فهذه المراسيل في جملتها وتعدد مخارجها تثبت هذه الزيادة مع ما فيها من فوائد تبدو لمن تأمل فيها، وأما فوائد الحديث فسنعود إليها في الكلام في زواج النبي صلى الله عليه وسلم من حفصة رضي الله عنها. وروي

Upload by : altawhedmag.com

نحوه مرفوعًا عن أنس رضي الله عنه في المستدرك (٧٠٥١).

السادسة: دفع تعارض بين الروايات:

عن ربعي بن حراش عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ خَطَبَ إِلَى عُمَرَ ابْنَتَهُ، فَرَدَّهُ، فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا أَنْ رَاحَ إِلَيْهِ عُمَرُ قَالَ: "يَا عُمَرُ، أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى خَتَنٍ خَيْرٍ لَكَ مِنْ عُثْمَانَ، وَأَدُلُّ عُثْمَانَ عَلَى خَيْرٍ لَهُ مِنْكَ؟" قَالَ: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: "زَوِّجْنِي ابْنَتَكَ، وَأُزَوِّجُ عُثْمَانَ ابْنَتِي" إسناده حسن لغيره. أخرجه الحاكم في المستدرك (٤٦٢٧) وقال: صحيح الإسناد. قال ابن حجر: قال الحافظ الضياء: إسنادُهُ لا بأس به. فتح الباري (١٧٧/٩).

وهذا الحديث في ظاهره مخالفة لرواية الصحيح السابقة: ففيها أن عثمان هو الذي خطب، وعمر هو الذي امتنع، وعند البخاري عمر هو الذي عرضها، وعثمان هو الذي امتنع.

فإذا سلكنا مسلك الترجيح: فما في الصحيح هو الراجح وإذا سلكنا مسلك الجمع: "فيحتمل أن يكون عُثمانُ خطب أولاً إلى عُمر فردَّهُ؛ لأيِّ سبب من الأسباب التي لا غضاضة فيها على عُثمانَ في ردِّ عُمر له ثمَّ لمَّا ارتفع السَّببُ بادر عُمرُ فعرضها على عُثمانَ رعايةً لخاطره ولعلَّ عُثمانَ بلغهُ ما بلغ أبا بكر من ذكر النَّبي صلَّى الله عليه وسلَّم لها فصنع كما صنع من تركِ إفشاء ذلك وردَّ على عُمر بجميل". اهـ. فتح الباري (١٧٧/٩).

السابعة: أن تزويجها لعثمان بوحي نزل من السماء:

وهذا المعنى ثابت بكتاب الله تعالى في عموم أقواله وأفعاله صلى الله عليه وسلم: ومنها تزويجه وزواجه حيث يقول تعالى: «وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى» (النجم: ٤).: وقد ورد في ذلك المعنى أحاديث في مجموعها تبلغ رتبة الحسن لغيره، ويشهد لأصلها ما سبق من كتاب الله تعالى، وقد أشار ابن بطة لذلك: فروى بسنده وهو ضعيف عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الله تبارك وتعالى أوحى إليَّ أن أزوج كريمتيَّ عثمان بن عفان". ثم قال: وصدق صلى الله عليه وسلم: بذلك أخبرنا الله تعالى عنه حيث يقول: «وما ينطق عن الهوى (٣) إن هو إلا وحي يوحى» (النجم: ٣، ٤). فأخبرنا الله تعالى أنه كان معصوما من الهوى، فلا يقول ولا يفعل، ولا يأمر ولا ينهى إلا بوحي الله وأمره وإذنه. (الإبانة لابن بطة: ٥٧/١)

وعنْ أبي هُرَيْرَةَ، أنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَقِيَ عُثْمَانَ عَلَى بَابِ المَسْجِدِ فَقَالَ: "يَا عُثْمَانُ، هَذَا جِبْرِيلُ يَقُولُ لِي عَنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: إِنِّي قَدْ زَوَّجْتُكَ أُمَّ كُلْثُومٍ عَلَى مِثْلِ مَا زَوَّجْتُكَ رُقَيَّةَ، وَعَلَى مِثْلِ صُحْبَتِهَا". أخرجه أحمد في فضائل الصحابة (٨٥٨) وفيه ابن أبي الزناد ضعيف.

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ أُزَوِّجَ كَرِيمَتَيَّ مِنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ" أخرجه الآجري في الشريعة (١٤٠٦)، وسنده ضعيف.

وعن أم عياش قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "ما زوجت عثمان أم كلثوم إلا بوحي من السماء" وضعفه الألباني: الضعيفة (٤٤٤٥).

قلت: فكون الزواج بوحي يثبت بوجهين:

الأول: عام وهو ما ثبت من العصمة لرسول الله صلى الله عليه وسلم من اتباع الهوى قولاً وفعلاً، وسواءٌ ما كان الوحي ابتداءً أو إقرارًا.

الثاني: خاص، وهو ثابت بجملة هذه الأحاديث إن ثبتت فهي حسنة بمجموعها صالحة للحجة تدل على أن زواج عثمان من ابنتي رسول الله صلى الله عليه وسلم كان بوحي من الله تعالى، وإن رغمت أنوف أعداء الصحابة: فالحمد لله على توفيقه.

وللحديث تكملة فيما يتصل بأم كلثوم وعثمان رضي الله عنهما، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

والحمد لله رب العالمين.

Upload by : altawhedmag.com

زواج حفصة بنت عمر من رسول الله صلى الله عليه وسلم

إعداد
د. سيد عبد العال
إمام وخطيب بوزارة الأوقاف

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد: فنحن على موعد مع حدث عظيم من أحداث السيرة النبوية، وهو حدث يحوي السعادة والفرح بفضل الله تعالى؛ وله اتصال وثيق بمعتقد أهل السنة والجماعة؛ ألا وهو زواج النبي صلى الله عليه وسلم من حفصة بنت عمر رضي الله عنهما.

أولا: مجمل الحدث:

تزوَّج رسُولُ الله صلى الله عليه وسلم حفصة بنت عُمر بن الخطاب رضي الله عنهما في شعبان من السنة الثالثة للهجرة، بعد أن انقضت عدتها من زوجها خُنيس بن حُذافة السَّهمي-رضي الله عنه- الذي كان قد تُوفي عنها بعد بدر. الطبقات الكبرى (٨/٢٨٥)، وسير أعلام النبلاء (٢/٢٢٧).

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: أن عمر بن الخطاب-رضي الله عنه- حين تأيمت حفصة بنت عمر من خُنيس بن حُذافة السَّهمي-رضي الله عنه-، وكان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ممن شهد بدرًا، وتوفي بالمدينة، قال عمر: فلقيت عثمان ابن عفان-رضي الله عنه- فعرضت عليه حفصة، فقلت: إن شئت أنكحتك حفصة بنت عمر، فقال: سأنظر في ذلك، قال: فلبثت ليالي، فلقيني، فقال: ما أريد النكاح يومي هذا. قال عمر: فلقيت أبا بكر، فقلت: إن شئت أنكحتك حفصة بنت عمر، قال: فلم يرجع إليَّ شيئًا، فكنت عليه أوجد مني على عثمان، فلبثت ليالي، فخطبها إليَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأنكحتها إياه، فلقيني أبو بكر، فقال: لعلك وجدت في نفسك حين عرضت عليَّ حفصة، فلم أرجع إليك شيئًا؟ قال: قلت: نعم. قال أبو بكر: فإنه لم يمنعني أن أرجع إليك شيئًا لما عرضت عليَّ إلا أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكرها، ولم أكن أفشي سرَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولو تركها لنكحتها. صحيح البخاري (٥١٢٢).

ثانيا: الدروس والفوائد:

١-قوله "تأيمت" أي: مات زوجها خنيس. مطالع الأنوار (١/٣٥٩).

وقال ابن الجوزي: "تأيمت" أي بقيت بلا زوج، يقال: رجل أيم، وامرأة أيم: لا زوج لهما، وسواء كانت المرأة بكرًا أو ثيبًا. كشف المشكل (١/٣٢).

٢- التعريف بحفصة رضي الله عنها

هي: السِّتُّ الرَّفيعُ بنت عمر بن الخطاب بن

Upload by: altawhedmag.com

نفيل بن عبد العزى بن رياح، وأمها زينب بنت مظعون بن حبيب بن وهب. الطبقات الكبرى (٨/٨١)، وسير أعلام النبلاء (٢/٢٢٧).

"مولدها": قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم بخمس سنين.

وكانت تحت خنيس بن حذافة بن قيس بن عدي من أصحاب الهجرتين: هاجر إلى الحبشة مع المهاجرين الأولين ثم هاجر إلى المدينة؛ وكان الوحيد من بني سهم الذي شهد إلى جانب رسول الله صلى الله عليه وسلم بدرًا، وجُرح في أحد، ثم مات في دار الهجرة متأثرًا بجراحه، وترك وراءه أرملته الشابة.

وتزوجها النبي صلى الله عليه وسلم في شعبان على رأس ثلاثين شهرًا من الهجرة في سنة ثلاث، وقيل: سنة اثنتين، فكان ذلك قرة عين لأبيها عمر-رضي الله عنه- على صدقه وإخلاصه وتفانيه في سبيل هذا الدين، وعمر هو بطل الإسلام الذي أعز الله به الإسلام والمسلمين، ورفع به منار الدين.

وأمها وأم عبد الله بن عمر زينب بنت مظعون بن حبيب بن حذافة بن جمح، ومن فضلها: أن أباها عمر، وعمها زيد، وأخوالها عثمان وحذافة وعبد الله بنى مظعون، وابن خالها السائب بن عثمان، شهدوا جميعًا بدرًا؛ فكان اتصاله صلى الله عليه وسلم به عن طريق المصاهرة خير مكافأة له على ما قدم في سبيل الإسلام (موسوعة محاسن الإسلام ورد شبهات اللئام (٩/١١٨)، وانظر: الأربعين في مناقب أمهات المؤمنين لعبد الرحمن بن محمد، وامتاع الأسماع (٦/٤٦)، والإصابة في تمييز الصحابة (٢/٢٩٠).

وقد كانت حفصة رضي الله عنها أكبر من أخيها عبد الله بن عمر رضي الله عنهما بست سنين، وتوفيت رضي الله عنها في شعبان سنة إحدى وأربعين حيث بايع الحسن بن علي رضي الله عنهما معاوية-رضي الله عنه- في عام الجماعة، وقيل توفيت سنة خمس وأربعين بالمدينة، في خلافة معاوية بن أبي سفيان- رضي الله عنه-، وصلى عليها مروان بن الحكم، وهو يومئذ والي المدينة، ودفنت بالبقيع وعمرها ستون سنة، وقيل ثلاث وستون. (الطبقات الكبرى (٨/٢٨٧)، وسير أعلام النبلاء (٢/٢٢٩).

٣- "ترتيب أزواج النبي صلى الله عليه وسلم"

قال ابن نصر الدين: أول من تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم خديجة، ثم سودة، ثم عائشة، ثم حفصة، ثم أم المساكين زينب، ثم أم حبيبة، ثم أم سلمة، ثم زينب بنت جحش، ثم جويرية، ثم صفية، ثم ميمونة رضي الله عنهن. جامع الآثار في السير ومولد المختار (٧/١٩١).

وماتت اثنتان في حياته صلى الله عليه وسلم، وتوفي عن تسع هن: سودة، وعائشة، وحفصة، وأم سلمة، وزينب بنت جحش، وأم حبيبة، وجويرية، وصفية، وميمونة، رضى الله عنهن. إمتاع الأسماع (٦/٩٢).

٤- فيه من الفقه أن الرجل يستحب له إذا تأيمت وليته أن يسعى لها في النكاح ولا يهملها.

٥- وفيه أيضًا أنه يستحب له أن يختار لها الأكفأ.

٦- وفيه أيضًا من الفقه أنه لا بأس بأن يخطب الرجل الرجل لابنته، ولا يقف حتى يبدأه الرجل بالخطبة كما فعل شعيب النبي عليه السلام؛ إذ قال لموسى عليه السلام: «إني أريد أن أنكحك إحدى ابنتي هاتين».

قال ابن حجر: وفيه عرض الإنسان بنته، وغيرها من مولياته على من يعتقد خيره وصلاحه لما فيه من النفع العائد على المعروضة عليه، وأنه لا استحياء في ذلك.

٧- وفيه أن عثمان لما قال: "قد بدا لي أن لا أتزوج يومي هذا" علمنا أنه احترز لكلامه وتحرى الصدق فيقوله: "يومي هذا"، ولو لم يقله كان امتناعًا من التزويج على الإطلاق.

٨- وقوله: "فعرضتها على أبي بكر، فلم يرجع إلي شيئا فكنت عليه أوجد مني على عثمان"، وهذا لأن عثمان أفصح له فأراحه، وأبو بكر

Upload by: altawhedmag.com

لما لم يرد عليه شيئًا بل تركه على الانتظار والترقب لما يكون منه، ولذلك بادر رضي الله عنه إلى الاعتذار إليه عن هذا الإمساك؛ لأن رد جواب كل سائل عن قوله متعين، وإنما أمسك أبو بكر لمكان سر رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويدل هذا على أنه إذا روعي المهم من الأمر كحفظ سر رسول الله صلى الله عليه وسلم اغتفر له الشيء اليسير من بعض الأمر كالتعرض لموجدة عمر، وكان ذلك سهلاً فيما بين الإخوان مع رجاء الإنابة في مستقبل الحال.

٩- وفي هذا الحديث ما يدل أيضًا على أن الصاحب ينبغي عليه أن يكتم من سر صاحبه ما لم يستكتمه إياه، فإن أبا بكر رضي الله عنه قال: "علمت أن رسول الله-صلى الله عليه وسلم- ذكرها"، ولم يقل أسر إلي ولا استكتمني.

١٠- فيه أيضًا أن أمر النكاح يُستعان على نجحه بالكتمان.

١١- فيه أنه لولا هذا العُذْر-وهو ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم لحفصة- لقبلها أبو بكر-رضي الله عنه-، فيستفاد منه عُذْر أبي بكر-رضي الله عنه- في كونه لم يقل كما قال عثمان: قد بدا لي أن لا أتزوج.

١٢- وفيه فضل كتمان السر، فإذا أظهره صاحبه ارتفع الحرج عمن سمعه.

١٣- وفيه عتاب الرجل لأخيه، وعتبه عليه واعتذاره إليه، وقد جبلت الطباع البشرية على ذلك، ويحتمل أن يكون سبب كتمان أبي بكر ذلك أنه خشي أن يبدو لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا يتزوج حفصة، فيقع في قلب عمر انكسار، ولعل اطلاع أبي بكر-رضي الله عنه- على أن النبي صلى الله عليه وسلم قصد خطبة حفصة كان بإخباره له صلى الله عليه وسلم إما على سبيل الاستشارة، وإما لأنه كان لا يكتم عنه شيئًا مما يريده.

١٤- وفيه أنه لا بأس بعرضها عليه ولو كان متزوجًا؛ لأن أبا بكر كان حينئذ متزوجًا.

(الإفصاح (٧٧/١)، وفتح الباري (٢٢٢/١٠)، واللؤلؤ المكنون (٥٦٠/٢)).

ثالثًا: طلاق الرسول صلى الله عليه وسلم حفصة رضي الله عنها ومراجعته إياها:

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد طلق حفصة ثم راجعها، كما في حديث ابن عباس، عن عمر: "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم طلق حفصة، ثم راجعها" سنن أبي داود (٢٢٨٣)، وصححه الألباني في الصحيحة (٢٠٠٧).

وأخرج ابن حبان في صحيحه بسند جيد والطحاوي في شرح مشكل الآثار بسند صحيح على شرط البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: دخل عمر على حفصة وهي تبكي، فقال: ما يبكيك؟ لعل رسول الله صلى الله عليه وسلم طلقك؟ إنه قد كان طلقك، ثم راجعك من أجلي، فأيم الله لئن كان طلقك، لا كلمتك كلمة أبدا.

قال الألباني: وجملة القول، أن تطليقه صلى الله عليه وسلم لحفصة ثابت عنه من طرق، وكونه أمر بإرجاعها ثابت من حديث أنس الصحيح، وقول جبريل له: "راجعها فإنها صوامة... " إلخ، حسن كما ذكرنا. والله أعلم. سلسلة الأحاديث الصحيحة (١٧/٥).

وفي هذا الحديث تنبيه على فضلها والثناء عليها بكثرة الصيام والقيام، والإخبار بأنها زوجته صلى الله عليه وسلم في الجنة.

وقال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى: "ومن خواصها: ما ذكره الحافظ أبو محمد المقدسي في مختصره في السيرة: أن النبي صلى الله عليه وسلم طلقها فأتاه جبريل فقال: "إن الله يأمرك أن تراجع حفصة فإنها صوامة قوامة وإنها زوجتك في الجنة" (وحسنه الألباني).

وكل ما تقدم من ذكر مناقبها رضي الله عنها يدل على رفعة مكانتها وجلالة قدرها رضي الله عنها وأرضاها. (عقيدة أهل السنة في الصحابة لناصر بن علي ٤٤١/١).

والحمد لله رب العالمين.

Upload by: altawhedmag.com

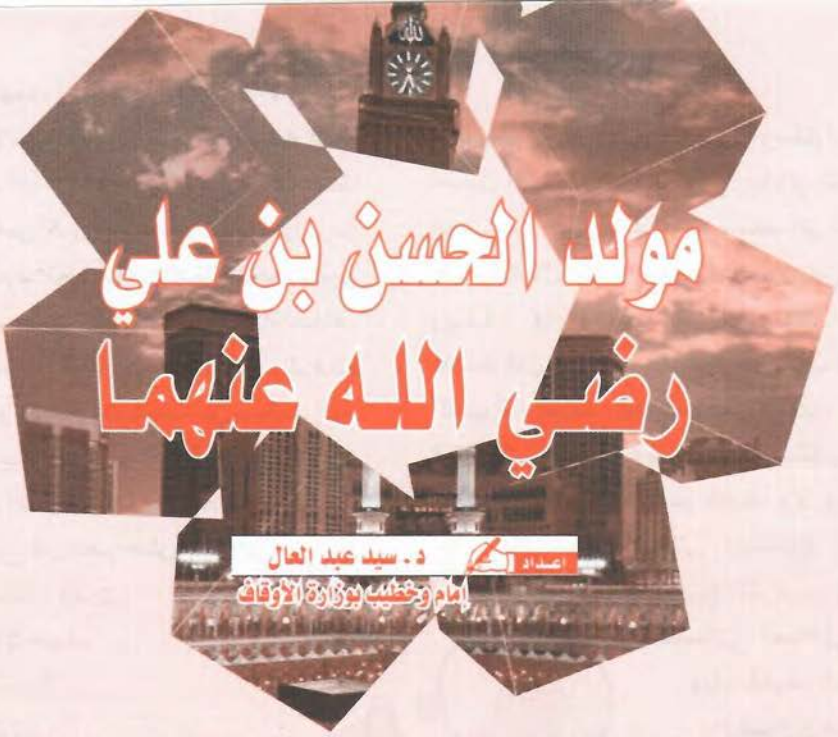

مولد الحسن بن علي رضي الله عنهما

إعداد
د. سيد عبد العال
إمام وخطيب بوزارة الأوقاف

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على آله وصحبه أجمعين أما بعد؛ فلا نزال داخل البيت النبوي، ونحن الآن على موعد مع نسمة جديدة في البيت النبوي؛ فمن يكون إذا؟ إنه "الحسن بن علي رضي الله عنهما"

نسبه ومولده رضي الله عنه:

الحَسَنُ بنُ عَليِّ بن أبي طالب بن عَبْد المُطَّلب بن هَاشم بن عَبْد مَنَاف، الإمَامُ السَّيِّدُ، رَيْحَانَةُ رَسُوْل الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ - وَسِبْطُه، وَسَيِّدُ شَبَاب أَهْل الجَنَّة، أَبُو مُحَمَّد القُرَشيُّ، الهَاشميُّ، المَدَنيُّ، الشَّهيْدُ.

وُلد في رَمَضَان سَنَة ثَلاث من الهجرة النَّبويَة على الراجح...قال ابن عبد البر: هذا أصح ما قيل في ذلك إن شاء الله. الاستيعاب (١/ ٣٨٤).

تسمية النبي صلى الله عليه وسلم له

عَنْ عَليٍّ رضي الله عنه قَالَ: لَمَّا وُلِدَ الْحَسَنُ سَمَّيْتُهُ حَرْبًا، فَجَاءَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: " أَرُونِي ابْنِي؛ مَا سَمَّيْتُمُوهُ؟ " قَالَ: قُلْتُ: حَرْبًا. قَالَ: " بَلْ هُوَ حَسَنٌ "...الحديث.

حديث حسن؛ أخرجه أحمد (٧٦٩).

وفيه من الفوائد: اختيار أحسن الأسماء للأولاد.

وَعَقَّ رَسُولُ اللهِ -صلى الله عليه وسلم- عَنِ الحَسَنِ والحُسَيْنِ كَبْشًا كَبْشًا يَوْمَ السَّابِعِ مِنْ وِلَادَتِهِمَا، وَسَمَّاهُمَا، وَأَمَرَ أَنْ يُمَاطَ عَنْ رُءُوسِهِمَا الأَذَى" حديث حسن أخرجه ابن حبان في صحيحه (٥٣١١).

نشأته في بيت النبوة:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَّ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ أَخَذَ تَمْرَةً مِنْ تَمْرِ الصَّدَقَةِ، فَأَدْخَلَهَا فِي فِيهِ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: كِخْ كِخْ؛ فَأَلْقَاهَا، فَقَالَ: أَمَا شَعَرْتَ أَنَّ الصَّدَقَةَ لَا تَحِلُّ لَنَا. البخاري (١٤٩١).

مناقبه وفضائله:

قد وردت أحاديث كثيرة في بيان مناقبه رضي الله عنه؛ وهي على قسمين:

الأول: المناقب العامة في فضائل الصحابة وآل البيت.

الثاني: المناقب الخاصة في الحسن رضي الله عنه

Upload by : altawhedmag.com

وهذا ما أذكره الآن ومن ذلك ما يلي:

الأولى: سيادته واصلاحه بين المسلمين

عن أبي بكرة قال: سمعتُ رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم على المنبر والحسنُ إلى جنبه ينظُرُ إلى الناس مرَّة، وإليه مرة ويقولُ: "إنَّ ابني هذا سيِّدٌ، ولعلَّ الله أنْ يُصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين" فقال الحسنُ البصري: فوالله؛ والله بعد أنْ ولي لم يُهرق في خلافته ملءُ محجمة من دم. البخاري(٣٧٤٦) وأحمد (٢٠٤٤٨و٢٠٤٩٩).

وقد وقع ذلك الصلح كما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم؛ فعنْ الحسن البصري قال استقبل -والله- الحسنُ بْنُ عليٍّ مُعاوية بكتائب أمثال الجبال؛ فقال عمْرُو بْنُ العاص: إني لأرى كتائب لا تُولي حتى تقتُل أقرانها! فقال له مُعاوية -وكان والله خيرَ الرَّجلين-: أي عمْرو؛ إنْ قتل هؤلاء هؤلاء، وهؤلاء هؤلاء؛ مَنْ لي بأمور الناس مَنْ لي بنسائهم مَنْ لي بضيعتهم؛ فبعث إليه رجلين من قريش من بني عبْد شمْس؛ -عبْد الرَّحمن بْن سمُرة، وعبْد الله بْن عامر بْن كُريْز- ؛ فقال: اذهبا إلى هذا الرَّجل؛ فاعرضا عليه، وقولا له؛ واطلبا إليه؛ فأتياه؛ فدخلا عليه؛ فتكلما، وقالا له؛ فطلبا إليه؛ فقال لهما الحسنُ: إنَّا بنُو عبْد المُطلب، قدْ أصبْنا من هذا المال، وإنَّ هذه الأمة قدْ عاثتْ في دمائها، قالا؛ فإنَّه يعْرض عليْك كذا وكذا، ويطْلبُ إليْك، ويسألُك قال؛ فمَنْ لي بهذا، قالا؛ نحْنُ لك به، فما سألهما شيْئًا إلَّا قالا؛ نحْنُ لك به؛ فصالحه..." صحيح البخاري (٢٧٠٤).

وفيه فوائد منها:

- علَمٌ من أعْلام النُّبوَّة.

-ومَنقبةٌ للحسن بْن عليٍّ؛ فإنَّه تركَ المُلْك لا لقلَّة، ولا لذلَّة، ولا لعلَّة؛ بلْ لرغْبته فيما عنْد الله؛ لما رآه من حقْن دماء المُسلمين؛ فراعى أمْر الدِّين ومصْلحة الأُمَّة.

وقال ابن شاهين: تفرد بهذه الفضيلة الحسن لم يشاركه فيها أحد. الكتاب اللطيف (١٥٢).

-وفيها ردٌّ على الخوارج الذين كانوا يُكفِّرون عليًا، ومَنْ معهُ، ومُعاوية، ومَنْ معهُ بشهادة النَّبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم للطَّائفتيْن بأنَّهُمْ من المُسلمين، ومنْ ثمَّ كان سُفيانُ بْنُ عُيينة يقولُ عقب هذا الحديث قوْلُه "من المُسلمين" يُعجبنا جدًا.

-وفيه فضيلة الإصلاح بيْن الناس، ولا سيَّما في حقْن دماء المُسلمين.

- وفيه ولاية المفْضول الخلافة مع وُجود الأفْضل؛ لأنَّ الحسن ومُعاوية ولي كُلٌّ منْهما الخلافة وسعْدُ بْنُ أبي وقَّاص وسعيدُ بْنُ زيْد في الحياة وهُما بدْريان.

-وفيه: جوازُ خلْع الخليفة نفسهُ إذا رأى في ذلك صلاحًا للمُسلمين.

-وفيه إطْلاقُ الابْن على ابْن البنْت.

-وفيه أنَّ السيادة لا تخْتصُّ بالأفْضل بلْ هُو الرَّئيسُ على القوْم... وقال المُهلَّبُ الحديثُ دالٌّ على أنَّ السيادة إنَّما يستحقُّها مَنْ ينْتفعُ به النَّاسُ لكوْنه علَّق السيادة بالإصْلاح. فتح الباري (١٣/ ٦٦).

- قال ابن عبد البر: مكث الحسنُ بْنُ عليٍّ نحْوًا منْ ثمانية أشْهُر لا يُسلِّمُ الأمْر إلى مُعاوية، وسلَّم الأمْر إلى مُعاوية في النِّصْف من جُمادى الأُولى منْ سنة إحْدى وأرْبعين، فبايع النَّاسُ مُعاوية حينئذٍ، ومُعاويةُ يومئذٍ ابْنُ ستٍّ وستِّين إلا شهْرين.

قال ابن عبد البر: هذا أصح ما قيل في تاريخ عام الجماعة، وعليه أكثر أهل هذه الصناعة من أهل السير والعلم بالخبر، وكل من قال: إن الجماعة

Upload by : altawhedmag.com

كانت سنة أربعين: فقد وهم، ولم يقل بعلم، والله أعلم. الاستيعاب (١/ ٣٨٧).

وتأمل حب أبي هريرة واتباعه: حيث سلم عليه الحسن مرة فلم يسمع: فقيل له: هذا الحسنُ بْنُ عليٍّ قد سلَّم علينا: فلحقهُ وقال: وعليكَ السَّلامُ يا سيِّدي، ثُمَّ قال: سمعتُ رسُول اللَّه صلَّى اللَّه عليْه وسلَّم يقُولُ: " إنَّهُ سيِّدٌ ". أخرجه الحاكم في المستدرك (٤٨٥٧) وقال صحيح الإسناد وقال الذهبي: صحيح.

الثانية: محبة النبي صلى الله عليه وسلم له والأمر بحبه:

عنِ البراءِ رضيَ اللَّه عنْهُ، قال: رأيْتُ النَّبيَّ صلَّى اللَّه عليْه وسلَّم، والحسنُ بْنُ عليٍّ على عاتقه، يقُولُ: "اللَّهُمَّ إنِّي أُحبُّهُ فأحبَّهُ" صحيح البخاري (٣٧٤٩).

وعنْ أبي هُريْرة عن رسُولُ اللَّه صلَّى اللَّه عليْه وسلَّم: "اللَّهُمَّ إنِّي أُحبُّهُ، فأحبَّهُ وأحبَّ منْ يُحبُّهُ" قال أبو هريرة: فما كانَ أحدٌ أحبَّ إليَّ منَ الحسن بْن عليٍّ، بعْد ما قال رسُولُ اللَّه صلَّى اللَّه عليْه وسلَّم. صحيح البخاري (٥٨٨٤).

الثالثة: عنْ أنس رضي الله عنه قال: " لمْ يكُنْ أحدٌ أشْبه بالنَّبيِّ صلَّى اللَّه عليْه وسلَّم منَ الحسن بْن عليٍّ" صحيح البخاري (٣٧٥٢).

وعنْ عُقْبة بْن الحارث قال: رأيْتُ أبا بكْر رضيَ اللَّه عنْهُ وحمل الحسن، وهُو يقُولُ: "بأبي شبيهٌ بالنَّبيِّ ليْس شبيهٌ بعليٍّ" وعليٌّ يضحكُ. صحيح البُخاريّ(٣٧٥٠و٣٥٤٢).

الرابعة: عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال النَّبيُّ صلَّى اللَّه عليْه وسلَّم: "هُما ريْحانتاي منَ الدُّنيا" صحيح البخاري (٣٧٥٣).

وفيه: فضل ظاهر لهما: حيث شبههما عليه الصلاة والسلام بالريحان الذي له رائحة زكية، ووجه الشبه: أن الريحان مما يشم، والولد مما يشم ويقبل. عمدة القاري (٢٢/ ٩٨)

الخامسة: عنْ أبي سعيد الخُدْريِّ قال: قال رسُولُ اللَّه صلَّى اللَّه عليْه وسلَّم: الحسنُ والحسينُ سيِّدا شبابِ أهْل الجنَّة. أخرجه الترمذي (٣٧٦٨) وقال هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ. وهذا الحديث اشتمل على منقبتين:

الأولى: شهادة النبي صلى الله عليه وسلم لهما بالجنة.

الثانية: إخباره عليه الصلاة والسلام بأنهما سيدا شباب أهل الجنة. عقيدة أهل السنة في الصحابة (١/ ٣٦٤).

السادسة: عن بريدة قال: كانَ رسُولُ اللَّه -صلَّى اللَّه عليْه وسلَّم - يخْطُبُ، فأقْبل الحسنُ والحسينُ، عليْهما قميْصان أحْمران، يعْثُران ويقُومان: فنزل: فأخذهُما: فوضعهُما بيْن يديْه: ثُمَّ قال: "صدق اللَّه: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ (التَّغابُن: ١٥) رأيْتُ هذيْن، فلمْ أصْبرْ" حسن أخرجه الترمذي (٣٧٧٤).

السابعة: عنْ شدَّاد قال: خرج علينا رسُولُ اللَّه -صلَّى اللَّه عليْه وسلَّم - وهُو حاملٌ حسنا، أوْ حُسيْنا: فتقدَّم: فوضعهُ، ثُمَّ كبَّر في الصَّلاة: فسجد سجدة أطالها: فرفعْتُ رأسي: فإذا الصَّبيُّ على ظهْره: فرجعْتُ في سُجودي: فلمَّا قضى صلاتهُ، قالُوا: يا رسُول اللَّه، إنَّك أطلْت؟ قال: "إنَّ ابْني ارْتحلني: فكرهْتُ أنْ أُعْجلهُ حتَّى يقْضي حاجتهُ" صحيح أخرجه أحمد (١٦٠٣٣). وقال الذهبي: أيْن الفقيْهُ المُتنطِّعُ عنْ هذا الفعْل؟

وفاتُه: وتُوفِّي الحسنُ بْنُ عليٍّ رضيَ اللَّه عنْهُ خلال فترة حُكْم مُعاوية سنة ٤٩ هـ.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين والحمد لله رب العالمين.

Upload by : altawhedmag.com

غـزوة أُحُـد

إعداد
د. سيد عبد العال
إمام وخطيب بوزارة الأوقاف

إن درس النصر قد تُنسيه الفرحة الغامرة، أما المصيبة فتهيئ للنفس فرصة تسترجع فيها ذكرى الأخطاء، فلا يبرح هذا الطيف حتى يترك فيها حزًّا غائرًا، وكلَّمَا لا يقبل تكرار الخطأ.

وفي قصة أحد تربية لا بد منها لصنع قادة، يحملون أكبر علم للنور والهدى والعرفان، يحولون به تيار الفساد إلى سلسل من طهر ونقاء.

وفي قصة "أُحُد" لفتة من لفتات القدر، تعلم المسلم ناموس الحياة، وتقضي على ما يمكن أن يصيبه من زهو وغرور بحقائق الواقع.

في قصة أحد عبرة أفاد المسلمون منها في تاريخهم الأغر، فكان لنكبة "أُحُد" أثر في نصر "الخندق"، وكان لها الفضل في مواقف النضال مع أعتى قوتين في دنيا الناس يومذاك.

وما أمسّ حاجتنا اليوم، لنفحص نكبة الأمس، حتى ننهض من نكبة اليوم!

وهذا ما نحاول المساس به أثناء دراسة هذه الغزوة في مجلتنا الغراء.

أولا: تاريخ الغزوة:

حَدَثَتْ يَوْمَ السَّبْتِ لِلنِّصْفِ مِنْ شَوَّالٍ مِنَ السَّنَةِ الثَّالِثَةِ بِاتِّفَاقِ الْجُمْهُورِ، وما سوى ذلك من الأقوال شاذ. (فتح الباري: ٣٤٦/٧).

Upload by : altawhedmag.com

ثانيا: سبب الغزوة:

لَمَّا رجعت قريش من بدر إلى مكة، وقد أصيبوا بمصيبة لم يصابوا بمثلها، من قتل صناديدهم وأشرافهم، ورجع أبو سفيان بعيره(أي تجارته)؛ اتفقوا على أن يقوموا بحرب شاملة ضد المسلمين، تشفي غيظها، وتروي غلة حقدها، وأخذت في الاستعداد؛ لخوض مثل هذه المعركة العظيمة؛ وكان عكرمة بن أبي جهل، وصفوان بن أمية، وأبو سفيان بن حرب، وعبد الله بن أبي ربيعة أكثر زعماء قريش نشاطا، وتحمسا؛ لخوض هذه المعركة.

وأول ما فعلوه بهذا الصدد أنهم احتجزوا العير التي كان قد نجا بها أبو سفيان، والتي كانت سببا لمعركة بدر لتكون عونا لهم على حرب المسلمين، وكانت ألف بعير، والمال خمسون ألف دينار.

قال ابن إسحاق: ففيهم فيما ذكر لي بعض أهل العلم أنزل الله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴾ (الأنفال: ٣٦). (سيرة ابن إسحاق: ص٣٢٢).

وهذا قول ابن عباس، وهكذا روي عن مجاهد، وسعيد بن جبير، وقال الضحاك: نزلت في أهل بدر.

فائدة مهمة: "العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب": قال ابن كثير: "وعلى كل تقدير، فهي عامة. وإن كان سبب نزولها خاصا، فقد أخبر تعالى أن الكفار ينفقون أموالهم ليصدوا عن اتباع طريق الحق، فسيفعلون ذلك، ثم تذهب أموالهم، ثم تكون عليهم حسرة، أي: ندامة؛ حيث لم تجد شيئا؛ لأنهم أرادوا إطفاء نور الله وظهور كلمتهم على كلمة الحق، والله متم نوره ولو كره الكافرون، وناصر دينه، ومظهر دينه على كل دين. فهذا الخزي لهم في الدنيا، ولهم في الآخرة عذاب النار، فمن عاش منهم، رأى بعينه وسمع بأذنه ما يسوءه، ومن قتل منهم أو مات، فإلى الخزي الأبدي والعذاب السرمدي" (تفسير ابن كثير: ٤/٥٣).

ثالثا: قوام جيش المشركين وعددهم، وتصوير حالهم:

قامت قريش تجمع الجموع من حلفائها؛ فتجمع لقريش ثلاثة آلاف مقاتل، فيهم سبعمائة دارع، وكان معهم مائتا فرس، وثلاثة آلاف بعير.

وقد بدا لهم رأي يدل على استماتة المشركين في الحرب؛ ألا وهو أن قادة قريش رأوا أن يستصحبوا معهم النساء، حتى يكون ذلك أبلغ في استماتة الرجال، وحتى لا يفروا، فخرج أبو سفيان بزوجته هند بنت عتبة بن ربيعة... وقد بلغ عدد النساء اللاتي خرجن خمس عشرة امرأة، معهن الدفوف، والخمور؛ فكن يبكين قتلى بدر، ويحرضن الرجال على القتال، وعدم الهزيمة والفرار.

وكانت القيادة العامة إلى أبي سفيان بن حرب، وقيادة الفرسان إلى خالد بن الوليد، يعاونه عكرمة بن أبي جهل، أما اللواء: فكان إلى بني عبد الدار، فأقبلوا حتى نزلوا بعينين؛ جبل ببطن السبخة من قناة على شفير الوادي مقابل المدينة. يوم الأربعاء: فأقاموا بها ذلك اليوم، ويوم الخميس، ويوم الجمعة. (اللؤلؤ المكنون ٢/٥٦٦، وسيرة ابن اسحاق ص٣٢٤).

رابعا: رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم واستشارة الصحابة رضي الله عنهم:

وبعد أن تأكد للرسول خبر قريش، ووصولهم إلى المدينة، عقد اجتماعا استشاريا مع الصحابة، وأخبرهم برؤياه التي رآها...

أما الرؤيا: ففيها أحاديث: منها حديث أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: "رأيت في المنام أني هززت سيفا، فانقطع صدره فإذا هو ما أصيب من المؤمنين يوم أحد، ثم هززته بأخرى: فعاد أحسن ما كان: فإذا هو ما جاء الله به من الفتح، واجتماع المؤمنين ورأيت فيها بقرا -والله خير- فإذا هم المؤمنون يوم أحد. (صحيح البخاري: ح٣٦٢٢).

وعن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: "رأيت في سيفي ذي الفقار فلا، فأولته: فلا

Upload by : altawhedmag.com

يكُونُ فيكُمْ، ورأيْتُ أنِّي في درْعٍ حصينةٍ، فأوَّلْتُها: المدينةَ، ورأيْتُ بقرًا تُذبحُ، فبقرٌ واللهِ خيرٌ، فبقرٌ واللهِ خيرٌ"؛ فكانَ الَّذي قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليْهِ وسلَّمَ. (مسند أحمد: ح٢٤٤٥).

وفي روايةٍ: قالَ: "فأمَّا البقرُ، فهيَ ناسٌ منْ أصْحابي يُقْتلونَ، وأمَّا الثَّلْمُ الذي رأيْتُ في ذُبابِ سيْفي، فهُوَ رجُلٌ منْ أهْلِ بيْتي يُقْتلُ، وأوَّلْتُ الدِّرْعَ الحصينةَ المدينةَ" (دلائل النبوة للبيهقي: ٢٠٧/٣، واسناده حسن).

قوْلُهُ: "واللهِ خيْرٌ" هذا منْ جُمْلةِ الرُّؤيا وهو كذا بالرَّفْعِ فيهِما على أنَّهُ مُبْتدأٌ وخبرٌ، وفيه حذْفٌ تقْديرُهُ وصُنْعُ اللهِ خيْرٌ... وقوْلُهُ -في التأويلِ- "بقرٌ" هُوَ بسُكُونِ القافِ وهُوَ شقُّ البطْنِ. (فتح الباري: ٣٧٧/٧). وانظر: (فتح الباري ٣٤٦/٧).

وأما الاستشارة: فكان موضوعها: هل يخرجون من المدينة: لقتالهم، أو يبقون فيها: فإن دخلوا عليهم قتلوهم فيها، وكان رأي النبي صلى الله عليه أول الأمر البقاء في المدينة. ثم لبس لأمة الحرب بعد المشورة لأصحابه؛ ولما سبق في قدر الله تعالى... قال ابن كثير: "وأبى كثيرٌ من الناس إلا الخروج إلى العدو، ولم يتناهوا إلى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأيه، ولو رضوا بالذي أمرهم كان ذلك، ولكن غلب القضاء والقدر".

ووافقه عليه الأكابرُ من المهاجرين والأنصار، ووافقهم عليه عبدُ الله بنُ أبيّ ابن سلول المنافق، ويبدو أنَّ موافقة ابن سلول لهذا الرأي لم تكن لأجل أنَّ هذا هو الموقف الصحيح من حيث الوجهة العسكرية، بل ليتمكن من التباعد عن القتال دون أن يعلم بذلك أحدٌ، وشاء الله أن يفتضح هو وأصحابه -لأول مرة- أمام المسلمين.

ترك النبي صلى الله عليه وسلم رأيه ورجوعه إلى رأي الصحابة:

ولا شك أن المشورة والرجوع بوحي من الله إما ابتداء واما إقرارًا وتأييدًا، واليكم الخبر: فعن جابر بْن عبْدِ اللهِ رضي اللهُ عنهما قالَ: استشارَ رسُولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليْهِ وسلَّمَ النَّاسَ يوْمَ أُحُدٍ فقالَ: "إنِّي رأيْتُ فيما يرى النَّائمُ كأنِّي لفي درْعٍ حصينةٍ، وكأنَّ بقرًا تُنْحرُ، وتُباعُ؛ ففسَّرْتُ الدِّرْعَ المدينةَ، والبقرَ نفرًا واللهِ خيْرٌ -أي واللهِ عنده خير وأبقى-؛ فلوْ قاتلْتُموهُمْ في السِّككِ؛ فرماهُمُ النِّساءُ منْ فوْقِ الحيطانِ؟ فقالوا: يا رسُولَ اللهِ، واللهِ ما دُخلَ علينا فيها في الجاهليَّةِ، فكيْفَ يُدْخلُ علينا فيها في الإسْلامِ؟ ولكنْ نخْرُجُ إليْهِمْ قالَ: "فشأنُكُمْ إذًا" قالَ: ثُمَّ ندمُوا؛ فقالُوا: رددْنا على رسُولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليْهِ وسلَّمَ رأيهُ؛ فأتوا النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليْهِ وسلَّمَ؛ فقالُوا: يا رسُولَ اللهِ، رأيْكَ فقالَ: ما كانَ لنبيٍّ أنْ يلْبسَ لأمتهُ -بسُكُونِ الهمْزةِ؛ أي: الدِّرْعَ- ثُمَّ يضعُها حتَّى يُقاتلَ. (أخرجه أحمد ح٤٧٨٧، والسنن الكبرى للنسائي ح٧٦٠٠، قال ابن حجر: وسندُهُ صحيحٌ).

ورواه ابن عبَّاسٍ رضي اللهُ عنهما، بنحو حديث جابر وفيه: "فقال له ناسٌ لم يكونوا شهدوا بدرًا اخرُجْ بنا يا رسول الله إليهم نُقاتلهم بأحد، ونرجو أنْ نصيب من الفضيلة ما أصاب أهلُ بدرٍ..." الحديث)المستدرك ٢٦٢٤، وصححه ووافقه الذهبي، وقال ابن حجر: وهذا سندٌ حسنٌ. (الفتح: ١١٢/٩).

وفيه من الفوائد: مشورة القائد لأصحابه، وأن المستشير لا يجب عليه أن يأخذ برأي المستشار، وأن النبي صلى الله عليه وسلم إذا عزم: فقد انتهى، ولا مشورة بعدُ: قال البخاري: باب قوْلِ اللهِ تعالى: «وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ» (الشورى: ٣٨)، «وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ» (آل عمران: ١٥٩)، وأنَّ المشاورة قبْلَ العزْمِ والتَّبيُّنِ لقوْلِه: «فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ» (آل عمران: ١٥٩)؛ فإذا عزمَ الرَّسُولُ صلَّى اللهُ عليْهِ وسلَّمَ لمْ يكُنْ لبشرٍ التَّقدُّمُ على اللهِ ورسُولِه... ثم ذكر هذا الحديث. (صحيح البخاري: ١١٢/٩).

وللحديث صله إن شاء الله تعالى.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. والحمد لله رب العالمين.

Upload by : altawhedmag.com

غزوة أُحُد

الحمد لله رب العالمين، وأشهد ألا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم، أما بعد: فما زلنا في الحديث عن غزوة أحد، وقد ذكرنا قبل ذلك: أن عبد الله بن أبي رجع بثلث الجيش، وهنا يدور في الذهن سؤال وهو: هل تأثر أحد من المسلمين بهذا الموقف المخزي من ذلك المنافق أم لا؟

إعداد
د. سيد عبد العال
إمام وخطيب بوزارة الأوقاف

والجواب: نعم؛ فقد تأثر بنو سلمة وبنو حارثة بموقف المنافقين، ولكن تولاهم الله؛ حيث إنه لما رجع ابن سلول وأصحابُه همّتْ بنو سلمة وبنو حارثة بالرُّجوع، فعصمهما الله سبحانه وتعالى وثبّتهما، ولحقتا بالرسول -صلى الله عليه وسلم-؛ فعن جابر -رضي الله عنه- قال: نزلت هذه الآية فينا: «إذْ همّت طائفتان منكم أن تفشلا» بني سلمة وبني حارثة، وما أحبُّ أنها لم تنزل، والله يقول: «والله وليُّهما». صحيح البخاري (٤٠٥١).

قال ابن حجر: فلمّا رجع عَبْدُ الله سقط في أيدي طائفتيْن من المؤمنين، وهما بنو حارثة وبنو سلمة. (فتح الباري: ٣٤٦/٧).

وقال -أيضا-: الفشل -بالفاء والمعجمة- الجبن، وقيل: الفشل في الرأي العجز، وفي البدن الإعياء، وفي الحرب الجبن، والولي الناصر.

وقوله "نزلت هذه الآية فينا" أي: في قومه بني سلمة، وهم من الخزرج، وفي أقاربهم بني حارثة، وهم من الأوس قوله "وما أحبُّ أنها لم تنزل" والله يقول «والله وليُّهما» أي: وإن الآية، وإن كان في ظاهرها غضٌّ منهم لكن في آخرها غاية الشرف لهم؛ قال ابن إسحاق: قوله «والله وليُّهما» أي: الدافع عنهما ما هموا به من الفشل؛ لأن ذلك كان من وسوسة الشيطان من غير وهن منهم. فتح الباري (٣٥٧/٧).

وهذا يبين لنا أمورًا عظيمة:

الأول: خطر النفاق.

الثاني: أهمية تقوية الإيمان، والعمل على زيادته بكل عمل صالح مع سلامة المعتقد: فهو سبب لحفظ الله العبد من السوء الذي يهمّ به: فلولا إيمانهم الصادق، وعملهم الصالح، وقصدهم الخير، لما كانوا من أولياء الله الذين دفع عنهم الهم السيئ؛ فتأمل خذلان الله للمنافقين عقوبة لهم، وحفظه للمؤمنين، وتولّيه لهم جزاء لهم، ومن القواعد المقررة في الشريعة: أن "الجزاء من جنس العمل".

الثالث: أن هاتين الطائفتين من أولياء الله فلا يخطر ببالك قدْح في الصحابة؛ لأن الذي في آخر الآية ثناء، ومدح عظيم على الطائفتين اللتين همتا بالفشل، ووجهه: هو أن الآية ناطقة مفصحة بأن الله وليهم، وأن تلك الهمّة التي هموها ما أخرجتهم من ولاية الله تعالى، وفي هذا من الشرف العظيم لهاتين الطائفتين ما لا يعلمه إلا الله، ولذلك قال جابر: "وما أحبُّ أنها لم تنزل"، وحُقَّ لجابر -رضي الله عنه- أن يُسَرّ، ويفرح بالتنويه بهذه المنقبة

Upload by : altawhedmag.com

العظيمة: لأن ولاية الله لا يظفر بها إلا المؤمنون والصالحون من عباده. (عقيدة أهل السنة في الصحابة: ١/ ١٨٤).

وهذا موقف يتجلى فيه تربية صادقة:

عن ابن عمر رضي الله عنهما: "أنه قال عُرضتُ على النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد، وأنا ابنُ أربع عشرة سنة، فلم يُجزني ثم عرضني يوم الخندق، وأنا ابنُ خمس عشرة سنة، فأجازني" (صحيح البخاري: ٢٦٦٤).

ويرى في بعضهم الأهلية للقتال: فيجيزه: وكان ممن أجاز سمرة بن جندب، ورافع بن خديج، ولهما خمس عشرة سنة، وكان ممن رد يومئذ أسامة بن زيد بن حارثة، وأسيد بن ظهير، والبراء بن عازب، وزيد بن أرقم، وزيد بن ثابت.... ثم أجازهم يوم الخندق.

ونلحظ: أن المجتمع الإسلامي يضج بالحركة، ويسعى للشهادة شيبًا، وشبابًا، وحتى الصبيان يقبلون على الموت ببسالة، ورغبة في الشهادة، تبعث على الدهشة، دون أن يجبرهم قانون التجنيد، أو تدفع بهم قيادة إلى ميدان القتال، وهذا يدل على أثر المنهج النبوي الكريم في تربية شرائح الأمة المتعددة على حب الآخرة والترفع عن أمور الدنيا. (السيرة النبوية للصلابي: ٤٨٠).

تصور عام مختصر:

وفي صبيحة يوم السبت الخامس عشر من شوال عبأ رسول -صلى الله عليه وسلم- أصحابه للقتال، وأخذ يسوي صفوفهم، وعلى خيل المشركين وهي مائة فرس: خالد بن الوليد، وليس مع المسلمين فرس، وصاحب لواء المشركين طلحة بن عثمان، وظاهر صلى الله عليه وسلم يومئذ بين درعين، أي: لبس درعين أحدهما فوق الآخر. (صحيح سنن أبي داود: ٢٥٩٠).

وقد جعل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- على الميمنة: المنذر بن عمرو -رضي الله عنه-، وعلى الميسرة: الزبير بن العوام -رضي الله عنه- يساندُه: المقدادُ بن عمرو -رضي الله عنه-، وكان للزبير -رضي الله عنه- مهمة أخرى، وهي الصمود في وجه فرسان خالد بن الوليد، وفي هذا نزل قوله تعالى: «وإذ غدوت من أهلك تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال والله سميع عليم»، وكان أول من برز من المشركين يومئذ أبو عامر الراهب، الذي سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم: بالفاسق عدو الله وعدو رسول الله صلى الله عليه وسلم، مات كافرًا، ومن العجيب أنه والد حنظلة رضي الله عنه غسيل الملائكة الكرام يوم أحد.

وعن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال: لقينا المشركين يومئذ وجعل النبيُّ صلى الله عليه وسلم على الرجالة جيشًا من الرماة يوم أحد، وكانوا خمسين رجلاً وأمر عليهم عبد الله بن جبير، فقال: "إن رأيتمونا تخطفنا الطير فلا تبرحوا مكانكم، هذا حتى أرسل إليكم، وإن رأيتمونا هزمنا القوم وأوطأناهم: فلا تبرحوا حتى أرسل إليكم"؛ وكان صاحب لواء المسلمين مصعب بن عمير فبارز طلحة بن عثمان فقتله، وحمل المسلمون على المشركين حتى أجهضوهم عن أثقالهم وحملت خيل المشركين فنضحتهم الرماة بالنبل ثلاث مرات.

قال البراء: فلما لقينا هزموهم وهربوا حتى رأيت النساء يشتددن في الجبل، قال: فأنا والله رأيت النساء يشتددن، قد بدت خلاخلهن وأسوقهن، رافعات ثيابهن، فقال أصحاب عبد الله بن جبير: الغنيمة أي قوم الغنيمة، ظهر أصحابكم! فما تنتظرون؟ فقال عبد الله بن جبير: أنسيتم ما قال لكم رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قالوا: والله لنأتين الناس! فلنصيبن من الغنيمة! فلما أتوهم صرفت وجوههم، فأقبلوا منهزمين.

(فتركوا مكانهم ودخل العسكر فأبصر ذلك خالد بن الوليد ومن معه: فحملوا على المسلمين في الخيل: فمزقوهم وثبت نبي الله صلى الله عليه وسلم حين انكشفوا عنه). فذاك إذ يدعوهم الرسول في أخراهم، فلم يبق مع النبي صلى الله عليه وسلم

Upload by : altawhedmag.com

غير اثني عشر رجلاً. قال البراء: فأصابوا منا سبعين. وكان النبيُّ صلى الله عليه وسلم وأصحابه أصابوا من المشركين يوم بدر أربعين ومائة: سبعين أسيرا وسبعين قتيلاً. (وهم يظنون: أنهم أصابوا النبيَّ صلى الله عليه وسلم وأشراف أصحابه فقال أبو سفيان يفتخر بآلهته) أفي القوم محمدٌ؟ ثلاث مرات: فنهاهم النبيُّ صلى الله عليه وسلم: أن يجيبوه. ثم قال: أفي القوم ابن أبي قحافة؟ ثلاث مرات. ثم قال: أفي القوم ابن الخطاب؟ ثلاث مرات. ثم رجع إلى أصحابه: فقال: أما هؤلاء. فقد قتلوا. فما ملك عمرُ نفسه. فقال: كذبت والله يا عدوَّ الله. إن الذين عددت لأحياءٌ كلهم. وقد بقي لك ما يسوءك. قال: يوم بيوم بدر. والحرب سجال: فقال عمر: لا سواء. قتلانا في الجنة. وقتلاكم في النار. قال: إنكم لتزعمون ذلك. لقد خبنا إذن وخسرنا. ثم قال أبو سفيان: إنكم ستجدون في القوم مُثلة. لم آمر بها ولم تسؤني. (وفي رواية أحمد: ولم يكن ذاك عن رأي سراتنا. قال: ثم أدركته حميَّة الجاهلية. قال: فقال: أما إنه قد كان ذاك. ولم نكرهه) ثم أخذ يرتجز: أعل هبل. أعل هبل. قال النبيُّ صلى الله عليه وسلم: "ألا تجيبوا له". قالوا: يا رسول الله. ما نقول؟ قال: " قولوا: الله أعلى وأجل ". قال: إن لنا العزى ولا عزى لكم. فقال النبيُّ صلى الله عليه وسلم: "ألا تجيبوا له؟". قال: قالوا: يا رسول الله. ما نقول؟ قال: "قولوا الله مولانا. ولا مولى لكم".

واستشهد يومئذ من المسلمين نحو السبعين. منهم حمزة عم رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقد ذكر سبحانه هذه الوقعة في سورة آل عمران حيث يقول: «وإذ غدوت من أهلك تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال والله سميع عليم» الآيات... إلى قوله: «ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء فآمنوا بالله ورسله وإن تؤمنوا وتتقوا فلكم أجر عظيم» (آل عمران: ١٧٩) (الفصول في السيرة: ١٥٠).

وهذا السياق فيه فوائد:

منها: أن خطة النبي صلى الله عليه وسلم كانت خطة حكيمة ودقيقة جدًا. تتجلى فيها عبقرية الرسول -صلى الله عليه وسلم- العسكرية. فقد احتل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أفضل موضع من ميدان المعركة. مع أنه نزل فيه بعد العدو: فقد حمى ظهره. وبميمنه بارتفاعات جبل أحد. وحمى ميسرته وظهره. (الرحيق المختوم ٢٥٦).

ومنها: تعريف المسلمين سوء عاقبة المعصية. وشؤم ارتكاب النهي لما وقع من ترك الرماة موقفهم الذي أمرهم الرسول أن لا يبرحوا منه.

ومنها: أن عادة الرسل أن تبتلى. وتكون لها العاقبة. والحكمة في ذلك أنهم لو انتصروا دائما دخل في المؤمنين من ليس منهم. ولم يتميز الصادق من غيره. ولو انكسروا دائما لم يحصل المقصود من البعثة: فاقتضت الحكمة الجمع بين الأمرين: لتمييز الصادق من الكاذب. وذلك أن نفاق المنافقين كان مخفيًا عن المسلمين فلما جرت هذه القصة. وأظهر أهل النفاق ما أظهروه من الفعل. والقول عاد التلويح تصريحا. وعرف المسلمون أن لهم عدوًا في دورهم: فاستعدوا لهم وتحرزوا منهم.

ومنها: أن في تأخير النصر في بعض المواطن هضما للنفس. وكسرا لشماختها فلما ابتلي المؤمنون صبروا. وجزع المنافقون.

ومنها: أن الله هيأ لعباده المؤمنين منازل في دار كرامته لا تبلغها أعمالهم: فقيض لهم أسباب الابتلاء. والمحن: ليصلوا إليها.

ومنها: أن الشهادة من أعلى مراتب الأولياء فساقها إليهم.

ومنها: أنه أراد إهلاك أعدائه: فقيض لهم الأسباب التي يستوجبون بها ذلك: من كفرهم. وبغيهم. وطغيانهم في أذى أوليائه: فمحص بذلك ذنوب المؤمنين. ومحق بذلك الكافرين. (فتح الباري: ٣٤٧/٧).

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

Upload by : altawhedmag.com

أسوة الأجيال بخير الرجال

«رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ» (الأحزاب: ٢٣)

الأستاذ
د. سيد عبد العال
إمام وخطيب بوزارة الأوقاف

الحمد لله رب العالمين، وأشهد ألا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم.

أما بعد: فقد سبق لنا عرض غزوة أحد بإيجاز واختصار، وعندما نلتفت إلى ساحة المعركة نجد مواقف، وبطولات نادرة، وعجيبة؛ جديرة بأن تذكر ليتأسى بها شباب المسلمين، وشيبهم في زمان تكالب فيه الأعداء على الأمة الإسلامية، ورموهم عن قوس واحدة، ونعرض بعض هذه المواقف لرجال ممن قال الله فيهم: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ (الأحزاب: ٢٣). للتمس منها العبرة، ونرى فيها الأسوة: فيما يلي:

أولا: حماسة وشجاعة وقوة إيمان

عن أنس، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ سيفا يوم أحد فقال: "من يأخذ مني هذا؟" فبسطوا أيديهم، كل إنسان منهم يقول: أنا، أنا، قال: "فمن يأخذه بحقه؟" قال: فأحجم القوم! فقال سماك بن خرشة أبو دجانة: أنا آخذه بحقه. قال: فأخذه: ففلق به هام المشركين. صحيح مسلم (٢٤٧٠).

وفي هذا الخبر فوائد:

الأولى: قوله في الحديث: "فأحجم القوم" أي: تأخروا. شرح مسلم للنووي (١٦/٢٤).

وذلك لأنهم لا يعلمون ما حقه، فيخشون أن يكون كبيرا جدا لا يستطيعون القيام به. وسبب هذا هو الحرص على الطاعة وليس النكول عن أداء حقه.

الثانية: وفيه: أنه ينبغي للإنسان أن يبادر بالخير، وألا يتأخر، وأن يستعين بالله عز وجل، وهو إذا استعان بالله وأحسن به الظن: أعانه الله. شرح رياض الصالحين (٢/٣٣).

الثالثة: فيه: استحباب توصل الإمام إلى كل ما يشد به عزائم المجاهدين، ويحمي به أنوفهم للحق.

الرابعة: أن المستحب للإمام أن يختار أجود السلاح لأجود الرجال. الإفصاح (٥/٣٧٦).

الخامسة: أن كل مظاهر الكبر المحرمة في الأحوال العامة، تزول حرمتها في حالات الحرب، فمن مظاهر الكبر المحرمة أن يسير المسلم في الأرض مرحا متبخترا، ولكن ذلك في ميدان القتال أمر حسن، وليس بمكروه. اللؤلؤ المكنون (٢/٥٨٧).

ويشهد لهذا المعنى حديث جابر بن عتيك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "وأما الخيلاء التي يحبها الله فاختيال الرجل بنفسه لله في القتال، والصدقة، وأما الاختيال الذي يبغضه الله: فالاختيال في الفخر" الجهاد لابن أبي عاصم (٢/٦٧٤). وحسنه الألباني في الإرواء (١٩٩٩).

الموقف الثاني: رجل يستطيل حياته!

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال: قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد: أرأيت إن قتلت في سبيل الله: فأين أنا؟ قال: "في الجنة" فألقى تمرات في يده، ثم قاتل حتى قتل" صحيح البخاري (٤٠٤٦).

وفيه فوائد:

الأولى: تشابه مواقف الصحابة، وتأسي بعضهم ببعض: لأن هذا الرجل غير عمير بن الحمام:

Upload by : altawhedmag.com

قال ابن كثير: وهذا شبيه بقصة عُمَيْر بن الحُمام التي تقدمت في غزوة بدر رضي الله عنهما وأرضاهما. البداية والنهاية (٣٩٣/٥).

الثانية: ثبوت الجنة للشهيد.

الثالثة: المبادرة بالخير، وأنه لا يشتغل عنه بحظوظ النفوس. شرح النووي على مسلم (٤٤/١٣).

الرابعة: جواز الانغماس في حرب الكفار والتعرض للشهادة. طرح التثريب (٢٠٧/٧).

الخامسة: دلالة على قوة إيمان الصحابة، وحرصهم على الآخرة، وتصديقهم بوعد الله ووعيد رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وانظر إلى استعجال هذا الرجل في طلب الآخرة، وإنما حثه إيمانه وكأنه شاهد ما وعده به رأي عين؛ ولهذا كانت لهم العزة في الدنيا، وفي الآخرة. الإفصاح (٢٩٠/٨).

فمن نحن بحاجة إلى أمثال هؤلاء في زماننا هذا لا سيما، وقد اجتمع العدو بخيله ورجله على فئة مستضعفة من المؤمنين قتلا وتشريدا.

الموقف الثالث: موقف حذيفة بن اليمان ومقتل أبيه بيد المسلمين

وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: "لما كان يوم أحد هزم المشركون، فصرخ إبليس لعنة الله عليه: أي عباد الله أخراكم، فرجعت أولاهم فاجتلدت هي وأخراهم، فبصر حذيفة فإذا هو بأبيه اليمان، فقال: أي عباد الله أبي أبي، قال: فو الله ما احتجزوا حتى قتلوه، فقال حذيفة: يغفر الله لكم" قال عروة: فوالله ما زالت في حذيفة بقية خير، حتى لحق بالله عز وجل" البخاري (٤٠٦٥).

وفيه فوائد:

الأولى: قوله "عباد الله أخراكم" أي: احترزوا من جهة أخراكم، وكان ذلك لما ترك الرماة مكانهم، ودخلوا ينتهبون عسكر المشركين كما سبق بيانه. انظر المقال السابق.

قوله "فرجعت أولاهم فاجتلدت هي وأخراهم" أي: وهم يظنون أنهم من العدو، وذلك أنهم لما رجعوا اختلطوا بالمشركين، والتبس العسكران؛ فلم يتميزوا؛ فوقع القتل على المسلمين بعضهم من بعض.

الثانية: حرص الصحابة على الجهاد والشهادة؛ حيث كان اليمان والد حذيفة وثابت بن وقش شيخين كبيرين؛ فتركهما رسول الله صلى الله عليه وسلم مع النساء، والصبيان؛ فتذاكرا بينهما ورغبا في الشهادة؛ فأخذا سيفيهما، ولحقا بالمسلمين بعد الهزيمة فلم يعرفوا بهما فأما ثابت: فقتله المشركون، وأما اليمان: فاختلف عليه أسياف المسلمين؛ فقتلوه، ولا يعرفونه.

الثالثة: في رواية ابن إسحاق: فقال حذيفة: "قتلتم أبي"! قالوا: "والله ما عرفناه" وصدقوا؛ فقال حذيفة: يغفر الله لكم؛ فأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يديه (يدفع ديته)؛ فتصدق حذيفة بديته على المسلمين؛ فزاده ذلك عند رسول الله صلى الله عليه وسلم خيرا. فتح الباري (٣٦٢/٧).

الرابعة: قوله "فو الله ما زالت في حذيفة بقية خير": أي إنه لما عذر المسلمين أنهم لم يعرفوه وقال: يغفر الله لكم، زاد بذلك خيره، وارتفع قدره. كشف المشكل (٣٨٧/٤).

الموقف الرابع: أحرج ساعة وأشدها على رسول الله صلى الله عليه وسلم: عن سهل بن سعد قال "جرح وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكسرت رباعيته، وهشمت البيضة على رأسه" مسلم (١٧٩٠).

وعن أنس بن مالك، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أفرد يوم أحد في سبعة من الأنصار ورجلين من قريش، فلما رهقوه، قال: "من يردهم عنا وله الجنة؟"-أو "هو رفيقي في الجنة"-، فتقدم رجل من الأنصار، فقاتل حتى قتل، ثم رهقوه أيضا، فقال: "من يردهم عنا وله الجنة؟"-أو "هو رفيقي في الجنة"-، فتقدم رجل من الأنصار، فقاتل حتى قتل، فلم يزل كذلك حتى قتل السبعة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لصاحبيه: "ما أنصفنا أصحابنا" صحيح مسلم (١٧٨٩).

وهذه ساعة ظهرت فيها بطولات نادرة قل أن تجد مثلها في التاريخ، ولنا معها وقفة أخرى في العدد القادم، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

Upload by : altawhedmag.com

الحلقة (٣)

غزوة أحد

«من المؤمنين رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ» (الأحزاب: ٢٣)

إعداد
د. سيد عبد العال
إمام وخطيب بوزارة الأوقاف

الحمد لله رب العالمين، وأشهد ألا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم.

أما بعد: فقد سبق لنا عرض مواقف وبطولات نادرة وعجيبة في سياق غزوة أحد؛ جديرة بأن تُذكر ليتأسى بها شباب المسلمين في زمان تكالبت فيه الأعداء على الأمة الإسلامية، وحاجتها لذكر هذه الأمثلة في سيرها نحو العزة والكرامة، ولذلك ما زلنا نعرض لبعض هذه المواقف لرجال ممن قال الله فيهم: «مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا» (الأحزاب: ٢٣)، نلتمس منها العبرة، ونرى فيها الأسوة؛ فإليكم معشر القراء ما يلي:

وقد ذكرنا قبل ذلك بعض المواقف المشرفة والبطولات النادرة المشرقة من ساحة القتال في غزوة أحد، وكان آخر ذلك ما تعرض له رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإليكم الآن بعض هذه المواقف.

الموقف الخامس: موقف سعد ابن أبي وقاص رضي الله عنه

كان سعد أبن أبي وقاص بين يدي رسول الله صلى الله عليه يرمي عنه؛ عن سعد بن أبي وقاص، يقول: نثل لي النبيُّ صلى الله عليه وسلم كنانته يوم أحد، فقال: "ارم فداك أبي وأمي" (صحيح البخاري: ٤٠٥٥).

وهذه منقبة عظيمة لسعد رضي الله عنه؛ حيث جمع له النبي صلى الله عليه وسلم أبويه في الدعاء، وعن علي رضي الله عنه، يقول: "ما سمعت النبيَّ صلى الله عليه وسلم يجمع أبويه لأحد غير سعد" (صحيح البخاري: ٤٠٥٨).

ومن مناقبه في هذا الموقف رؤية الملائكة

وعن سعد بن أبي وقاص، قال: "لقد رأيت يوم أحد عن يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن يساره رجلين عليهما ثياب بيض، يقاتلان عنه كأشد القتال ما رأيتهما قبل ولا بعد" (صحيح مسلم: ٢٣٠٦).

سادسا: موقف أبي طلحة رضي الله عنه

وعن أنس رضي الله عنه، قال: لما كان يوم أحد انهزم الناس عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم، وأبو طلحة بين يدي النبيِّ صلى الله عليه وسلم مجوب عليه بحجفة له، وكان أبو طلحة رجلا راميا شديد النزع؛ كسر يومئذ قوسين، أو ثلاثا، وكان الرجل يمر معه بجعبة من النبل؛ فيقول: "انثرها لأبي طلحة" قال: ويشرف النبيُّ صلى الله عليه وسلم ينظر إلى القوم؛ فيقول أبو طلحة: بأبي أنت وأمي، لا تشرف، يصيبك سهم من سهام القوم، نحري دون نحرك" (صحيح البخاري: ٤٠٦٤).

سابعا: ذاك يوم كله لطلحة

وعن قيس، قال: "رأيت يد طلحة شلاء وقى بها النبيَّ صلى الله عليه وسلم يوم أحد" (صحيح

Upload by : altawhedmag.com

البخاري: ٤٠٦٣).

عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان أبو بكر رضي الله عنه إذا ذكر يوم أحد بكى، ثم قال: ذاك كله يوم طلحة، ثم أنشأ يحدث، قال: كنت أول من فاء يوم أحد فرأيت رجلا يقاتل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم دونه، وأراه قال: يحميه، قال: فقلت: كن طلحة حيث فاتني ما فاتني، فقلت: يكون رجلا من قومي أحب إلي وبيني وبين المشرق رجل لا أعرفه، وأنا أقرب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم منه، وهو يخطف المشي خطفا لا أخطفه، فإذا هو أبو عبيدة بن الجراح، فانتهينا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كسرت رباعيته، وشج في وجهه وقد دخل في وجنتيه حلقتان من حلق المغفر.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "عليكما صاحبكما"، يريد طلحة، وقد نزف، فلم يلتفت إلى قوله، وذهبت لأنزع ذاك من وجهه، فقال أبو عبيدة: أقسمت عليك بحقي لما تركتني، فتركته فكره أن يتناولهما بيده، فيؤذي النبي صلى الله عليه وسلم، فأزم عليهما بفيه فاستخرج إحدى الحلقتين، ووقعت ثنيته مع الحلقة، وذهبت لأصنع ما صنع فقال: أقسمت عليك بحقي لما تركتني قال: ففعل مثل ما فعل في المرة الأولى فوقعت ثنيته الأخرى مع الحلقة فكان أبو عبيدة من أحسن الناس هتما، فأصلحنا من شأن النبي صلى الله عليه وسلم، ثم أتينا طلحة في بعض تلك الحفار فإذا به بضع وسبعون أو أقل أو أكثر بين طعنة ورمية وضربة وإذا قد قطعت إصبعه فأصلحنا من شأنه. (مسند أبي داود الطيالسي).

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله، وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

ثامنا: مقتل مصعب بن عمير وحمزة وتأثر الصحابة بذلك

عن خباب رضي الله عنه، قال: هاجرنا مع النبي صلى الله عليه وسلم نلتمس وجه الله، فوقع أجرنا على الله، فمنا من مات لم يأكل من أجره شيئا، منهم مصعب بن عمير قتل يوم أحد، فلم نجد ما نكفنه إلا بردة إذا غطينا بها رأسه خرجت رجلاه، وإذا غطينا رجليه خرج رأسه، "فأمرنا النبي صلى الله عليه وسلم أن نغطي رأسه، وأن نجعل على رجليه من الإذخر ومنا من أينعت له ثمرته، فهو يهدبها" (صحيح البخاري: ١٢٧٦).

وعن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه، أتي بطعام وكان صائما، فقال: "قتل مصعب بن عمير وهو خير مني، كفن في بردة، إن غطي رأسه، بدت رجلاه، وإن غطي رجلاه بدا رأسه ثم بسط لنا من الدنيا ما بسط، وقد خشينا أن تكون حسناتنا عجلت لنا، ثم جعل يبكي حتى ترك الطعام" (صحيح البخاري ١٢٧٥ و٤٠٤٥)

تاسعا: عين قتادة بن النعمان الظفري

وعن عاصم بن عمر بن قتادة، أن قتادة بن النعمان "سقطت عينه على وجنته يوم أحد، فردها رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت أحسن عينيه وأحدها" (مصنف ابن أبي شيبة: ٣٦٧٦٨).

عاشرا: موقف عظيم لأنس بن النضر رضي الله عنه

عن أنس رضي الله عنه أن عمه غاب عن بدر، فقال: غبت عن أول قتال النبي صلى الله عليه وسلم، لئن أشهدني الله مع النبي صلى الله عليه وسلم ليرين الله ما أجد، فلقي يوم أحد، فهزم الناس، فقال: "اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء، يعني المسلمين وأبرأ إليك مما جاء به المشركون"، فتقدم بسيفه فلقي سعد بن معاذ، فقال: أين يا سعد، إني أجد ريح الجنة دون أحد، فمضى فقتل، فما عرف حتى عرفته أخته بشامة أو ببنانه، وبه بضع وثمانون من طعنة وضربة ورمية بسهم. (صحيح البخاري: ٤٠٤٨).

وللحديث بقية والحمد لله رب العالمين.

Upload by : altawhedmag.com

دروس وعِبَر من غزوة أُحُد

إعداد
د. سيد عبد العال
إمام وخطيب بوزارة الأوقاف

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وعلى آله وصحبه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: فقد سبق لنا عرض غزوة أحد، وما جرى فيها من أحداث على سبيل الإيجاز والاختصار، ويبقى لنا الإشارة إلى بعض الفوائد المأخوذة من حديث القرآن عن غزوة أحد: فقد أنزل الله على إثر هذه الغزوة ثمان وخمسين آية من سورة آل عمران، ابتدأت بذكر أول مرحلة من مراحل الإعداد للمعركة في قوله- تعالى-: «وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ» (آل عمران ١٢١)، وانتهت ببيان مجمل للحكم والدروس المستفادة التي أرادها الله منها فقال: «مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ» (آل عمران ١٧٩).

وقد وصفت هذه الآيات المعركة وصفًا دقيقًا، وكان فيها تربية للأمة على مر العصور والأجيال، واليكم بعض هذه الدروس والعبر.

١- في بيان أثر المعاصي في النصر والهزيمة، وأن الله وعد بالنصر مشروطًا بشرط، وأن وعد الله بالنصر ما زال قائمًا، وشرطه معروف؛ فمن أراد الوعد؛ فعليه بالشرط، وأن لله سننًا كونية لا تحابي أحدًا، وأننا لسنا أعز على الله من النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة رضي الله عنهم.

وبيان ذلك أن المسلمين ظهروا على المشركين أول اليوم، وكانت لهم الغلبة عليهم، ثم انقلب الحال فجأة! فما السبب؟

إنه بسبب معصية واحدة خالف فيها الرماة أمر النبي صلى الله عليه وسلم، وقد صور القرآن ذلك أحسن تصوير، وأبلغه، وبين الله لنا موطن الداء- ومن عرف الداء عرف الدواء، ومن عرف الدواء، ولم يعمل به؛ فلا يلومن إلا نفسه-؛ قال تعالى: «وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ» (آل عمران ١٥٢).

وقوله «تَحُسُّونَهُمْ»: تقتلونهم. «بِإِذْنِهِ»: بأمره ودعوته. «فَشِلْتُمْ»: جبنتم وضعفتم. «صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ»: كفكم عنهم وحولكم. «لِيَبْتَلِيَكُمْ»: ليختبركم.

وبالمعاصي تدور الدوائر، وتنزل المحن؛ ففاضت أرواح في تلك الغزوة بسبب خطيئة، وبالمعصية هلك من هلك من الأمم السابقة! قال تعالى: «فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ» (العنكبوت: ٤٠) فالمعاصي سبب كل عناء، وطريق كل شقاء.

Upload by : altawhedmag.com

ثم تأمل هذه الفتوى السماوية في قول الحق سبحانه: ﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (آل عمران ١٦٥)؛ قال الشنقيطي بعد ذكر ما حدث في غزوة أحد واستشكال بعض المسلمين ذلك: ففي هذه الفتوى السماوية بيانٌ واضحٌ؛ لأن سبب تسليط الكفار على المسلمين هو فشل المسلمين، وتنازعهم في الأمر، وعصيانهم أمره صلى الله عليه وسلم، وإرادة بعضهم الدنيا مقدمًا لها على أمر الرسول صلى الله عليه وسلم، ومن عرف أصل الداء عرف الدواء، كما لا يخفى. أضواء البيان (٣/ ٥٣).

٢- خطورة إرادة الدنيا وأثر ذلك على النصر!

وهذا من جنس ما سبق؛ لأن النصر توأم إرادة الآخرة، أو هو استدراج لعبد أراد الله إهلاكه، وقد بدا ذلك واضحًا جليًا في هذه الغزوة، وقد لا يكتشف المرء عيوب نفسه ولو كان صالحًا تقيًا، والقرآن الكريم يسلط الضوء على خفايا القلوب، التي ما كان المسلمون أنفسهم يعرفون وجودها في قلوبهم: فكان عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- يقول: فلو حلفت يومئذ -رجوت أن أبر-: إنه ليس أحدٌ منا يريد الدنيا، حتى أنزل الله عز وجل: «منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم» مسند أحمد (٤٤١٤)، وقال الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح. وبذلك يضع قلوبهم أمامهم مكشوفة بما فيها، ويعرفهم من أين جاءتهم الهزيمة ليتقوها (٧). اللؤلؤ المكنون (٢/ ٦١٧). قال ابن عباس: "وإنما عنى بهذا الرماة". المستدرك (٣١٦٣) وصححه الحاكم.

وهذا يستدعي من الدعاة التفتيش الدائم الدقيق في خبايا نفوسهم، واقتلاع حب الدنيا منها، حتى لا تحول بينهم، وبين أوامر الشرع، ولا توقعهم في مخالفته بتأويلات ملفوفة بهوى النفس، وتلفتها إلى الدنيا، ومتاعها. المستفاد من قصص القرآن (٢/ ٩٦).

٣- ويتخذ منكم شهداء، وأن الشهادة مطلب شرعي لمن أراد الله والدار والآخرة:

قال تعالى: «... وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء...»؛ وعن أبي الضحى قال: نزلت في قتلى أحد: «ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون»، ونزل فيهم: «ويتخذ منكم شهداء» وقتل منهم سبعون رجلا، أربعة من المهاجرين، وهم: حمزة بن عبد المطلب من بني هاشم، ومصعب بن عمير من بني عبد الدار، والشماس بن عثمان، من بني مخزوم، وعبد الله بن جحش، من بني أسد بن خزيمة، وسائرهم من الأنصار. سنن سعيد بن منصور (٢٨٩٤). وقال ابن تيمية: ومن الحكم أن يتخذ منكم شهداء. شرح العقيدة الأصفهانية (ص: ١٤٦).

٤- سنة الله في الصراع بين الحق والباطل، وأن الهزيمة لو وقعت مرة: فلا ينبغي لأهل الحق أن يقعدوا عن طلب النصر، وأن الأيام دول، وأن الله يؤدب عباده بما فيه صلاحهم وهو اللطيف الخبير.

قال تعالى: «ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الأيام نداولها بين الناس»؛ قال ابن القيم: فجمع لهم في هذا الخطاب بين تشجيعهم وتقوية نفوسهم وإحياء عزائمهم وهممهم، وبين حسن التسلية، وذكر الحكم الباهرة التي اقتضت إدالة الكفار عليهم فقال: «إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله» (آل عمران: ١٤٠)، فقد استويتم في القرح والألم، وتباينتم في الرجاء والثواب، كما قال: «إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون وكان الله عليما حكيما» (النساء: ١٠٤)؛ فما بالكم تهنون وتضعفون عند القرح والألم، فقد أصابهم ذلك في سبيل الشيطان، وأنتم أصبتم في سبيلي وابتغاء مرضاتي. (زاد المعاد ٣/ ١٩٩).

٥- تمحيص المؤمنين:

قال تعالى في ذكر هذه الحكم: «وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين».

Upload by : altawhedmag.com

المعنى الأول للتمحيص: التطهير والتنقية من الذنوب: قال ابن تيمية: ومن ذلك: أن يمحص الله الذين آمنوا: فيخلصهم من الذنوب: فإنهم إذا انتصروا دائما حصل للنفوس من الطغيان، وضعف الإيمان ما يوجب لها العقوبة، والهوان قال تعالى: «كلا إن الانسان ليطغى (٦) أن رآه استغنى» (القيامة: ٦- ٧)، ثم قال: وقد شهدنا أن العسكر إذا انكسر خشع لله، وذل، وتاب إلى الله من الذنوب، وطلب النصر من الله، وبرئ من حوله، وقوته متوكلا على الله... وشواهد هذا الأصل كثيرة، وهو أمر يجده الناس بقلوبهم، ويحسونه، ويعرفونه من أنفسهم، ومن غيرهم، وهو من المعارف الضرورية الحاصلة بالتجربة لمن جربها، والأخبار المتواترة لمن سمعها. شرح الأصفهانية (١٤٧).

المعنى الثاني: تنقية الصف من المنافقين الذين دخلوا فيه، وليسوا من أهله؛ فإنهم إذا كانوا دائما منصورين لم يظهر لهم وليهم، وعدوهم إذ الجميع يظهرون الموالاة فإذا غلبوا ظهر عدوهم قال تعالى: «وما أصابكم يوم التقى الجمعان فبإذن الله وليعلم المؤمنين (١٦٦) وليعلم الذين نافقوا وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم هم للكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم والله أعلم بما يكتمون» (آل عمران: ١٦٦- ١٦٧). شرح الأصفهانية (١٤٥).

٦- الأخذ بالأسباب: فقد ظاهر النبي صلى الله عليه وسلم بين درعين، ولبس لأمة الحرب، وكافح معه الصحابة، وقاتل عنه جبريل وميكائيل أشد القتال، رغم أن الله عصمه من القتل.

٧- التضحية من أجل الدين.

٨- العاقبة للمتقين.

٩- الابتلاء بذوي القربى.

١٠- «ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا».

١١- الأنبياء عباد لله تعالى: يعتريهم ويصيبهم ما يصيب البشر.

١٢- الاعتراف بالفضل لمن خدم هذا الدين، وأول ذلك الصحابة رضي الله عنهم.

١٣- حُبّ الصحابة للنبي صلى الله عليه وسلم.

١٤- تذكير المؤمنين بالسنن الكونية: قال تعالى: «قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين».

١٥- ضرب المثل بالمجاهدين السابقين: قال تعالى: «وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين...الآيات التي بعدها» (آل عمران: ١٤٦-١٤٨).

١٦- القيام بنصرة الدين على كل حال وفي أي ظرف.

قال تعالى: «وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين»؛ وفي الآية: أن الواجب على الأمة القيام على نصرة هذا الدين ولو مات النبي صلى الله عليه وسلم أو قتل: فقد أدى ما عليه من البلاغ، وليس من شرط الدفاع عن الدين أن يكون الرسول صلى الله عليه وسلم حيًا.

١٧- وما النصر إلا من عند الله: «إن ينصركم الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده وعلى الله فليتوكل المؤمنون» (آل عمران: ١٦٠).

ولكن هذا النصر له نواميس ثابتة عند الله عز وجل، نحن بحاجة إلى فقهها، قال تعالى: «يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم»، ونصر الله في الاستجابة له، والاستقامة على منهجه والجهاد في سبيله.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

Upload by : altawhedmag.com

منزلة الشهداء

إعداد: د. سيد عبد العال

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد: فقد انتهينا من الحديث عن غزوة أحد، وما فيها من الدروس، والعبر، وبقيت لنا وقفة مهمة مع أهل الشرف، والعزة والكرامة، مع شهداء أحد رضي الله عنهم؛ لنتذاكر معهم فضل الشهادة في سبيل الله تعالى.

فكم كان عدد شهداء المسلمين في أحد؟

لقد بلغ عددُ من استُشهد يوم أحد سبعين رجلًا، ستةٌ من المهاجرين، وهم حمزةُ بنُ عبد المطلب، ومُصعبُ بنُ عُمير، وعبدُ الله بنُ جحش، وشماس بنُ عثمان، وسعدُ بن خولي مولى حاطب بن أبي بلتعة، وعمرُو الأسلميُ، وأربعٌ وستون من الأنصار.

عنْ قتادةَ قال: ما نعلمُ حيًا من أحياءِ العرب أكثر شهيدًا أغرَّ يومَ القيامة من الأنصار.

قال قتادةُ: وحدثنا أنسُ بنُ مالك -رضي الله عنه- أنه قتل منهم يومَ أحد سبعون. البخاري (٤٠٧٨) والفتح (١٢٦/٨).

وعن البراء بن عازب -رضي الله عنه - قال: فأصابوا منا سبعين. البخاري (٣٩٨٦).

وعنْ أبيِ بن كعب -رضي الله عنه- قال: لما كان يومُ أحد قتل من الأنصار أربعةٌ وستون رجلًا، ومن المهاجرين ستةٌ. مسند أحمد (٢١٢٢٩).

وهذا يجرنا إلى الحديث في فضائل الشهداء ومنزلتهم عند الله تعالى فهيا بنا.

الفضيلة الأولى: أنهم أحياء عند ربهم يرزقون.

(وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ) [آل عمران: ١٦٩]

Upload by : altawhedmag.com

وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (آل عمران: ١٦٩-١٧١).

ففي هذه الآيات الكريمة فضيلة الشهداء وكرامتهم، وما منَّ الله عليهم به من فضله واحسانه، وفي ضمنها تسلية الأحياء عن قتلاهم، وتعزيتهم، وتنشيطهم للقتال في سبيل الله، والتعرض للشهادة... وسيأتي بيان ذلك في الأحاديث. (السعدي ص١٥٦).

ويُستفاد من الآيات عدم تسمية الشهيد ميتًا وعدم تسمية الشهادة تهلكة؛ ومثلها قوله تعالى: «وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ» (البقرة: من الآية ١٥٤)؛ فنهى المؤمنين أن يقولوا للشهيد: ميت. قال ابن تيمية: وخص الشهيد بذلك؛ لئلا ينكل الناس عن الجهاد؛ لفرار النفوس من الموت، فإذا كان هو سبحانه قد نهى عن تسميته ميتًا؛ لئلا يكون ذلك منفرًا عن الجهاد فكيف يُسمَّى الشهادة تهلكة واسم الهلاك أعظم تنفيرًا من اسم الموت؛ فمن قال قوله: «وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ» (البقرة: من الآية ١٩٥) يراد به الشهادة في سبيل الله؛ فقد افترى على الله بهتانًا عظيمًا!! (قاعدة في الانغماس في العدو: ص٦٦).

الثانية: تمني النبي صلى الله عليه وسلم الشهادة

قال البخاري رحمه الله: بَابُ مَا جَاءَ فِي التَّمَنِّي، وَمَنْ تَمَنَّى الشَّهَادَةَ. ثم روى عن الأعرج عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: "وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ وَدِدْتُ أَنِّي أُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَأُقْتَلُ، ثُمَّ أُحْيَا ثُمَّ أُقْتَلُ، ثُمَّ أُحْيَا ثُمَّ أُقْتَلُ". فَكَانَ أَبُو هُرَيْرَةَ يَقُولُهُنَّ ثَلاَثًا، أَشْهَدُ بِاللَّهِ. (البخاري ٧٢٢٧).

وعَنِ ابْنِ أَبِي عَمِيرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "لَأَنْ أُقْتَلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يَكُونَ لِي الْمَدَرُ وَالْوَبَرُ" (مسند أحمد ١٧٨٩٤، واسناده حسن. وقال الهيثمي: رجاله ثقات. مجمع الزوائد ٩٥٣٥).

الثالثة: الشهيد يبعث يوم القيامة وجرحه ينزف: اللون لون الدم والريح ريح المسك

قال البخاري رحمه: باب من يجرح في سبيل الله عز وجل؛ ثم روى عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لاَ يُكْلَمُ أَحَدٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، -وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَنْ يُكْلَمُ فِي سَبِيلِهِ- إِلاَّ جَاءَ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَاللَّوْنُ لَوْنُ

Upload by : altawhedmag.com

الدَّم، والرِّيحُ ريحُ المِسْك" (البخاري ٢٨٠٣).

وقال النسائي: "مُواراةُ الشَّهيد في دمه". ثم روى عنْ عبْد الله بْن ثَعْلبَة قال: قال رَسُولُ الله صلَّى الله عليْه وسلَّم لقتْلى أُحد: زمِّلوهُمْ بدمائهمْ فإنَّه ليْس كلْمٌ يُكْلمُ في الله إلَّا يأتي يوْم القيامة يدْمى، لوْنُه لوْنُ الدَّم وريحُه ريحُ المِسْك. (سنن النسائي ٢٠٠١).

وعنْ عبْد الرَّحْمن بْن كعْب بْن مالك، عنْ أبيه: أنَّ رسُول الله صلى الله عليه وسلم، قال يوْم أُحد: منْ رأى مقْتل حمْزة؟ فقال رجُلٌ أعْزلُ: أنا رأيْتُ مقْتلهُ، قال: فانْطلقْ فأرناهُ، فخرج حتَّى وقف على حمْزة، فرآهُ قدْ بُقر بطْنُه، وقدْ مُثِّل به، فقال: يا رسُول الله، مُثِّل به والله، فكره رسُولُ الله صلى الله عليه وسلم أنْ ينْظُر إليْه، ووقف بيْن ظهْراني القتْلى، فقال: أنا شهيدٌ على هؤُلاء القوْم، لفُّوهُمْ في دمائهمْ، فإنَّه ليْس جريحٌ يُجْرحُ إلَّا جُرْحُه يوْم القيامة يدْمى، لوْنُه لوْنُ الدَّم، وريحُه ريحُ المِسْك، قدِّموا أكْثر القوْم قُرْآنًا، فاجْعلوهُ في اللَّحْد. (مصنف ابن أبي شيبة (٣٧٨٠٢). وأصله في البخاري (١٣٥٣).

وعنْ أبي أُمامة، عن النَّبيِّ صلَّى الله عليْه وسلَّم قال: "ليْس شيْءٌ أحبَّ إلى الله منْ قطْرتيْن وأثريْن: قطْرةٌ منْ دُموع في خشْية الله، وقطْرة دم تُهراقُ في سبيل الله، وأمَّا الأثران: فأثرٌ في سبيل الله، وأثرٌ في فريضة منْ فرائض الله" سنن الترمذي (١٦٦٩) وقال: حسنٌ غريبٌ.

الرابعة: الشهيد في الفردوس الأعلى:

عن أنس رضي الله عنْه، يقُول: أُصيب حارثةُ يوْم بدْر وهُو غُلامٌ، فجاءتْ أُمُّه إلى النَّبيِّ صلى الله عليْه وسلَّم فقالتْ: يا رسُول الله، قدْ عرفْت منْزلة حارثة منِّي، فإنْ يكُنْ في الجنَّة أصْبرْ وأحْتسبْ، وإنْ تكُ الأُخْرى ترى ما أصْنعُ، فقال: "ويْحك، أوهبلْت، أوجنَّةٌ واحدةٌ هي، إنَّها جنانٌ كثيرةٌ، وإنَّه في جنَّة الفرْدوْس" البخاري (٣٩٨٢).

الخامسة: أرواح الشهداء:

عنْ مسْروق، قال: سألْنا عبْد الله عنْ هذه الآية: «ولا تحْسبنَّ الَّذين قُتلُوا في سبيل الله أمْواتًا بلْ أحْياءٌ عنْد ربِّهمْ يُرْزقُون» (آل عمران: ١٦٩)، قال: أمَا إنَّا قدْ سألْنا عنْ ذلك، فقال: "أرْواحُهمْ في جوْف طيْر خُضْر، لها قناديلُ مُعلَّقةٌ بالعرْش، تسْرحُ منْ الجنَّة حيْثُ شاءتْ، ثُمَّ تأْوي إلى تلْك القناديل، فاطَّلع إليْهمْ ربُّهُمْ اطِّلاعةً"، فقال: "هلْ تشْتهُون شيْئًا؟ قالُوا: أيَّ شيْءٍ نشْتهي ونحْنُ نسْرحُ منْ الجنَّة حيْثُ شئْنا، ففعل ذلك بهمْ ثلاث مرَّات، فلمَّا رأوْا أنَّهمْ لنْ يُتْركُوا منْ أنْ يُسْألُوا، قالُوا: يا ربِّ، نُريدُ أنْ تردَّ أرْواحنا في أجْسادنا حتَّى نُقْتل في سبيلك مرَّةً أُخْرى، فلمَّا رأى أنْ ليْس لهُمْ حاجةٌ تُركُوا" (مسلم ١٨٨٧).

قال البخاري: "باب تمني المجاهد أن يرجع إلى الدنيا". ثم روى عن أنس بْن مالك رضيَ الله عنْه، عن النَّبيِّ صلَّى الله عليْه وسلَّم قال: "ما أحدٌ يدْخُل الجنَّة يُحبُّ أنْ يرْجع إلى الدُّنيا، وله ما على الأرْض منْ شيْءٍ إلَّا الشَّهيد، يتمنَّى أنْ يرْجع إلى الدُّنيا، فيُقْتل عشْر مرَّات لما يرى منَ الكرامة". (صحيح البخاري ٢٨١٧).

وعن جابر بْن عبْد الله يقُول: لمَّا قُتل عبْدُ الله بْنُ عمْرو بْن حرام يوْم أُحد، لقيني رسُول الله -صلَّى الله عليْه وسلَّم-، فقال: "يا جابرُ ما لي أراك مُنْكسرًا؟" قال: يا رسُول الله، اسْتُشْهد أبي وتركَ عيالًا ودينًا، قال: "أفلا أبشِّرُك بما لقي الله به أباك؟" قال: بلى يا رسُول الله. قال: "ما كلَّم الله أحدًا قطُّ إلَّا منْ وراء حجاب، وأحيا أباك فكلَّمه كفاحًا، فقال: يا عبْدي، تمنَّ عليَّ أُعْطك. قال: يا ربِّ، تحْييني فأُقْتل فيك ثانية. فقال الرَّبُّ سُبْحانه: إنَّه سبق منِّي أنَّهمْ إليْها لا يرْجعُون. قال: يا ربِّ، فأبْلغُ منْ ورائي. قال: فأنْزل الله تعالى: «ولا تحْسبنَّ الَّذين قُتلُوا في سبيل الله أمْواتًا بلْ أحْياءٌ عنْد ربِّهمْ يُرْزقُون» (آل عمران: ١٦٩). رواه الترمذي (٣٠١٠)، وابن ماجه (١٩٠) وقال الترمذي: حسن غريب من هذا الوجه. وقال المنذري: إسناده حسن. وهو كما قال. وقال الألباني: حسن صحيح. صحيح الترغيب والترهيب (١٣٦١).

Upload by : altawhedmag.com

السادسة: خصال عظيمة لا تجتمع إلا في الشهيد

قال الترمذي رحمه الله: باب في ثواب الشهيد، ثم روى عن المقدام بن معدي كرب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: للشهيد عند الله ستُّ خصال: يُغفرُ له في أوّل دفعة، ويرى مقعدهُ من الجنَّة، ويُجارُ من عذاب القبر، ويأمنُ من الفزع الأكبر، ويُوضعُ على رأسه تاجُ الوقار، الياقوتةُ منها خيرٌ من الدُّنيا وما فيها، ويُزوَّجُ اثنتين وسبعين زوجةً من الحور العين، ويُشفَّعُ في سبعين من أقاربه. رواه الترمذي (١٦٦٣) وقال: صحيح غريب.

وقوله "ست خصال" أي: لا يوجد مجموعها لأحد غيره، وينبغي أن يحمل قوله "ويرى مقعده" على أنه عطف تفسير لقوله يغفر له لئلا تزيد الخصال على ست. (تحفة الأحوذي ٥/ ٢٤٧)، ورواه ابن أبي عاصم في الجهاد (٢٠٤) ولفظه "إنَّ للشهيد عندَ اللهِ سبعَ خصالٍ ...". وساق الحديث كما سبق.

السابعة: حرص الشهداء على ثبات من يعدهم على الجهاد وطلب الشهادة

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "لمَّا أُصيبَ إخوانُكُمْ بأُحُد، جعَلَ اللهُ أرْواحَهُمْ في أجْوافِ طيْرٍ خُضْرٍ، ترِدُ أنْهارَ الجنَّة، وتأكُلُ من ثمارِها، وتأوي إلى قَناديلَ من ذهبٍ في ظلِّ العرْشِ، فلمَّا وجَدوا طيبَ مأكلِهِمْ ومشْربِهِمْ وحُسْنَ مقيلِهِمْ، قالوا: يا ليْتَ إخْوانَنا يعْلَمون ما صنَعَ اللهُ لنا؛ لئلَّا يزْهَدُوا في الجهادِ، ولا ينْكُلوا عن الحرْبِ، فقالَ اللهُ: أنا أبْلغُهُمْ عنْكُمْ، فأنْزلَ اللهُ على رسُولِه هذه الآياتِ: ﴿ولا تحْسبنَّ الذينَ قُتلوا في سبيلِ اللهِ أمْواتًا﴾ (آل عمران: ١٦٩). رواه أبو داود (٢٥٢٠) وإسناده صحيح. وصححه الحاكم: ووافقه الذهبي في المستدرك (٢٤٤٤).

الثامنة: عن ابن عباس رضي الله عنهما "الشُّهَداءُ عَلى بارِقٍ؛ نَهْرِ بِبابِ الْجَنَّةِ، في قُبَّةٍ خَضْراءَ، يَخْرُجُ عَلَيْهِمْ رِزْقُهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ بُكْرَةً وَعَشِيَّةً". مسند أحمد (٢٣٩٠)، وإسناده صحيح.

قال البيهقي رحمه الله في الجمع بين وبين الحديث السابق: فكأنه في قوم منهم، والحديث الأوّل في آخرين، ولأهل الجنّة منازل، ودرجات، وكذلك أهل النار أحوالهم فيما يُعذَّبون به مُختلفاتٌ، وعلى ذلك يُحمل ما رُوِّينا في أنواع الثواب والعقاب، فيُصنَع بقوم هكذا وبقوم كذلك لا أنَّ شيئًا من هذه الأخبار يُخالفُ صاحبها خلاف تناقض ولكنَّ أحوالهم تختلفُ في أنواع ما يُجزَوْن به من الثواب والعقاب. إثبات عذاب القبر (٦٨).

التاسعة: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "ما يَجِدُ الشَّهيدُ مِنَ الْقَتْلِ إلَّا كَما يَجِدُ أحَدُكُمْ مِنْ مَسِّ الْقَرْصَةِ" سنن الترمذي (١٦٦٨) وقال: حسن صحيح غريب.

العاشرة: عَنْ نُعَيْمِ بْنِ هَمَّارٍ، أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيُّ الشُّهَدَاءِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: "الَّذِينَ إِنْ يُلْقَوْا فِي الصَّفِّ لَا يَلْفِتُونَ وُجُوهَهُمْ حَتَّى يُقْتَلُوا، أُولَئِكَ يَتَلَبَّطُونَ -أي يتمرَّغون ويضطجعون- فِي الْغُرَفِ الْعُلَى مِنَ الْجَنَّةِ، وَيَضْحَكُ إِلَيْهِمْ رَبُّكَ، وَإِذَا ضَحِكَ رَبُّكَ إِلَى عَبْدٍ فِي الدُّنْيَا فَلَا حِسَابَ عَلَيْهِ" (مسند أحمد (٢٢٤٧٦). وقال الهيثمي: رجاله ثقات. مجمع الزوائد (٩٥١٣)، وقال الألباني: حسن صحيح. صحيح الترغيب (١٣٧٢).

ولهم فضائل أخرى، ونكتفي بما ذكر، والحمد لله رب العالمين.

Upload by : altawhedmag.com

غزوة حمراء الأسد

إعداد: د. سيد عبد العال

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين.

أما بعد: فنحن على موعد مع يوم من أيام النبي صلى الله عليه وسلم: وهو يوم "غزوة حمراء الأسد".

أولاً: ذكر الحديث ملخصاً:

كانت يوم الأحد بعد أحد بيوم واحد فقط: لستّ عشر ليلة مضت من شوال.

وقد سبق أن ذكرنا ما أصاب المسلمين في غزوة أحد، وأنه قد استشهد منهم سبعون، وأصيب منهم الكثير حتى بلغت الإصابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعد هذا كله قام المشركون بالانصراف من أرض المعركة، ولم يتوجهوا نحو المدينة، وفي الوقت نفسه لم يقوموا بمحاولة أخرى للإجهاز على المسلمين، وقد نزل في شهداء أحد قوله تعالى: «وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ».

وكذلك نزلت آيات القرآن الكريم لتمسح جراحات المسلمين، وتزيل عنهم آثار أحد: ومنها قوله: «وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ».

وقد تزامن مع هذا الحدث الجلل أن كان المسلمون يواجهون في المدينة اليهود الشامتين والمنافقين المرجفين... ويواجهون في أطراف المدينة الأعراب المشركين الذين كانوا يتطلعون بشراهة إلى ثمار المدينة وخيراتها.

وكان ثمة احتمال أن تندم قريش: فتعود لمهاجمة المدينة: فكان لا بد من التحرك السريع لاستعادة موقع المسلمين، والاحتفاظ بمكانتهم، ومن هنا أمر الرسول صلى الله عليه وسلم الجيش الذي شهد "أحدًا" أن يخرج لمطاردة جيش قريش إلى حمراء الأسد؛ رغم إصابة الكثيرين منهم بالجراح، ولم يأذن لسواهم بالاشتراك في حملة المطاردة هذه.

Upload by : altawhedmag.com

وقد سارع سبعون من الصحابة للاشتراك، ثم بقية الجيش فصار عددهم ستمائة وثلاثين. (السيرة النبوية للعمري: ٢/ ٣٩٦).

ثانيا: الدروس والعبر:

الأولى: خروج الرسول صلى الله عليه وسلم، وتوزيع المهام وسنة الاستخلاف.

حَمَلَ لواءَ المُسلمينَ عليُّ بنُ أبي طالب-رضي الله عنه-. واستَعْمَلَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم على المدينة ابْنَ أُمِّ مَكْتُوم، وخَرَجَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم، وهُوَ مجْرُوحٌ في وجْهه، ومَشْجُوجٌ في جبْهَته، وقدْ كُسرَتْ رباعيتُهُ، وهُوَ مُتوهِّنٌ منكبُهُ الأيمنُ منْ ضَرْبة ابْن قَمِئة، وركْبتاهُ مجْحُوشتان، وخرج معهُ جميعُ منْ حضَر القتال بأحُد على ما بهمْ من الجراح والقرْح. (الطبقات الكبرى ٢/ ٢٧٤). ومَضى رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم ودَليلُهُ في السَّير ثابتُ بنُ الضَّحَّاك الخَزْرجيُّ، حتَّى عسْكَرَ بحمْرَاء الأسد، الأغصان الندية وهي على بعد ثمانية أميال-حوالي عشرين كيلو- جنوب المدينة المنورة. ففر المشركون وأقامَ المُسلمُونَ بذلكَ المكَان ثلاثَ ليَال: الاثنين، والثلاثاء، والأربعاء، ثم رجع إلى المدينة. (جوامع السيرة: ص١٧٥).

الثانية: سبب الغزوة:

هو مَا بَلَغَ الرَّسُولَ صلى الله عليه وسلم عَنْ أبي سُفْيَانَ: أَنَّهُ يُرِيدُ الرُّجُوعَ إِلَى المَدِينَةِ؛ لِيَسْتَأْصِلُوا مَنْ بَقِيَ مِنْ أَصْحَابِ الرَّسُولِ صلى الله عليه وسلم: عن ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: لَمَّا انْصَرَفَ المُشْرِكُونَ عَنْ أُحُدٍ، وَبَلَغُوا الرَّوْحَاءَ- هو موضعٌ بينه وبين المدينة ستّة وثلاثين ميلًا- قَالُوا: لَا مُحَمَّدًا قَتَلْتُمُوهُ، وَلَا الكَوَاعِبَ -أي: الفتيات البالغات- أَرْدَفْتُمْ، وبِئْسَ مَا صَنَعْتُمْ ارْجِعُوا، فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَنَدَبَ النَّاسَ، فَانْتَدَبُوا حَتَّى بَلَغُوا حَمْرَاءَ الأَسَدِ، وبِئْرَ أَبِي عِنَبَةَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ﴾ (آل عمران: ١٧٢)... فَلَمْ يَجِدُوا بِهِ أَحَدًا وتَسَوَّقُوا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ﴾ (آل عمران: ١٧٤). أخرجه النسائي في السنن الكبرى (١١٠١٧)، وصحح إسناده الحافظ في الفتح (٩/ ٩٦).

الثالثة: في شجاعة النبي صلى الله عليه وصبره:

تأملوا يا عباد: شجاعة النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة، وصبرهم، وشدتهم في دين الله تعالى، وتأمل كيف يخرجون يتتبعون العدو رغم ما هم فيه من الجراح، وهذا التتبع فعل المنتصر لا فعل المنهزم، وشتان بين الهزيمة على الأرض، والهزيمة في القلب، والنفس: فالمسلم الحق، وإن أصابه القتل في أهله، والجراح والأسر في نفسه، وإن انهزم على الأرض في بعض المواقع لا ينهزم قلبُه، ولا تلين نفسُه، وهذا حال النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة.

فتلحظ عند التأمل: أنهم انتصروا أول الأمر في غزوة أحد: فكان نصرًا لكلمة الله ولمن عمل بها فلما وقعت المخالفة: كان النصر لكلمة الله: وتأديبًا لمن خالفها من المؤمنين بها: أدبا يحفظ ليوم القيامة: فسلط عليهم عدوهم ساعة من النهار: فلما حفظوا الدرس: فرّ العدو محتفظا بما أحرزه من النصر: فخرج المسلمون في حملة المطاردة: لحمراء الأسد، وهذا يعني أن حملة المشركين على المدينة لم تنجح، ولكنَّ أن الله اصطفى جماعة شهداء، وأدب الآخرين، وعلم الأمة ليوم الدين: وهذا يبين: أن الخاتمة نصرٌ للمؤمنين: فالهزيمة بين نصرين: ثم الهزيمة نفسها نصر للشرع، ولكلمة الله-تعالى- وهذا هو التاج الأعظم والدرس الأظهر في الغزوة.

الرابعة: الفقه العسكري:

حيث إن النبي صلى الله عليه وسلم يدفع ميدان الحرب بعيدا عن المدينة كما فعل أول مرة في بداية الحرب، ويسابق بمن معه العدوَّ إلى الميدان، ولا ينتظرون هجومه عليهم، وبهذا أثني الله عليهم وهي الفائدة...

Upload by : altawhedmag.com

الخامسة: ثناء الله عليهم:

واعتبار خروجهم هذا من الشرف الذي يذكر للأجيال بعد ذلك وتسلية الرَّسول والمؤمنين به وتثبيتهم وتغزيتهم لما أصابهم من المكذبين يوم أحد وغيره: قال الله تعالى: « الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ » (آل عمران: ١٧٢-١٧٤).

السادسة: التربية بالقصة والتماس القدوة في حال السابقين، والثناء عليهم بالجميل من مواقفهم أمام الأجيال اللاحقة:

ومن ذلك أن عائشة رضي الله عنا تأثر هذا الشرف الشريف لابن أختها!: فعن عروة عن عائشة رضي الله عنها، في قوله: «الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ»، أنها قالت لعُرْوَة: يا ابْنَ أُخْتِي، كَانَ أَبَوَاكَ مِنْهُمْ: -الزُّبَيْرُ، وَأَبُو بَكْرٍ- لَمَّا أَصَابَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا أَصَابَ يَوْمَ أُحُدٍ، وَانْصَرَفَ عَنْهُ الْمُشْرِكُونَ، خَافَ أَنْ يَرْجِعُوا، قَالَ: "مَنْ يَذْهَبُ فِي إِثْرِهِمْ" فَانْتَدَبَ مِنْهُمْ سَبْعُونَ رَجُلًا، قَالَ: كَانَ فِيهِمْ أَبُو بَكْرٍ، وَالزُّبَيْرُ. (صحيح البخاري ٤٠٧٧).

تأمل قولها (كان أبواك منهم) منقبة تروى عبر الأجيال، وتربية والتماس للقدوة والأسوة بين المواقف والأحداث، وكأني بها تقول لعروة وللأمة في شخص عروة كونوا مثل أبويكم أبو بكر والزبير! ولعل مثلها يروى، ويقال فيمن يقوم اليوم في وجه الصهاينة - اليوم- رغم ما أصابه من القرح! وقد رأيناهم رأي عين! ولعل الله يبقي من نسلهم من يقول لأبنائه - يا بني كان أبواك منهم- فاللهم نصرك الذي وعدت به عبادك المؤمنين!.

وهذا نموذج يحتذى ويفخر به من يتصل بهؤلاء ويتأسى بهم في الصبر والثبات والطاعة

لله عز وجل: عَنْ رجل مِنْ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ قَالَ: شَهِدْتُ أُحُدًا أَنَا وَأَخٌ لِي، فَرَجَعْنَا جَرِيحَيْنِ، فَلَمَّا أَذَّنَ مُؤَذِّنُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْخُرُوجِ فِي طَلَبِ الْعَدُوِّ قُلْتُ لِأَخِي وَقَالَ لِي: أَتَفُوتُنَا غَزْوَةٌ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟! وَاللَّهِ مَالَنَا مِنْ دَابَّةٍ نَرْكَبُهَا وَمَا مِنَّا إِلَّا جَرِيحٌ ثَقِيلٌ؛ فَخَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكُنْتُ أَيْسَرَ جُرْحًا مِنْهُ، فَكَانَ إِذَا غُلِبَ حَمَلْتُهُ عُقْبَةً وَمَشَى عُقْبَةً، حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَى مَا انْتَهَى إِلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ. (السيرة النبوية لابن كثير ٣/ ٩٨).

فيا لها من كلمة يطوف الفكر حولها أسبوعا إلى ما شاء الله-عجبا واعجابا- كلما قرأها: " أَتَفُوتُنَا غَزْوَةٌ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟!".

السابعة: في عظمة التوكل وفضيلة قول "حسبنا الله ونعم الوكيل":

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ، "قَالَهَا إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ حِينَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَقَالَهَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ قَالُوا: «إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ» (آل عمران: ١٧٣)" صحيح البخاري (٤٥٦٣).

والمعنى: أنهم قالوا معبّرين عن صادق إيمانهم بالله: الله يكفينا ما يهمنا من أمر الذين جمعوا الجموع لنا، فهو لا يعجزه أن ينصرنا على قلّتنا وكثرتهم وقد كان الأمر كما اعتقدوا، فألقى الله الرعب في قلب أبي سفيان وجيشه على كثرة عددهم وتوافر عددهم، فولّوا مدبرين، وكان في ذلك عزة لله ولرسوله وللمؤمنين. المراغي (٤/ ١٣٥).

وعن ابن عباس، أنها " آخر كلمة قالها إبراهيم" (البخاري: ٤٥٦٤).

وعن ابن عمرو، قال: أنها "أول كلمة" ابن أبي شيبة (٣٥٨٢٧)؛ فكأنه لم يقل غيرها فهي الأولى

Upload by : altawhedmag.com

والأخيرة. وهكذا يكون التوكل حقًا.

الثامنة: التوكل مقرون بالأخذ بالأسباب:

قال ابن القيم: وكذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأصحابه، يوم أحد، لما قيل لهم بعد انصرافهم من أحد: «إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ» (آل عمران: ١٧٣)؛ فتجهزوا وخرجوا للقاء عدوهم، وأعطوهم الكيس من نفوسهم، ثم قالوا: «حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ» (آل عمران: ١٧٣)؛ فأثرت الكلمة أثرها، واقتضت موجبها، ولهذا قال تعالى: «وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ» (الطلاق: ٢- ٣). «ومن يتوكل على الله فهو حسبه»: فجعل التوكل بعد التقوى الذي هو قيام الأسباب المأمور بها، فحينئذ إن توكل على الله، فهو حسبه، وكما قال في موضع آخر: «وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ» (المائدة: ١١)؛ فالتوكل والحسب بدون قيام الأسباب المأمور بها عجز محض، فإن كان مشوبًا بنوع من التوكل، فهو توكل عجز، فلا ينبغي للعبد أن يجعل توكله عجزًا، ولا يجعل عجزه توكلًا، بل يجعل توكله من جملة الأسباب المأمور بها التي لا يتم المقصود إلا بها كلها... زاد المعاد (٢/ ٣٣٠).

التاسعة: تخويف الأعداء وإرهابهم في الحرب، وعدم إظهار الضعف والجراح:

وقال ابن إسحاق: وإنما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مرهبًا للعدو؛ ليبلغهم أنه خرج في طلبهم، ليظنوا به قوة، وأن الذي أصابهم لم يوهنهم عن عدوهم.

وقال ابن حزم: فخرج المسلمون على ما بهم من الجهد والجراح، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم، مرهبًا للعدو ومتجلدًا. (جوامع السيرة: ص١٧٥).

العاشرة: موقف عظيم لجابر رضي الله عنه:

عن جابر رضي الله عنه قال: يا رسول الله صلى الله عليه وسلم إن أبي كان خلفني على أخوات لي سبع، أو قال تسع، وقال: يا بني! إنه لا ينبغي لي ولا لك أن نترك هؤلاء النسوة لا رجل فيهن، ولست بالذي أوثرك بالجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على نفسي، فتخلف على أخواتك، فتخلفت عليهن، ولا أحب أن تتوجه وجهًا إلا كنت معك، فأذن لي أخرج معك، فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلم يخرج معه أحد لم يشهد القتال يوم أحد غيره. (تفسير الطبري: ٨٢٣٣).

الحادية عشرة: رجوع أبي سفيان بجيشه إلى مكة:

ومر معبد بن أبي معبد الخزاعي على النبي صلى الله عليه وسلم، وأصحابه ثم أتى أبا سفيان، والمشركين؛ فأخبرهم أن النبي صلى الله عليه وسلم، وأصحابه قد خرجوا في طلبهم؛ ففت ذلك في أعضاد قريش، وكانوا أرادوا الرجوع إلى المدينة؛ فثناه ذلك، واستمروا راجعين إلى مكة محتفظين بما أحرزوه من النصر. (الفصول في السيرة: ص١٥٢، وانظر تفصيل الخبر في السيرة النبوية لابن كثير ٣/ ١٠٣).

وبهذا نرى أنه لا شك أن غزوة حمراء الأسد حققت الأهداف المرسومة بإظهار قدرة المسلمين على التصدي لخصومهم من الأعراب وقريش رغم ما أصابهم في أحد، فإنهم إذا كانوا قادرين على التحرك العسكري خارج المدينة؛ فهم أقدر على مواجهة اليهود والمنافقين داخلها.

وهذا يبين لنا الفرق بين من توكل على الله وبين غيره؛ أما الأول؛ فإن قلبه لا ينهزم ولا يتراجع؛ فاللهم يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك.

والحمد لله رب العالمين.

Upload by : altawhedmag.com

زواج النبي ﷺ من زينب بنت جحش رضي الله عنها

إعداد: د. سيد عبد العال

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق وخاتم الأنبياء والمرسلين؛ سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد: فمع يوم من أيام النبي صلى الله عليه وسلم، وهو يوم فرح وسعادة وامتحان في نفس الوقت؛ حيث زواج النبي صلى الله عليه وسلم من زوجة سابقة لمن كان يدعى ابنًا للنبي صلى الله عليه وسلم، وذلك بالتبني قبل أن يحرمه الله تعالى؛ لأن أبناء النبي صلى الله عليه وسلم ماتوا صغارًا أجمعين.

وكانت العرب تعتبر أبناء التبني أبناءَ بمثابة ولد الصلب! فأراد الله أن يبطل التبني، ويبطل حرمة زوجة الابن على جهة التبني؛ فحرَّم وأبطل كل آثاره، وذلك بقوله تعالى: «وما جعل أدعياءكم أبناءكم ذلكم قولكم بأفواهكم والله يقول الحق وهو يهدي السبيل»، وقوله تعالى: «ادعوهم لآبائهم»، ولكن ذلك كان درسًا شديدًا؛ لأن التطبيق العملي كان في شخصية رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفيمن تبناه، وفي ابنة عمة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؛ لأن زواج النبي صلى الله عليه وسلم منها أقوى وسيلة للقضاء على فكرة التبني الشائعة لدى العرب، وهو بلا شك كان شاقا عليه؛ لأنه كان تحطيمًا للعادة المألوفة عند العرب وهي حرمة ذلك عندهم، ولذلك كان هذا الزواج

Upload by : altawhedmag.com

محنة وابتلاء للنبي صلى الله عليه وسلم.

وقد اختلف أهل التاريخ والسير في تاريخ زواج النبي صلى الله عليه وسلم من زينب- رضي الله عنها فقيل: إنه كان في العام الثالث من الهجرة، وهو قول خليفة بن خياط، وأبي عبيدة معمر بن المثنى، وابن منده، وهو ما نختاره، وقيل: سنة أربع وصححه ابن جماعة ومغلطاي، والمقريزي، وقيل: سنة خمس، ورجحه ابن كثير، وابن الجوزي. المختصر الكبير (٩٨)، والفصول (٢٤٦)، والأغصان الندية (٢٥٢)، وامتاع الأسماع (٢٠٢/١)، وتاريخ مدينة دمشق (٣/ ٢١٣)، والمنتظم (٣/ ٢٢٥).

قال الذهبي: وقيل: إن النبي صلى الله عليه وسلم تزوج بزينب في ذي القعدة، سنة خمس، وهي يومئذ بنت خمس وعشرين سنة، وكانت صالحة، صوامة، قوامة، بارة، ويقال لها: أم المساكين.

سير أعلام النبلاء (٢/ ٢١٧).

تنبيه: ممن أطلق عليها أم المساكين: زينب بنت خزيمة، وزينب بنت جحش، والعالية بنت ظبيان. (الإصابة لابن حجر).

وأيًا ما كان التاريخ فقد حدث الزواج وحدث معه من التشريعات ما ينبغي الوقوف عنده.

قال ابن القيم رحمه الله: ثم تزوج زينب بنت جحش من بني أسد بن خزيمة، وهي ابنة عمته أميمة، وفيها نزل قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا﴾ (الأحزاب: ٣٧)، وبذلك كانت تفتخر على نساء النبي صلى الله عليه وسلم وتقول: زوجكن أهاليكن وزوجني الله من فوق سبع سماوات. زاد المعاد (١/ ١٠٥).

وفي هذا الخبر فوائد:

الأولى: التعريف بزينب رضي الله عنها.

زينب بنت جحش بن رياب أم المؤمنين، وابنة عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم. أمها: أميمة بنت عبد المطلب بن هاشم. وهي أخت: حمنة.

من المهاجرات الأول. كانت عند زيد مولى النبي صلى الله عليه وسلم. وهي التي يقول الله فيها: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا﴾ (الأحزاب: ٣٧٠)؛ فزوجها الله -تعالى- بنبيه بنص كتابه، بلا ولي ولا شاهد، فكانت تفخر بذلك على أمهات المؤمنين، وتقول: زوجكن أهاليكن، وزوجني الله من فوق عرشه...

وفي رواية البخاري: كانت تقول: "إن الله أنكحني في السماء".

وكانت من سادة النساء دينا، وورعا، وجودا، ومعروفا -رضي الله عنها-.

وحديثها في الكتب الستة، ولها أحد عشر حديثا، اتفقا لها على حديثين (سير أعلام النبلاء (٢/ ٢١١)، وتهذيب الكمال (١٤/ ٢٩٢)، ومعرفة الصحابة لأبي نعيم (٢٢/ ٢٩٨).

ثانيا: ذكر شيء من فضائلها:

١- زوجها الله نبيه صلى الله عليه وسلم من فوق سبع سموات، وهي التي يقول الله فيها: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا﴾ (الأحزاب: ٣٧)؛ فزوجها الله تعالى بنبيه

Upload by : altawhedmag.com

صلى الله عليه وسلم بنص كتابه، بلا ولي ولا شاهد.

عن أنس، قال: جاء زيد بن حارثة يشكو، فجعل النبيُّ صلى الله عليه وسلم يقول: "اتق الله، وأمسك عليك زوجك"، قال أنس: لو كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كاتمًا شيئًا لكتم هذه، قال: فكانت زينب تفخر على أزواج النبيِّ صلى الله عليه وسلم تقول: زوجكن أهاليكن، وزوجني الله تعالى من فوق سبع سموات، وعن ثابت: ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ﴾ (الأحزاب: ٣٧)، "نزلت في شأن زينب وزيد بن حارثة" صحيح البخاري (٧٤٢٠).

٢ - كرمها وجودها؛ عن عائشة-رضي الله عنها-: قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أسرعكن لحاقا بي أطولكن يدا"؛ قالت: فكن يتطاولن أيتهن أطول يدا، قالت فكانت أطولنا يدا زينب لأنها كانت تعمل بيدها وتصدق. مسلم (٢٤٥٢).

فقوله: "أطولكن يدا" أي: أكثركن عطاءً، فلان طويل اليد والباع إذا كان كريمًا. فكن يتطاولن أي: يتقايسن أيتهن أطول يدًا. مطالع الأنوار (٣/ ٢٨٣).

وفي رواية: قال: عائشة رضي الله عنها: "وكانت زينب امرأة صناعة اليد فكانت تدبغ وتخرز وتصدق في سبيل الله عز وجل" المستدرك (٦٩٦٠) وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي.

ومعنى الحديث: أنهن ظنن أن المراد بطول اليد طول اليد الحقيقية وهي الجارحة فكن يذرعن أيديهن بقصبة فكانت سودة أطولهن جارحة وكانت زينب أطولهن يدا في الصدقة وفعل الخير فماتت زينب أولهن فعلموا أن المراد طول اليد في الصدقة والجود. شرح النووي على مسلم (١٦/ ٨).

٣- ثناء عائشة رضي الله عنها ووصفها بصفات مكارم الأخلاق.

عن عائشة رضي الله عنها قال: "وهي التي كانت تساميني منهن في المنزلة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم أر امرأة قط خيرًا في الدين من زينب. وأتقى لله وأصدق حديثًا، وأوصل للرحم، وأعظم صدقة، وأشد ابتذالا لنفسها في العمل الذي تصدق به، وتقرب به إلى الله تعالى، ما عدا سورة من حدة كانت فيها، تسرع منها الفيئة" مسلم (٢٤٤٢).

٤- شرب النبي صلى الله عليه وسلم العسل عندها عن عائشة رضي الله عنها: "أن النبيَّ صلى الله عليه وسلم كان يمكث عند زينب بنت جحش، ويشرب عندها عسلا..." البخاري (٥٢٦٧).

٥- عصمها الله بالورع، وذلك في موقف قل أن تقفه امرأة تجاه ضرتها حينما سئلت عن عائشة رضي الله عنها في محنة الإفك" قالت عائشة: وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل زينب بنت جحش عن أمري، فقال لزينب: "ماذا علمت، أو رأيت". فقالت: يا رسول الله أحمي سمعي وبصري، والله ما علمت إلا خيرًا، قالت عائشة: وهي التي كانت تساميني من أزواج النبيِّ صلى الله عليه وسلم فعصمها الله بالورع" البخاري (٤١٤١).

٦- تعظيمها لأمر الله ورسوله كما في قصة

Upload by : altawhedmag.com

زواجها من زيد بن حارثة، وفيها نزل قوله تعالى

«وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا» (الأحزاب: ٣٦)،

وعن قتادة، قوله: «وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ» (الأحزاب: ٣٦) قال: " نزلت هذه الآية في زينب بنت جحش، وكانت بنت عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فخطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم فرضيت، ورأت أنه يخطبها على نفسه؛ فلما علمت أنه يخطبها على زيد بن حارثة أبت وأنكرت، فأنزل الله: «وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ» (الأحزاب: ٣٦) " قال: فتابعته بعد ذلك ورضيت " جامع البيان (١٩/ ١١٣).

٧- نزول الحجاب ليلة الدخول بها. وسيأتي شرحه.

٨- شدة امتثالها لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فعن زينب بنت أبي سلمة أخبرته، قالت: دخلت على أم حبيبة زوج النبي صلى الله عليه وسلم، فقالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر، تحد على ميت فوق ثلاث إلا على زوج أربعة أشهر وعشرا ثم دخلت على زينب بنت جحش حين توفي أخوها، فدعت بطيب، فمست به، ثم قالت: ما لي بالطيب من حاجة، غير أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر يقول: "لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر، تحد على ميت فوق ثلاث، إلا على زوج أربعة أشهر وعشرا" البخاري (١٢٨١).

٩- متابعتها للنبي صلى الله عليه وسلم ومنافستها لغيرها في الخيرات.

١٠- عن عائشة رضي الله عنها، قالت: كان النبي صلى الله عليه وسلم، يعتكف في العشر الأواخر من رمضان، فكنت أضرب له خباء فيصلي الصبح ثم يدخله، فاستأذنت حفصة عائشة أن تضرب خباء، فأذنت لها، فضربت خباء، فلما رأته زينب ابنة جحش ضربت خباء آخر، فلما أصبح النبي صلى الله عليه وسلم رأى الأخبية، فقال: "ما هذا؟" فأخبر، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: " آلبر ترون بهن" فترك الاعتكاف ذلك الشهر، ثم اعتكف عشرا من شوال. صحيح البخاري (٢٠٣٣).

١٠- خوفها وحرصها على التعلم:

عن أم حبيبة بنت أبي سفيان، عن زينب بنت جحش، رضي الله عنهن أن النبي صلى الله عليه وسلم، دخل عليها فزعا يقول: "لا إله إلا الله، ويل للعرب من شر قد اقترب، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه" وحلق بإصبعه الإبهام والتي تليها، قالت زينب بنت جحش فقلت يا رسول الله: أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: "نعم إذا كثر الخبث" البخاري (٣٣٤٦).

وفاتها: توفيت في سنة عشرين، وصلى عليها عمر-رضي الله عنه-.

وفي هذا الزواج دروس وعبر ومسائل تمس المعتقد نذكر ما تيسر منها في العدد القادم بإذن الله.

والحمد لله رب العالمين.

Upload by : altawhedmag.com

الحلقة 1

رد شبهة اللئيم عن النبي الكريم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد: فقد ذكرنا في العدد السابق زواج النبي صلى الله عليه وسلم بأم المؤمنين زينب بنت جحش رضي الله عنها. وذكرنا أن في هذا الخبر وقفات لا بد منها. سبق منها في العدد السابق اثنتان، الأولى: التعريف بزينب رضي الله عنها، الثانية: مناقبها وفضائلها.

إعداد: د. سيد عبد العال

الثالثة: رد شبهة عن النبي صلى الله عليه وسلم:

وذلك أنهم زعموا: أنه صلى الله عليه وسلم رآها متكشفة؛ فأعجب بها وأحبها، وهي تحت زيد، وكتم ذلك، ولم يصرّح به، ثم تزوجها بعد أن كانت زوجة ابنه، وفوق ذلك أقره الله على ما فعل، بل عاتبه لم يُخفي هذا والله سيُبديه!

وقد تلقف أعداء الإسلام هذا الكلام يطعنون به في عصمة النبي صلى الله عليه وسلم؛ فتارة يقولون: كيف رآها؛ وتارة يقولون: كيف تزوجها وهي زوجة ابنه، ولما كانت عصمة النبي صلى الله عليه وسلم من صميم العقيدة وجب علينا: أن نجلي الأمر في الرد على هذه الشبهة.

وأول ذلك بيان بطلان الروايات التي تثبت ذلك البهتان، ويكون في ثلاثة محاور

الأول: سرد أشهر الروايات وبيان بطلانها وعدم ثبوتها.

الرواية الأولى: عن محمد بن يحيى بن حبان، قال: جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت زيد بن حارثة يطلبه، وكان زيد إنما يقال له: زيد بن محمد، فربما فقده رسول الله صلى الله عليه وسلم الساعة فيقول: "أين زيد؟" فجاء منزله يطلبه، فلم يجده، وتقوم إليه زينب بنت جحش زوجته فُضُلًا -أي: وهي لابسة ثياب البيت-، فأعرض رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها، فقالت: ليس هو هاهنا يا رسول الله فادخل بأبي أنت وأمي،

Upload by : altawhedmag.com

فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدخل، وإنما عجلت أن تلبس لما قيل لها: رسول الله صلى الله عليه وسلم على الباب فوثبت عجلى، فأعجبت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فولى وهو يهمهم بشيء لا يكاد يُفهَم منه إلا: سبحان مصرّف القلوب.

فجاء زيد إلى منزله، فأخبرته امرأته أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى منزله، فقال زيد: ألا قلت له أن يدخل؟ قالت: قد عرضت ذلك عليه فأبى، قال: فسمعت شيئًا؟ قالت: سمعته يقول حين ولّى تكلم بكلام لا أفهمه، وسمعته يقول: "سبحان الله العظيم، سبحان مصرف القلوب"، فجاء زيد حتى أتى رسول الله، صلى الله عليه وسلم؛ فقال: يا رسول الله بلغني أنك جئت منزلي فهلّا دخلت بأبي وأمي يا رسول الله، لعل زينب أعجبتك فأفارقها؟ فيقول رسول الله: "أمسك عليك زوجك"، فما استطاع زيد إليها سبيلًا بعد ذلك اليوم، فيأتي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم: فيخبره، فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أمسك عليك زوجك"، فيقول: يا رسول الله أفارقها، فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "احبس عليك زوجك"، ففارقها زيد واعتزلها وحلّت -يعني انقضت عدتها- ...الخ.

والجواب: أن الرواية موضوعة؛ فلا حجة فيها.

أخرجها ابن سعد في الطبقات (٨/ ١٠١) من طريق محمد بن عمر عن عبد الله بن عامر الأسلمي، عن محمد بن يحيى بن حبان به.

وإسناد هذه الرواية فيه علل ثلاث، واحدة منها تكفي لرد هذه الرواية:

العلة الأولى: أنها مرسلة، فمحمد بن يحيى (ت ١٢١ هـ) وعمره (٧٤ سنة) وعلى هذا فمولده في نحو سنة (٤٧)، فهو لم يدرك القصة قطعًا ولم يذكر من حدثه بها. التهذيب (٩/ ٤٤٧).

العلة الثانية: عبد الله بن عامر الأسلمي، قال فيه البخاري: ذاهب الحديث، وقال ابن معين: ضعيف ليس بشي. التهذيب (٥/ ٢٤١).

العلة الثالثة: محمد بن عمر الواقدي، متروك مع سعة علمه. تقريب التهذيب (٦١٧٥).

وقال البخاري: الواقدي مدني سكن بغداد، متروك الحديث، تركه أحمد بن المبارك وابن نمير وإسماعيل بن زكريا، وقال في موضع آخر: كذّبه أحمد، وقال معاوية بن صالح قال لي أحمد بن حنبل: الواقدي كذاب. تهذيب التهذيب (٩/ ٣٦٤).

فهذا حال سند الرواية ومثل هذا يقال فيه: موضوع مع ما المتن من شناعة لا تليق بعصمة النبي صلى الله عليه وسلم.

الرواية الثانية: عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قد زوّج زيد بن حارثة زينب بنت جحش، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يومًا يريده وعلى الباب ستر من شعر، فرفعت الريح الستر؛ فانكشفت، وهي في حجرتها حاسرة، فوقع إعجابها في قلب النبي صلى الله عليه وسلم، فلما وقع ذلك كرهت الآخر، فجاء فقال: يا رسول الله إني أريد أن أفارق صاحبتي، قال: "ما لك؟ أرابك منها شيء؟" قال: لا والله ما رابني منها شيء يا رسول الله، ولا

Upload by : altawhedmag.com

رأيت إلا خيرًا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أمسك عليك زوجك واتق الله، فذلك قول الله تعالى: «وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ ...»، تخفي في نفسك إن فارقها تزوجتها.

الرد على هذه الرواية: هذه الرواية موضوعة. أخرجها ابن جرير في تفسيره (٢٢/ ١٣) عن يونس، عن ابن وهب عن ابن زيد، وذكره، وهذا إسناد ضعيف جدًا وفيه علتان:

العلة الأولى: أنها معضلة، عبد الرحمن بن زيد بن أسلم مات سنة ثنتين وثمانين ومائة وعده ابن حجر من الثامنة فليس بصحابي ولا تابعي، فقد سقط من الإسناد راويان أو أكثر.

العلة الثانية: أن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ضعيف جدًا، وقد صرح بعضهم: أنه متروك، وقال البخاري وأبو حاتم: ضعفه عليّ بن المديني جدًا، وقال ابن حبان: استحق الترك، وقال ابن طاهر وابن معين: "ليس بشيء"، وقال ابن حجر: ضعيف متروك. المجروحين (٢/ ٥٧)، والتهذيب (٦/ ١٦١)، وتلخيص الحبير (١/ ١٦١).

الرواية الثالثة: عن أنس رضي الله عنه قال: أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم منزل زيد بن حارثة: فرأى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- امرأته زينب، وكأنه دخله شيء ... الخ.

الرد على الرواية:

هذا حديث منكر؛ أخرجه أحمد في مسنده (١٢٥١١) عن مؤمل بن إسماعيل عن حماد بن زيد، عن ثابت ... ومؤمل بن إسماعيل: قال البخاري: منكر الحديث. اهـ وهو كثير الخطأ يجب مجانبة ما ينفرد به. تحرير تقريب التهذيب (٧٠٢٩).

فهكذا حال مؤمل لو انفرد؛ فكيف وقد خالفه جماعة من الثقات عن حماد بن زيد؛ فرووا الحديث من غير ذكر لهذا الزيادة التي فيها ذهاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى بيت زيد ومنهم:

١ - محمد بن أبي بكر المقدمي: ثقة. تقريب (٥٧٦١) وحديثه عند البخاري (٦٩٨٤).

٢ - أحمد بن عبدة الضبي: ثقة. تقريب (٦٤). وحديثه عند الترمذي (٣٢١٢).

٣ - محمد بن سليمان؛ لوين؛ ثقة. تقريب (٥٩٢٥). أخرجه النسائي في الكبرى (١١٤٠٧).

الرواية الرابعة: قال مقاتل: زوّج النبي صلى الله عليه وسلم زينب من زيد؛ فمكثت عنده حينًا، ثم إنه صلى الله عليه وسلم أتى زيدًا يومًا يطلبه، فأبصر زينب قائمة... وذكر نحوه.

الرد على الرواية: أن مقاتل بن سليمان كذاب: قال ابن حجر: كذّبوه وهجروه. اهـ وعليه فلا حجة في روايته ولا في قوله. التهذيب (١٠/ ٢٧٩ - ٢٨٥)، وتقريب التهذيب (٦٨٦٨).

الرواية الخامسة: قال ابن إسحاق: مرض زيد بن حارثة فذهب إليه النبي صلى الله عليه وسلم يعوده، وزينب جالسة عند رأس زيد، فقامت؛ لبعض شأنها، فنظر إليها صلى الله عليه وسلم... وذكر نحوه.

الرد على الرواية: وهذه مرسلة وابن إسحق لم يدرك الحكاية لأنه توفي سنة ١٥٠هـ،

Upload by : altawhedmag.com

ومراسيله واهية. تقريب التهذيب (٥٧٢٥).

ثانيا: بيان اضطراب الروايات في متونها:

ومنه تناقض الروايات المذكورة، ففي بعضها: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم زار زيد بن حارثة وهو غائب فاستقبلته زينب، وفي بعضها أن زيدًا كان مريضًا، فزاره رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان صلى الله عليه وسلم جالسًا هو وزيد وزينب، فكيف يكون زيد غائبًا ومريضًا في فراشه في وقت واحد؟

وفوق ذلك كله كيف يعاتبه الله كما تقول هذه الروايات؛ لأنه أخفى ذلك عن الناس ولم يعلن أنه يحب زوجة زيد، وأنه يود لو طلقها ليتزوجها؟ تصوَرْ مثل هذا كاف في ظهور بطلان هذه الروايات.

ثالثا: كلام بعض الأئمة المحققين:

لقد وقف العلماء أمام هذه الروايات موقفًا حازمًا صلبًا، فمنهم من ذكرها، وفندها، ومنهم من أضرب عنها صفحًا بعد الإشارة إلى ضعفها، ونكارتها.

ويرون: أن الصواب في سبب نزول الآية: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان قد أوحى الله إليه أن زيدًا يطلق زينب، وأنه يتزوجها بتزويج الله إياها له، فلما تشكى زيد للنبي صلى الله عليه وسلم خُلق زينب، وأنها لا تُطيعه، وأعلمه بأنه يريد طلاقها، قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم على جهة الأدب والوصية: اتق الله، أي في أقوالك، وأمسك عليك زوجك، وهو يعلم أنه سيفارقها، وهذا هو الذي أخفى في نفسه، ولم يُردْ أن يأمره بالطلاق، لما علم من أنه سيتزوجها، وخشي رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يلحقه قول من الناس في أن تزوج زينب بعد زيد وهو مولاه، وقد أمره بطلاقها؛ فعاتبه الله تعالى على هذا القدر من أن خشي الناس في أمر قد أباحه الله تعالى له، وقد روي عن علي بن الحسين، والزهري، والسدي.

وذكر القرطبي: أن هذا القول هو الذي عليه أهل التحقيق من المفسرين، والعلماء الراسخين. وممن قال به: أبو بكر الباقلاني، وبكر بن العلاء القشيري، وابن حزم، والبغوي، وابن العربي، والثعلبي، والقاضي عياض، والواحدي، وأبو العباس القرطبي، وأبو عبد الله القرطبي، والقاضي أبو يعلى، وابن كثير، وابن القيم، وابن حجر، وابن عادل، والألوسي، والقاسمي، ورحمة الله بن خليل الرحمن الهندي، وابن عاشور، والشنقيطي، وابن عثيمين. الوعد المنجز (٥١).

قال ابن العربي: هذه الروايات كلها ساقطة الأسانيد. أحكام القرآن (٣/ ١٥٤٣).

وانظر: الجامع لأحكام القرآن (١٤/ ١٩١)، وفتح الباري (٨/ ٥٢٤).

ومن المعاصرين الشيخ محمد رشيد رضا، والشيخ محمد أبو شهبة، والشيخ الخضري. موسوعة محاسن الإسلام (٨/ ٣٤٧)، والإسرائيليات في التفسير (٣٢٣).

هذا هو الوجه الأول في تفنيد هذه الشبهة، ونكمل الأوجه في العدد القادم، إن شاء الله.

والحمد لله رب العالمين.

Upload by : altawhedmag.com

رمي السهام في نحور اللئام

إعداد د. سيد عبد العال

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الخلق وخاتم الأنبياء، والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد: فما زلنا في رحاب بيت النبوة مع قصة زواج النبي صلى الله عليه وسلم من زينب بنت جحش رضي الله عنها؛ وقد أثار المغرضون شبهة تجاه هذا الزواج: تتلخص في أنه رآها متكشفة فُضلًا؛ فأعجب بها، وأحبها، وهي تحت زيد. وتلك لعمر الله فرية ما أقبحها، وكذبة ما أشنعها، وقد سبق لنا في العدد السابق بيان بطلان هذه الروايات من جهة السند والمتن. والآن نكمل وجوه الرد على هذا البهتان:

الوجه الأول: في بيان من هي زينب بنت جحش رضي الله عنها؟ وقد أجبنا عن ذلك في المقال الأول حيث ذكرنا هناك: أنها ابنة عمته ولم تكن غريبة عنه وأنه هو الذي خطبها لزيد رضي الله عنه.

الوجه الثاني: كيف تم زواج زيد من زينب؟ ولماذا لم يتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم من أول الأمر؟

أما عن كيفية إتمام الزواج فقد كان بأمر الله ورسوله؛ فقد كان زيد مولى، وكانت زينب سيدة شريفة، ولذلك لما خطبها النبي صلى الله عليه وسلم لزيد أبدت عدم الموافقة مبدئيًا بقولها: أؤامر نفسي - أي: أفكر وأشاور نفسي- فقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾...الآية (الأحزاب: ٣٦) فلما نزلت الآية رجعت عن مشاورة نفسها وعظمت أمر الله ورسوله صلى الله عليه وسلم. تفسير ابن كثير (٣/ ٦٤٥).

وأما لماذا لم يتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم من أول الأمر؟

فرسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن يرى زينب للمرة الأولى، فهي بنت عمته، ولقد شاهدها منذ ولدت، وحتى أصبحت شابة، أي: شاهدها مرات عديدة، فلم تكن رؤيته لها مفاجأة، كما تصور القصة الكاذبة! ولو كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحمل أي ميل نحو زينب رضي الله عنها لتزوجها، وقد كان هذا أملها، وأمل

Upload by : altawhedmag.com

أخيها حين جاء صلى الله عليه وسلم يخطبها منه، فلما صرح لهما بزيد، أبيا، فأنزل الله تعالى: الآية السابقة؛ فقالا: رضينا بأمر الله ورسوله، فهذا يوضح أن الزواج من زيد كان بوحي - أيضًا- ولذلك لم يتزوجها النبي صلى الله عليه وسلم أول الأمر، وكانت هذه الآية توطئة وتمهيدًا لما ستقرره الآيات التالية لها من حكم شرعي يجب على المؤمنين الانصياع له، وامتثاله والعمل به، وتقبله بنفس راضية، وقلب مطمئن، وتسليم كامل. رد الشبهات لعماد الشربيني (٢٥٦).

الوجه الثالث: أن قولهم رآها فوقعت في قلبه أو أعجبته، إما أن يكون رآها قبل الدخول حالة الاستئذان، وإما أن يكون قد دخل، وكلاهما باطل.

أما الأول: فلأنه صلى الله عليه وسلم علمنا أن للاستئذان آدابًا، منها:

النهي عن أن يطلع الإنسان في دار قبل أن يستأذن. كما قال الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (النور: ٢٧) إلى آخر الآيات.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من اطلع في بيت قوم بغير إذنهم، فقد حل لهم أن يفقؤوا عينه» صحيح مسلم (٢١٥٨).

وإما أن يكون دخل بغير استئذان: حتى اطلع على أهل البيت وهي تغتسل كما في الرواية المكذوبة: فهذا أبطل من الأول، وكيف ذلك وهو الذي قال: "إياكم والدخول على النساء". فقال رجل من الأنصار: يا رسول الله أفرأيت الحمو؟ قال: "الحمو الموت". أخرجه البخاري (٤٩٣٤).

ومعنى الحديث على نحو ما ورد "لا يخلون رجل بامرأة: فإن ثالثهما الشيطان" رواه أحمد (١٧٧).

وقال النووي: اتفق أهل العلم باللغة على أن الأحماء أقارب زوج المرأة كأبيه وعمه وأخيه وابن أخيه... شرح النووي (١٤/ ١٥٤).

وقال ابن عبد البر: بعد ذكر الآثار في معنى هذا: وهذه آثار ثابتة بالنهي عن ذلك، ومحال أن يأتي رسول صلى الله عليه وسلم ما ينهى عنه. التمهيد (١/ ٢٢٨).

الوجه الرابع: أن هذا الفعل المدعى فيه خيانة قلبية، وقد نفى النبي صلى الله عليه وسلم عن نفسه خائنة الأعين، وهو من التطلع إلى ما مُتِّع به غيره، وهو من الحسد المذموم. قال أبو بكر بن العربي: الله تعالى يقول: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ﴾ ... (طه: ١٣١)، وأعظم ما يُتمتع به النساء، وهو يخبر عن نفسه، فيقول: "ما كان لنبي أن تكون له خائنة الأعين" رواه الحاكم (٤٣٦٠)، وصححه ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٤٢٦).

والحسد المذموم، هو تمني زوال النعمة من العبد إليك، والنبي صلى الله عليه وسلم معصوم من ذلك. (البدر المنير (٧/ ٤٧١)).

الوجه الخامس: في بيان السبب الحقيقي في طلاقها من زيد رضي الله عنه.

عن أنس رضي الله عنه قال: جاء زيد بن حارثة يشكو؛ فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يقول: "اتق الله وأمسك عليك زوجك"... وعن ثابت: «وتخفي في نفسك ما الله مُبديه وتخشى الناس» نزلت في شأن زينب وزيد بن حارثة. أخرجه البخاري (٦٩٨٤).

فقوله: جاء زيد بن حارثة يشكو أي: جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يشكو زوجه زينب ويستشيره في طلاقها؛ لأنها كانت تترفع عليه، وتقابله ببعض الكلام غير المناسب...

ومن هذا يعلم: أن السبب في طلاقها ومن ثم زواج النبي صلى الله عليه وسلم منها؛ هو ما كان بين زيد وبين زينب من خلافات، وأنه لم يكن بينهما وئام يؤمل معه أن تبقى الحياة الزوجية بينهما، فطلقها بمحض اختياره، ورغبته، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينهاه عن ذلك، وقد كان الله- عز وجل- قد أعلم نبيه صلى الله عليه وسلم أن زيدًا سيطلق زينب، وأنها ستكون زوجة له، وأنه صلى الله عليه وسلم كان يخفي هذا ويخشى من مقولة الناس: أنه تزوج مطلقة من كان يُدعا إليه، فعاتبه ربه على ذلك. جامع البيان للطبري (٢٢/ ١١)، فتح الباري (٨/ ٥٢٤).

فقول النبي صلى الله عليه وسلم لزيد: "أمسك عليك زوجك" توفية بحق النصيحة وهو أمر نصح وإشارة بخير لا أمر تشريع والزام. محاسن الإسلام (٨/ ٣٣٤).

Upload by : altawhedmag.com

الوجه السادس: أن الله هو الذي زوجها لرسوله صلى الله عليه وسلم.

قال ابن كثير: وكان الذي ولي تزويجها منه هو الله تعالى بمعنى: أنه أوحى إليه أن يدخل عليها بلا ولي ولا عقد، ولا مهر، ولا شهود من البشر: عن أنس-رضي الله عنه- قال: لما انقضت عدة زينب رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لزيد: اذهب فاذكرها عليَّ: فانطلق حتى أتاها قال: فلما رأيتها عظمت في صدري حتى ما أستطيع أن أنظر إليها، وأقول إن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكرها، فولّيتها ظهري، ونكصت على عقبي، وقلت: يا زينب أبشري أرسلني رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكرك. قالت: ما أنا بصانعة شيئًا حتى أؤامر ربي تعالى فقامت إلى مسجدها ونزل القرآن وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل عليها بغير إذن. تفسير ابن كثير ٣/ ٦٤٧، والحديث أخرجه مسلم (١٤٢٨).

فكانت زينب تفخر على أزواج النبي صلى الله عليه وسلم تقول: «زوجكن أهاليكن وزوجني الله تعالى من فوق سبع سماوات». البخاري (٦٩٨٤).

الوجه السابع: بيان الحكمة في زواج رسول الله صلى الله عليه وسلم منها، مع أن النساء سواها كثير.

وهذه الحكمة هي رفع الحرج من صدور المؤمنين في زواج نساء الأدعياء كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾ (الأحزاب: ٣٧).

فقوله: «فلما قضى زيدٌ منها وطرًا» أي: طابت نفسه، ورغب عنها، وفارقها، «زوّجناكها» وإنما فعلنا ذلك، لفائدة عظيمة، وهي: «لكيْ لا يكون على المؤمنين حرجٌ في أزواج أدعيائهم» حيث رأوك تزوجت، زوج زيد بن حارثة، الذي كان من قبل، ينتسب إليك، ولما كان قوله عامًا في جميع الأحوال، ولما كان من الأحوال، ما لا يجوز فيه ذلك، وهي قبل انقضاء وطره منها، قيد ذلك بقوله: «إذا قضوا منهنّ وطرًا وكان أمرُ الله مفعولًا» أي: لا بد من فعله، ولا عائق له ولا مانع.

ويتلخص مما قيل في الآية: أن زواج الرسول صلى الله عليه وسلم بزينب الأسدية كان لغرض تشريعي، وغاية اجتماعية ألا وهي إبطال عادة التبني.

الوجه الثامن: بيان المعنى الصحيح لمتعلق الخشية، وما الذي أخفاه النبي صلى الله عليه وسلم

معنى الخشية هو الاستحياء: أي: يستحيي منهم أن يقولوا: تزوج زوجة ابنه، ويخشى من إرجاف المنافقين، واليهود، وتشغيبهم على المسلمين بقولهم: تزوج زوجة ابنه بعد نهيه عن نكاح حلائل الأبناء كما كان: فعاتبه الله على هذا، ونزهه عن الالتفات إليهم فيما أحله له. الشفا (٢/ ١٩٠).

عن الحسن في قوله: «وتُخفي في نفسك ما الله مُبديه»، أنه قال: أعلم نبيه: أنها ستكون من أزواجه قبل أن يتزوجها، فلما أتاه زيد: ليشكوها إليه قال: "اتق الله، وأمسك عليك زوجك". فقال الله تعالى لنبيه ما معناه "قد أخبرتك أني مُزوّجكها، وتخفي في نفسك ما الله مبديه". فتح الباري (٨/ ٥٢٣).

قال القرطبي: وهذا القول أحسن ما قيل في تأويل هذه الآية، وهو الذي عليه أهل التحقيق. تفسير القرطبي (١٤/ ١٦٦)

الوجه التاسع: أنه لو أخفى حبها وعشقها لأبداه الله، لأن الله قال: «وتُخفي في نفسك ما الله مُبديه»، فلما لم يبده الله علم أنه لم يكن. وانظر تفصيل ذلك في نور اليقين ص (١٢٤ و١٢٥).

الوجه العاشر: بيان أن هذه القصة من دلائل نبوته صلى الله عليه وسلم:

فلو كان متكلمًا من عند نفسه لما قال عن نفسه «وتخشى الناس والله أحقُّ أن تخشاه»، وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: لو كتم محمد صلى الله عليه وسلم شيئًا مما أوحي إليه من كتاب الله، لكتم: «وتُخفي في نفسك ما الله مُبديه وتخشى الناس والله أحقّ أن تخشاه»

تفسير السعدي ١/ ٦٦٥. وانظر: موسوعة محاسن الإسلام (٨/ ٣٥٢).

فهذه أوجه الرد على قولهم "رآها فأعجبته" وقد بقي الرد على قولهم، تزوج زوجة ابنه!! وقد ادخرت لهذا القول أسهمًا أرميها في نحورهم، لاحقًا في العدد القادم إن شاء الله تعالى. والحمد لله رب العالمين.

Upload by : altawhedmag.com

رمي السهام في نحور اللئام

الحلقة 3

إعداد
د. سيد عبد العال

الحمد لله رب العالمين. والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد: فما زلنا نسدد السهام لنحور اللئام الذين طعنوا في مقام النبي صلى الله عليه وسلم بسبب زواجه صلى الله عليه وسلم من زينب بنت جحش رضي الله عنها. ومن صور الطعن قولهم: تزوج بزوجة ابنه. وهي من المحرمات! واليكم البرهان الواضح في رد هذا الكذب الفاضح:

ونبينه في اربعة أوجه:

الأول: ابناء النبي صلى الله عليه وسلم الذكور ماتوا صغارا ولم يبلغوا مبلغ الرجال.

قال تعالى: « مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا » (الأحزاب: ٤٠)؛ أي: إنه لما تزوّج صلى الله عليه وسلم زينب قال الناس: تزوّج امرأة ابنه. فأنزل الله «مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ»؛ أي: ليس بأب لزيد بن حارثة على الحقيقة حتى تحرم عليه زوجته. ولا هو أبٌ لأحد لم يلده؛ فنهى تعالى: أن يقال بعد هذا: زيد بن محمد. أي: لم يكن أباه وان كان قد تبناه فإنه صلى الله عليه وسلم لم يعش له ولد ذكر حتى بلغ الحلم؛ فإنه ولد له القاسم. وعبدالله ويلقب بالطيب، والطاهر.-وقيل هما اثنان غير عبد الله- من خديجة فماتوا صغارًا. ووُلد له إبراهيم من مارية القبطية. فمات أيضًا رضيعًا. تفسير ابن كثير (٦/ ٤٢٨)، وفتح القدير للشوكاني (سورة الأحزاب: ٤٠).

الثاني: بيان نسبه: فاذا لم يكن ابنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فمن هو؟

هو: زَيْدُ بْنُ حارثَةَ بْن شراحيل بْن كعْب بْن عبْد العُزّى بْن امْرئ القيس بْن عامر بْن النّعْمان بْن عامر... وهنا يلوح في الأفق سؤال: كيف جاء زيد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم. وكيف نسب إليه؟

كان قد أخذ أسيرًا ثم اشتراه حكيمُ بْنُ حزام بْن خُوَيْلد: فدخلتْ عليْه عمّتُه خديجةُ بنْتُ خُوَيْلد، فقال لها: اخْتاري يا عمّةُ أيّ هؤلاء الغلْمان شئْتِ؛ فهُو لك. فاخْتارتْ زيْدًا فأخذتْه. فرآهُ رسُولُ الله صلّى الله عليْه وسلّم عنْدها، فاسْتوْهبهُ منْها، فوهبتْهُ لهُ. فأعْتقهُ رسُولُ الله صلّى الله عليْه وسلّم وتبنّاهُ. وذلك قبْل أنْ يُوحى إليْه.

وكان أبُوهُ حارثةُ قدْ جزِع عليْه جزعًا شديدًا، وبكى

Upload by : altawhedmag.com

عليه حين فقدَهُ، فقال:
بكيت على زيد ولم أدر ما فعل
أحيٌ فيرجى أم أتى دونه الأجل
فلمَّا علم أنَّه بمكَّة قدمها ليفديه، فدخل حارثة وأخوه على النبيِّ صلى الله عليه وسلم فقال: يا ابن عبد الله! يا ابن سيِّد قومه! أنتم أهل الحرم، وجيرانه وعند بيته، تفكُّون العاني، وتطعمون الأسير، جئناك في ابننا عندك، فامْنُنْ علينا، وأحسن إلينا في فدائه، فإنَّا سنرفع لك في الفداء. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "مَنْ هو"؟ قالا: زيدُ بْنُ حارثة. فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم زيدًا، فقال له: "إنْ شئت فأقم عندي، وإن شئت فانطلق مع أبيك". فقال زيد: بل أقيم عندك، وما أنا بالذي أختار عليك أحدًا. أنت مني بمكان الأب والأم. فقالا: ويحك يا زيدُ أتختار العبوديَّة على الحريَّة، وعلى أبيك وعمك وأهل بيتك؟ قال: نعم، إني قد رأيت من هذا الرجل شيئًا، ما أنا بالذي أختار عليه أحدًا أبدًا. فلم يزل زيد عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بعثه الله تعالى، فصدقه، وأسلم، وصلى معه. فأنزل الله عز وجل: «ادعوهم لآبائهم» قال: أنا زيدُ بنُ حارثة. (انظر: سنن الترمذي (٤١٤٩) وسيرة ابن إسحاق (١/ ٢٨٤)، وابن هشام (١/ ٢٤٨)).

الوجه الثالث: تحريم التبني

قال تعالى: «مَّا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ ۖ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ ۖ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَاهِكُمْ ۖ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ» (الأحزاب: ٤). إلى قوله: «وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا» (الأحزاب: ٥). ففي هذه الآية يقول تعالى موطنًا قبل المقصود المعنوي أمرًا حسيًّا معروفًا: وهو أنه كما لا يكون للشخص الواحد قلبان في جوفه، ولا تصير زوجته التي يظاهر منها بقوله: أنت علي كظهر أمي أمًا له، كذلك لا يصير الدعي ولدًا للرجل إذا تبناه: فدعاه ابنًا له. فقال: «ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه وما جعل أزواجكم اللائي تظاهرون منهن أمهاتكم».

وقوله: «وما جعل أدعياءكم أبناءكم» (الأحزاب: ٤)، هذا هو المقصود بالنفي: فإنها نزلت في شأن زيد بن حارثة مولى النبيِّ صلى الله عليه وسلم، كان النبيُّ صلى الله عليه وسلم قد تبنَّاه قبل النبوَّة، وكان يقال له: "زيدُ بنُ محمد" فأراد الله تعالى أن يقطع هذا الإلحاق وهذه النسبة بقوله: «وما جعل أدعياءكم أبناءكم» كما قال في أثناء السورة: «مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا» (الأحزاب: ٤٠)، وقال هاهنا: «ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَاهِكُمْ»، يعني: تبنِّيكم لهم قول لا يقتضي أن يكون ابنًا حقيقيًا، فإنه مخلوق من صلب رجل آخر، فما يمكن أن يكون له أبوان، كما لا يمكن أن يكون للبشر الواحد قلبان.

«والله يقول الحق»: أي: العدل «وهو يهدي السبيل» أي: الصراط المستقيم.

وقوله: «ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ»: هذا أمرٌ ناسخٌ لما كان في ابتداء الإسلام من جواز ادعاء الأبناء الأجانب، وهم الأدعياء، فأمر الله تعالى برد نسبهم إلى آبائهم في الحقيقة، وأن هذا هو العدل والقسط.

وعن عبد الله بن عمر: أن زيدًا بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ما كنا ندعوه إلا زيد بن محمد، حتى نزل القرآن: «ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله». صحيح البخاري (٤٥٠٤).

وقد كانوا يعاملونهم معاملة الأبناء من كل وجه، في الخلوة بالمحارم وغير ذلك، ولهذا لما نسخ هذا الحكم، أباح تعالى زوجة الدعي، وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم بزينب بنت جحش زوجة زيد بن حارثة، وقال: «لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا» (الأحزاب: ٣٧)، وقال في آية التحريم: «وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ» (النساء: ٢٣): احترازًا عن زوجة الدعي، فإنه ليس من الصلب، فأما الابن من الرضاعة، فمنزل منزلة ابن الصلب شرعًا، بقوله عليه السلام في الصحيحين: "حرموا من الرضاعة ما يحرم من النسب" فأما دعوة الغير ابنًا على سبيل التكريم والتحبيب، فليس مما نهي عنه في هذه الآية.

وقوله: «فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ» (الأحزاب: ٥): أمر الله تعالى برد أنساب

Upload by : altawhedmag.com

الأدعياء إلى آبائهم، إن عُرفوا، فإن لم يعرفوا آباءهم، فهم إخوانهم في الدين ومواليهم، أي: عوضا عما فاتهم من النسب، ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم خرج من مكة عام عمرة القضاء، وتبعتهم ابنة حمزة تنادي: يا عم، يا عم. فأخذها عليٌّ وقال لفاطمة: دونك ابنة عمك فاحتمليها؛ فاختصم فيها عليٌّ، وزيد، وجعفر في أيهم يكفلها، فكل أدلى بحجة: فقال عليٌّ: أنا أحق بها وهي ابنة عمي، وقال زيد: ابنة أخي. وقال جعفر بن أبي طالب: ابنة عمي، وخالتها تحتي-يعني أسماء بنت عميس-؛ فقضى النبي صلى الله عليه وسلم لخالتها، وقال: "الخالة بمنزلة الأم". وقال لعلي: "أنت مني، وأنا منك". وقال لجعفر: "أشبهت خَلقي وخُلقي". وقال لزيد: "أنت أخونا ومولانا" البخاري (٢٥٥٢).

ففي هذا الحديث أحكام كثيرة من أحسنها: أنه، عليه الصلاة والسلام، حكم بالحق، وأرضى كلا من المتنازعين، وقال لزيد: "أنت أخونا ومولانا". كما قال تعالى: «فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ».

ثم قال تعالى: «وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ» (الأحزاب: ٥). أي إذا نسبتم بعضهم إلى غير أبيه في الحقيقة خطأ بعد الاجتهاد واستفراغ الوسع؛ فإن الله تعالى قد وضع الحرج في الخطأ ورفع إثمه. وقال تبارك وتعالى: «وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا» (الأحزاب: ٥)؛ أي: وإنما الإثم على من تعمد الباطل. تفسير ابن كثير (٦/ ٣٧٦).

وهذا إمعان في إبطال هذا التبني الذي كان معروفا في الجاهلية الأولى كما عرف في الجاهلية الحاضرة؛ حيث أمر الله تعالى إمام المسلمين وقدوتهم بذلك. أيسر التفاسير (٤/ ٢٧٣).

وفي الجملة في هذا الزواج ثلاث فوائد:

أحدها: لتستن أمته بذلك.

ثانيها: بيان أن الله قد أحل ذلك لمن كان قبله من الرسل، ومثل ذلك قوله تعالى: «سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ» الآية.

ثالثها: قطع البنوة بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين وزيد بن حارثة رضي الله عنه.

البدر المنير (٧/ ٤٧٤).

فإن قيل: ولم حرّم الله التبني؟

فالجواب: أن ذلك هو الأقسط والعدل عند الله تعالى: كما سبق في تفسير قوله تعالى: «ٱدْعُوهُمْ لِـَٔابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ» (الأحزاب: ٥)؛ فإن قيل: ما وجه العدل والقسط في تحريم التبني؟

فالجواب: من وجوه:

الأول: أن الله تعالى هو الذي شرع ذلك، وأخبر: أنه الأقسط عنده، وهو العليم الخبير. (التحرير والتنوير، سورة الأحزاب).

الثاني: أنهم يرتبون على هذا القول الفاسد أحكام الحقيقة التي لا وجود لها، فكانوا يعاملونهم معاملة الأبناء من كل وجه في الخلوة بالمحارم، وغير ذلك، ووجود الأجنبي في البيت مفسدة لا يزيلها الدعوى بأنه ابن؛ لأنه قول بالأفواه لا حقيقة له.

الثالث: أن التبني بهذا الشكل مناف للغيرة.

الرابع: أن التبني فيه ظلم لأبناء الصلب.

الخامس: أن التبني يحرم زواج من لا يحرم زواجه.

السادس: أن فيه ظلمًا للأب الحقيقي.

السابع: أن قضية التبني خلاف المعقول فكما لا يكون لرجل قلبان كذلك لا تكون امرأة للمظاهر أمه حتى تكون أمان، ولا يكون له ولد واحد ابن رجلين.

الثامن: تحريمه فيه قطع للتشبه بالكفرة بالكلية.

التاسع: أن في تحريم التبني إرشادًا-ضمنيًا- للعباد إلى قول الحق وترك قول الباطل والزور.

موسوعة محاسن الإسلام (٨/ ٣٢٠).

الوجه الرابع: في الإشارة إلى فضائل زيد؛ وذلك لكي لا يظن أن إلغاء التبني حطٌ من شأن زيد.

١- تعويضه الأخوة الإيمانية التي ثبتت وأشرنا إليها سابقًا.

٢- كونه خليقًا بالإمارة ومن أحب الناس إلى رسول الله- صلى الله عليه وسلم-.

أخرجه البخاري (٣٥٢٤).

٢- قول عمر-رضي الله عنه-: إن زيدًا أحب إلى الرسول صلى الله عليه وسلم منه.

الترمذي (٣٨١٣)، وقال: حسن غريب.

٣- شهادة النبي صلى الله عليه وسلم له وهي شهادة بالجنة. صحيح أخرجه أحمد (١٧٥٠)، وانظر: موسوعة محاسن الإسلام (٨/ ٣٢٣).

والحمد لله رب العالمين.

Upload by : altawhedmag.com

الصلة والأنس في وليمة العرس

إعداد: د. سيد عبد العال

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق، وخاتم الأنبياء والمرسلين؛ سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد: فقد سبق لنا ذكر زواج النبي صلى الله عليه وسلم بزينب بنت جحش رضي الله عنها، وقد طُفنا مع هذا الحدث نستلهم منه عدة فوائد، وهي: الأولى: التعريف بزينب رضي الله عنها. الثانية: مناقبها وفضائلها. الثالثة: بيان بطلان التبني.

وبعد أن انشغلنا مدة في تسديد السهام لنحور اللئام الطاعنين في سيد الأنام صلى الله عليه وسلم نعود إلى العرس مرة ثانية؛ لنشهد وليمة عُرس زينب- رضي الله عنها-؛ وها هو أنس رضي الله عنه يروي ونحن ننصت وننظر من بعيد، وهو يقول: ما رأيت رسول الله-صلى الله عليه وسلم- أولم على امرأة-أو على شيء من نسائه- ما أولم على زينب فإنه ذبح شاة. (صحيح البخاري ٥١٦٨).

وفي لفظ لمسلم: ما أولم رسول الله-صلى الله عليه وسلم- على امرأة من نسائه أكثر أو أفضل مما أولم على زينب، أطعمهم خبزًا ولحمًا حتى تركوه.

وعن أنس أيضًا قال: تزوج رسول الله-صلى الله عليه وسلم- فدخل بأهله-زينب رضي الله عنها- قال: فصنعت أمي أم سليم حيسًا-هو التمر والسمن والأقط يخلط، ويعجن، والأقط: الجبن الجاف- فجعلته في تور-التور: إناء من نحاس- فقالت: يا أنس اذهب بهذا إلى رسول الله-صلى الله عليه وسلم- فقل بعثت بهذا إليك أمي، وهي تقرئك السلام، وتقول: إن هذا لك منا قليل يا رسول الله، فقال: "ضعه"، ثم قال: "اذهب فادع لي فلانا وفلانا وفلانا ومن لقيت" وسمى رجالا، قال: فدعوت من سمى ومن لقيت. ولم أدع أحدا لقيته إلا دعوته. وقيل لأنس: عدد كم كانوا؟ قال: زهاء ثلاثمائة. وقال لي رسول الله-صلى الله عليه وسلم-: "يا

Upload by : altawhedmag.com

أنس هات التور". قال: فدخلوا حتى امتلأت الصُّفة والحجرة، ووضع النبيُّ صلى الله عليه وسلم يده على الطعام، فدعا فيه، وقال فيه ما شاء الله أن يقول، ثم قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "ليتحلق عشرة عشرة وليأكل كل إنسان مما يليه"، قال: فأكلوا حتى شبعوا، قال: فخرجت طائفة ودخلت طائفة، حتى أكلوا كلهم، فقال لي: "يا أنس ارفع". قال: فرفعت فما أدري حين وضعت كان أكثر أم حين رفعت.

قال: وجلس طوائف منهم يتحدثون في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس وزوجته مولية وجهها إلى الحائط، فثقلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتركهم في البيت، فسلم على نسائه، ثم رجع، فلما رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد رجع، ظنوا: أنهم قد ثقلوا عليه، قال: فابتدروا الباب، فخرجوا كلهم، وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم، حتى أرخى الستر، ودخل وأنا جالس في الحجرة، فلم يلبث إلا يسيرًا حتى خرج علي، وأنزلت هذه الآية، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقرأهن على الناس: «يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه ولكن إذا دعيتم فادخلوا فإذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث إن ذلكم كان يؤذي النبي» (الأحزاب: ٥٣) إلى آخر الآية... البخاري (٥١٦٣)، ومسلم (١٤٢٨).

وعنه قال: "أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم عروسًا بزينب بنت جحش"، -قال: وكان تزوجها بالمدينة- فدعا الناس للطعام بعد ارتفاع النهار... وذكر الحديث.

وعنه رضي الله عنه قال: ولقد رأيتنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أطعمنا الخبز واللحم حين امتد النهار -أي ارتفع واشتد ضحاؤه- فخرج الناس وبقي رجال يتحدثون في البيت بعد الطعام، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم واتبعته، فجعل يتتبع حجر نسائه يسلم عليهن، ويقلن: يا رسول الله، كيف وجدت أهلك؟ صحيح مسلم (١٤٢٨).

وعن أنس أنه ذكر الحديث ثم قال: وبقي ثلاثة رهط يتحدثون في البيت، فخرج النبيُّ صلى الله عليه وسلم فانطلق إلى حجرة عائشة، فقال: "السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله". فقالت: وعليك السلام ورحمة الله، كيف وجدت أهلك بارك الله لك، فتقرى حجر نسائه كلهن، يقول لهن كما يقول لعائشة، ويقلن له كما قالت عائشة. صحيح البخاري (٤٧٩٣).

وهذه الروايات فيها فوائد مهمة

١- إثبات وليمة العُرس على وجه الاستحباب عند الجمهور، والوجوب عند البعض.

٢- فيه: أنه يستحب لأصدقاء المتزوج: أن يبعثوا إليه بطعام يساعدونه به على وليمته.

٣- فيه: أن لصاحب الوليمة أن يبعث الرسل فيمن يحضر وليمته، إن لم يتول ذلك بنفسه.

٤- فيه: أن الوليمة قد تكون بعد البناء؛ كما في قوله "حين امتد النهار"، وقوله أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم عروسًا بزينب بنت جحش"، وذلك وقت الضحى.

٥- إدخال السرور على العروس بالإهداء إليه، والقيام عنه ببعض الكلف؛ لكونه مشتغلًا بغيرها. وهو نحو مما يستحبُّ من الإهداء لأهل الميت.

٦- فيه دليل على استحباب تخفيف الزيارة للزائر، ولا سيما عقب الطعام؛ فإذا طعم الضيف انتشر.

٧- في خروجه من البيت، وترك المتحدثين على حالهم، ولم يهجهم؛ ما يدل على كرم أخلاقه، وحُسن معاملته، وكثرة حيائه، وإن تحمل فيه مشقة ومخالفة مقصده.

٨- وفيه أنه ينبغي لمن أراد أن يكثر من الدخول على الكبير القدر أن يكون ذا فطنة وتلمح، فإن خروج رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عن ضيفه، وهم في داره، كان كافيًا لهم في التنبيه على الخروج، وتخلية ما بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين أهله.

٩- أن الوليمة في العرس تجوز أن تكون أقل من شاة، كما أنه يستحب أن تكون أكثر من ذلك؛ لقول أنس: ما رأيته أولم على امرأة من نسائه ما أولم على زينب، فإنه ذبح شاة.

١٠- قوله "أطعمهم خبزًا ولحمًا حتى تركوه" يعني:

Upload by : altawhedmag.com

حتى شبعوا وتركوه لشبعهم، وفيه أنه يستحب لمن أضاف ضيفًا أن يكون ما يقدمه إليهم فاضلًا عن حاجاتهم إذا أمكنه ذلك.

وهذا من أعلام النبوة، حيث يشبع الكثير من الناس بشاة واحدة.

١١- يستحب للمسلم أن لا يحقر شيئًا يقدمه إلى أخيه إذا كان منتهى وُسعه في وقته ذلك ولو تمرة.

١٢- أن الطعام إذا كان لا يتسع للضيف؛ إما لصغر إنائه عن مقاعد الضيفان في دفعه، وإما لضيق المكان بهم فإنه يستدعي منهم رهطًا على حسب مقدار الإناء والموضع، فإذا أكلوا خرجوا، ودخل رهط آخرون بعدهم، فينال المتأخرون بركة سؤر المتقدمين، هكذا فوجًا بعد فوج، وكل منهم لدخوله.

١٣-في هذا الحديث استحباب أن لا يأكل الإنسان إلا ما يليه، وهذا إذا كان الطعام كله شيئًا واحدًا كالثريد ونحوه، وأما إذا كان أنواعًا مختلفة جاز له أن يمُدَّ يده إلى غير ناحيته.

١٤- وفيه دليل على أن الوحي كان لنزوله عند تجدُّد الأحداث حلاوة؛ فلو قد كان نزل جملة واحدة لفات منه مثل ذلك عند نزول آية الحجاب.

١٥- وفيه استحباب استقلال ما يهديه الإنسان، أو يقدمه للضيف، وإن كثر، مع أنه لا يحقر ما يقدمه إلى الضيف؛ فيحرمه لقول أم سليم: "إن هذا لك منا قليل".

١٦- وفيه أن المضيف ينبغي أن يوسع صدره، وإن كثر الضيف، متوكلاً على الله في أن يبارك في القليل، ويعم باليسير، كما فعل رسول الله-صلى الله عليه وسلم- في قوله: "وادعُ مَن لقيت".

١٧- وفي قوله: "كانوا زهاء ثلاثمائة" من الدلائل على نبوة نبينا-صلى الله عليه وسلم- لأنه إذا أكل ثلاثمائة رجل من حيسة في تور، وصدروا شباعًا، والحيسة مما يتناول الإنسان منه أكثر من غيره، وحتى يقول أنس: فما أدري أهي أكثر حين رفعت أم حين وضعت؟ فذلك أكبر دليل على وفور البركة منه صلى الله عليه وسلم.

١٨- أن البركة في الجود بالطعام والشراب وبذلهما أفضل الجود، والشح بهما أقبح الشح؛ ولا سيما ما قد صُنع، فإنما إذا ترك فسد، فإذا سمح بهما المؤمن فقد تأسى بنبيه صلى الله عليه وسلم وتبع سنته.

١٩- وقوله: "وزوجته مولية وجهها إلى الحائط"، وهذا لأنها استحيت من الرهط.

٢٠- وفيه ما يدل على إيمان عائشة وغيرها من نساء النبي صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنهن وحسن أدبهن مع النبي صلى الله عليه وسلم؛ لأنه حين سلَّم عليها قالت له: "كيف وجدت أهلك، بارك الله لك"، وهو دعاء يشتمل على نوع مداعبة.

٢١- الأحاديث التي ورد فيها الأمر بالوليمة محمولة على الاستحباب ومصروفة عن الوجوب وهو قول أكثر الفقهاء. ولا يشترط في الوليمة أن تكون على لحم فقد ثبت عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه أولم بغير اللحم، وإذا أولم بلحم؛ فيجوز بشاة، وبأكثر من شاة إذا كان موسرا.

وقد اختلف السلف في وقتها هل هو عند العقد أو عقبه، أو عند الدخول أو عقبه، أو موسع مع ابتداء العقد وانتهاء الدخول؟ على أقوال، والذي يظهر لي: أن الأمر فيه سعة فإن أولم يوم الزفاف قبل الدخول كما هي العادة عند كثير من الناس؛ فحسن، وإن أولم بعد الدخول؛ فهو أحسن اقتداءً بالرسول صلى الله عليه وسلم.

وينبغي أن يُعلم أن أكثر الفقهاء يرون وجوب إجابة الدعوة لوليمة العرس.

واجابة الدعوة مقيدة فيما إذا لم يكن هناك عذر للمدعو لتركها، فإذا ترك إجابة الدعوة لعذر فلا بأس في ذلك. وكذلك يُشترط لإجابة الدعوة ألا يكون هناك منكر من المنكرات، فإن كان هنالك منكر واستطاع إزالته وتغييره فحضر فهو أمر حسن، وإن لم يستطع تغيير المنكر فعليه ألا يحضر.

وأخيرًا: يُستحب لمن حضر وليمة العرس أن يدعو بخير لصاحبها كأن يقول "اللهم اغفر لهم وارحمهم وبارك لهم فيما رزقتهم" رواه مسلم وغيره.

شرح صحيح البخاري لابن بطال (١٣/ ٢٨)، والإفصاح (٥/ ٢٠)، وشرح النووي على مسلم (٩/ ٢٣١)، والمفهم (٤/ ١٤٧).

فهذه بعض الفوائد من حديث الوليمة، وبقي لنا من بركات هذا الزواج: مشروعية الحجاب، وهو موضوع العدد القادم.

والحمد لله رب العالمين.

Upload by : altawhedmag.com

تذكرة أولي الألباب بمشروعية الحجاب

إعداد: د. سيد عبد العال

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق، وخاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد: فنحن على موعد مع بركة من بركات أم المؤمنين زينب بنت جحش رضي الله عنها: ألا وهي نزول الحجاب في صبيحة عرسها رضي الله عنها: حيث أنزل فيها آية الحجاب، وأسبل عليها أثواب الثياب، ويكفيها ذلك شرفًا. (المقتفى ١٠٥).

ونعود في ذلك إلى أنس رضي الله عنه ليقص علينا بداية الحدث: قال أنس بن مالك: أنا أعلم الناس بهذه الآية: آية الحجاب "لما أهديت زينب بنت جحش رضي الله عنها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، كانت معه في البيت صنع طعامًا ودعا القوم، فقعدوا يتحدثون، فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يخرج ثم يرجع، وهم قعود يتحدثون، فأنزل الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ﴾ (الأحزاب: ٥٣)، إلى قوله ﴿مِن وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ (الأحزاب: ٥٣) فضرب الحجاب وقام القوم. (صحيح البخاري: ٤٧٩٢ و٤٧٩٤).

وفي هذا الخبر فوائد:

الأولى: تاريخ مشروعية الحجاب، وهو نفس تاريخ زواج النبي صلى الله عليه وسلم بزينب رضي الله عنها.-وقد سبق- وقال ابن كثير: وفي صبيحة عرسها نزل الحجاب، كما أخرجاه في الصحيحين عن أنس، وأنه حجبه حينئذ .اهـ.

وقد اختلف العلماء في تاريخ زواج النبي صلى الله عليه وسلم من زينب رضي الله عنها: فقيل: إنه كان في العام الثالث من الهجرة، وهو قول خليفة بن خياط، وأبي عبيدة معمر بن المثنى، وابن منده، (وهو ما نختاره)، جمعًا بينه وبين ما وقع في المريسيع وأنها كانت بعد نزول الحجاب، وقيل: سنة أربع، وصححه ابن جماعة، ومغلطاي، والمقريزي، وقيل: سنة خمس، ورجحه ابن كثير، وابن الجوزي. (الفصول (٢٤٦)، والأغصان الندية (٢٥٢)، والمنتظم (٣/ ٢٢٥).

وقد استُشكل بما ذكره غيرُ واحد: أنه صلى الله عليه وسلم تزوج زينب في ذي القعدة سنة خمس، وكانت غزوة بني المصطلق قبلها في السنة في شعبان، لكن حكى أبو عمر عن أبي عبيدة: أنه تزوجها في سنة ثلاث، وعلى هذا القول يصح اجتماعهما في حديث الإفك الواقع في غزوة بني

Upload by : altawhedmag.com

المُصْطَلق. (اللامع الصبيح: ١١ / ٢١٣).

وقال السخاوي: فيكون تزويج زينب قبل شعبان سنة أربع، فإن ثبت كونه في ذي القعدة فليكن في سنة ثلاث، وسواء كانت المريسيع في سنة أربع أو بعدها. (التجريد على التنقيح: ٢ / ٣٠٣).

الثانية: في ذكر آية الحجاب: « يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيۡرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنۡ إِذَا دُعِيتُمۡ فَٱدۡخُلُواْ فَإِذَا طَعِمۡتُمۡ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسۡتَـٔۡنِسِينَ لِحَدِيثٍۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ يُؤۡذِي ٱلنَّبِيَّ فَيَسۡتَحۡيِۦ مِنكُمۡۖ وَٱللَّهُ لَا يَسۡتَحۡيِۦ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ وَإِذَا سَأَلۡتُمُوهُنَّ مَتَٰعٗا فَسۡـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٖۚ ذَٰلِكُمۡ أَطۡهَرُ لِقُلُوبِكُمۡ وَقُلُوبِهِنَّۚ » (الأحزاب: ٥٣).

والآية تتضمن أمرين: أحدهما: الأدب في الحضور للطعام، والجلوس بعده، والثاني: يتعلق بأمر الحجاب لزوجاته صلى الله عليه وسلم. (التفسير الوسيط: ٨ / ٢١٣).

الثالثة: ذكر سبب نزول آية الحجاب: وقد صح في ذلك ثلاث روايات:

أولها: ما سبق في حديث أنس رضي الله عنه في نزول الحجاب صبيحة عرس زينب رضي الله عنها.

وقال ابن الملقن: وكان السبب فيه أنه صلى الله عليه وسلم تزوج زينب بنت جحش، وأولم عليها، فأكل جماعة وهي مولية وجهها الحائط، ولم يخرجوا فانتظر صلى الله عليه وسلم خروجهم وجلسوا يتحدثون: فنزلت آية الحجاب. (التوضيح: ٤/ ١٢٢و٥/ ٤١٢).

ثانيها: عَنْ أنس، قال: قال عُمَرُ: "وقُلْتُ: يا رَسُولَ اللهِ، يَدْخُلُ عَلَيْكَ البَرُّ والفاجِرُ، فلوْ أمَرْتَ أمَّهاتِ المُؤْمِنِينَ بالحِجابِ؛ فأنْزَلَ اللهُ آيَةَ الحِجابِ..." (صحيح البخاري: ٤٤٨٣ و٤٧٩٠).

وقال القرطبي: ويزول ذلك الإشكال بأن يقال: إن الآية نزلت عند مجموع السببين: فيكون عمر قد تقدم قوله: احجب نساءك، وكرر ذلك عليه إلى أن اتفقت قصة بناء زينب: فصدقت نسبة نزول الآية لكل واحد من ذينك السببين. (المفهم: ٥/ ٤٩٦).

ثالثها: عَنْ عَائِشَةَ أن عمر رضي الله عنه قال: "احْجُبْ نِسَاءَكَ، فَلَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَفْعَلُ"، فَخَرَجَتْ سَوْدَةُ زَوْجُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لَيْلَةً مِنَ اللَّيَالِي عِشَاءً، وَكَانَتِ امْرَأَةً طَوِيلَةً: فَنَادَاهَا عُمَرُ: أَلَا قَدْ عَرَفْنَاكِ يَا سَوْدَةُ: حِرْصًا عَلَى أَنْ يَنْزِلَ الحِجَابُ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ آيَةَ الحِجَابِ. (البخاري: ١٤٦).

قال ابن كثير: هكذا وقع في هذه الرواية، والمشهور أن هذا كان بعد نزول الحجاب. فعن عائشة، رضي الله عنها، قالت: خرجت سودة بعدما ضرب الحجاب لحاجتها، وكانت امرأة جسيمة لا تخفى على من يعرفها، فرآها عمر بن الخطاب فقال: يا سودة، أما والله ما تخفين علينا، فانظري كيف تخرجين؟ قالت: فانكفأت راجعة فقالت: يا رسول الله، إني خرجت لبعض حاجتي، فقال لي عمر كذا وكذا. قالت: فأوحى الله إليه، ثم رفع عنه وإن العرق في يده، ما وضعه، فقال: "إنه قد أذن لكن أن تخرجن لحاجتكن". (البخاري ٤٧٩٥). وابن كثير (٦/ ٤٥٤).

وجمع ابن حجر بين الروايات فقال: ثم نزل الحجاب: فتسترن بالثياب لكن كانت أشخاصهن ربما تتميز، ولهذا قال عمر لسودة في المرة الثانية بعد نزول الحجاب: أما والله ما تخفين علينا... وطريق الجمع بينها أن أسباب نزول الحجاب تعددت وكانت قصة زينب آخرها للنص على قصتها في الآية. (فتح الباري: ١/ ٢٤٩).

الرابعة: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان ينتظر الوحي في الأمور الشرعية: لأنه لم يأمرهن بالحجاب مع وضوح الحاجة إليه حتى نزلت الآية وكذا في إذنه لهن بالخروج، والله أعلم. (فتح الباري: ١/ ٢٥٠). قلت: وهكذا ينبغي أن يكون: بحيث لا نكون إلا خلف الوحي.

الخامسة: قال ابن حجر: وفي الحديث من الفوائد مشروعية الحجاب لأمهات المؤمنين: قال عياض: فرض الحجاب مما اختصصن به فهو فرض عليهن بلا خلاف في الوجه والكفين فلا يجوز لهن كشف ذلك في شهادة ولا غيرها ولا إظهار شخوصهن وإن كن مستترات إلا ما دعت إليه ضرورة من براز، ثم استدل بما في الموطأ أن حفصة لما توفي عمر

Upload by : altawhedmag.com

سترها النساءَ عنْ أنْ يُرى شخصُها، وأنَّ زينبَ بنتَ جحشٍ جُعلتْ لها القبةُ فوقَ نعشِها؛ ليستترَ شخصُها انتهى، وليس فيما ذكرهُ دليلٌ على ما ادَّعاهُ من فرضِ ذلكَ عليهنَّ، وقدْ كنَّ بعدَ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يخرجْنَ، ويطُفْنَ وكانَ الصحابةُ ومنْ بعدَهُمْ يسمعونَ منهنَّ الحديثَ، وهنَّ مستترات الأبدانِ لا الأشخاصِ، وقد تقدم في الحج قولُ ابنِ جريجٍ لعطاءٍ لما ذكرَ لهُ طوافَ عائشةَ أقبلَ الحجابِ، أوْ بعدَهُ قالَ: قدْ أدركتُ ذلكَ بعدَ الحجابِ.

السادسة: فيه منقبة لأنس رضي الله عنه من قولِه: "وكُنْتُ أعلمَ النَّاسِ بشأنِ الحجابِ" أيْ: بسببِ نزولِه وإطلاقُ مثلِ ذلكَ جائزٌ للإعلامِ لا للإعجابِ.

وقولُهُ "وقدْ كانَ أبيُّ بنُ كعبٍ يسألُني عنْهُ" فيه إشارةٌ إلى اختصاصِه بمعرفتِه لأنَّ أبيَّ بنَ كعبٍ أكبرُ منْهُ علمًا وسنًّا وقدرًا. (فتح الباري: ٨/ ٥٣٠). وفيه منقبة لأبيٍّ رضي الله عنه؛ وفيه الرجوع للمختص بعلم ما، ولو كان دون الراجع بصفة عامة.

السابعة: في بيان القول الراجح، وهو أن الحجاب عام لجميع المؤمنات؛ لعموم العلة المذكورة

قال الشنقيطي: قولُ كثيرٍ منَ النَّاسِ إنَّ آيةَ الحجابِ خاصَّةٌ بأزواجِ النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ، لا يصحُّ؛ لأنَّ في نفسِ الآيةِ قرينةً تدلُّ على عدمِ صحةِ ذلكَ القولِ؛ وذلكَ أنَّ تعليلَه -تعالى- لهذا الحكمِ الذي هوَ إيجابُ الحجابِ بكونِه أطهرَ لقلوبِ الرِّجالِ، والنِّساءِ منَ الرِّيبةِ، في قولِه تعالى: «ذلكُمْ أطهرُ لقلوبِكُمْ وقلوبِهنَّ» قرينةٌ واضحةٌ على إرادةِ تعميمِ الحكمِ؛ إذْ لمْ يقلْ أحدٌ منْ جميعِ المسلمينَ إنَّ غيرَ أزواجِ النَّبيِّ -صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ- لا حاجةَ إلى أطهريَّةِ قلوبِهنَّ، وقلوبِ الرِّجالِ منَ الرِّيبةِ منْهنَّ.

وقدْ تقرَّرَ في الأصولِ: أنَّ العلةَ قدْ تُعمَّمُ معلولُها، وبما ذكرْنا تعلمُ: أنَّ في هذهِ الآيةِ الكريمةِ الدَّليلَ الواضحَ على أنَّ وجوبَ الحجابِ حكمٌ عامٌّ في جميعِ النِّساءِ، لا خاصٌّ بأزواجِه صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ، وإنْ كانَ أصلُ اللَّفظِ خاصًّا بهنَّ؛ لأنَّ عمومَ علَّتِه دليلٌ على عمومِ الحكمِ فيه، ومسلكُ العلةِ الذي دلَّ على أنَّ قولَهُ تعالى: «ذلكُمْ أطهرُ لقلوبِكُمْ وقلوبِهنَّ» هوَ علةُ قولِه تعالى: «فاسألوهنَّ منْ وراءِ حجابٍ»، هوَ المسلكُ المعروفُ في الأصولِ بمسلكِ الإيماءِ والتَّنبيهِ، وضابطُ هذا المسلكِ المنطبقِ على جزئياتِه، هوَ أنْ يقترنَ وصفٌ بحكمٍ شرعيٍّ على وجهٍ لوْ لمْ يكنْ فيه ذلكَ الوصفُ علةً لذلكَ الحكمِ؛ لكانَ الكلامُ معيبًا عندَ العارفينَ... فقولُهُ تعالى: «ذلكُمْ أطهرُ لقلوبِكُمْ وقلوبِهنَّ»، لوْ لمْ يكنْ علةً؛ لقولِه تعالى: «فاسألوهنَّ منْ وراءِ حجابٍ»، لكانَ الكلامُ معيبًا غيرَ منتظمٍ عندَ الفطنِ العارفِ.

وإذا علمتَ أنَّ قولَهُ تعالى: «ذلكُمْ أطهرُ لقلوبِكُمْ وقلوبِهنَّ»، هوَ علةُ قولِه: «فاسألوهنَّ منْ وراءِ حجابٍ»، وعلمتَ: أنَّ حكمَ العلةِ عامٌّ؛ فاعلمْ: أنَّ العلةَ قدْ تُعمَّمُ معلولُها، وقدْ تُخصَّصُه وبه تعلمُ: أنَّ حكمَ آيةِ الحجابِ عامٌّ؛ لعمومِ علتِه، وإذا كانَ حكمُ هذهِ الآيةِ عامًّا بدلالةِ القرينةِ القرآنيةِ.

فاعلمْ: أنَّ الحجابَ واجبٌ بدلالةِ القرآنِ على جميعِ النِّساءِ... ثم قال: وإذا علمتَ بما ذكرْنا أنَّ حكمَ آيةِ الحجابِ عامٌّ، وأنَّ ما ذكرْنا معها منَ الآياتِ فيه الدَّلالةُ على احتجابِ جميعِ بدنِ المرأةِ عنِ الرِّجالِ الأجانبِ، علمتَ أنَّ القرآنَ دلَّ على الحجابِ، ولوْ فرضْنا أنَّ آيةَ الحجابِ خاصَّةٌ بأزواجِه صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ؛ فلا شكَّ أنَّهنَّ خيرُ أسوةٍ لنساءِ المسلمينَ في الآدابِ الكريمةِ المقتضيةِ للطَّهارةِ التَّامَّةِ وعدمِ التَّدنُّسِ بأنجاسِ الرِّيبةِ، فمنْ يحاولُ منعَ نساءِ المسلمينَ كالدَّعاةِ للسُّفورِ، والتَّبرُّجِ، والاختلاطِ اليومَ منَ الاقتداءِ بهنَّ في هذا الأدبِ السَّماويِّ الكريمِ المتضمِّنِ سلامةَ العرضِ والطَّهارةَ منْ دنسِ الرِّيبةِ غاشٌّ لأمَّةِ محمَّدٍ صلى الله عليه وسلم مريضُ القلبِ كما ترى.... ثم قال: فالعجبُ كلُّ العجبِ، ممَّنْ يدَّعي منَ المنتسبينَ للعلمِ أنَّه لمْ يردْ في الكتابِ ولا السُّنَّةِ ما يدلُّ على سترِ المرأةِ وجهَها عنِ الأجانبِ. أضواء البيان (٦/ ٢٤٢).

وليس هذا موضع تقرير الأدلة ورد ما اعترض به عليها، وإنما هو تأريخ لهذا التشريع قرنته ببعض الفوائد.

والحمد لله رب العالمين.

Upload by : altawhedmag.com

الحمد لله رب العالمين، وأشهد ألا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله -صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم-.

أما بعد: فموضوعنا هذا العدد عن واقعة شديدة منكرة قام بها أعداء الإسلام انطلاقا من عقيدتهم في كُرْه الإسلام وجحد آيات الله!

فما هي تلك الواقعة؟ إنها سرية الرجيع!!

"الرجيع" بفتح الراء، وكسر الجيم: ماء لقبيلة هذيل بين عسفان ومكة: على ثمانية أميال من عسفان: كانت الوقعة بقرب منه فسميت به. فتح الباري (٧/ ٣٧٩).

-تاريخ السرية: كانت هذه السرية في شهر صفر من السنة الرابعة للهجرة. عمدة القاري (١٤/ ٩١).

- سياق الحدث: عن أبي هريرة-رضي الله عنه- قال: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة رهط سرية عينا-جاسوسا- وأمر عليهم عاصم بن ثابت الأنصاري: فانطلقوا، حتى إذا كانوا بالهداة- بسكون الدال بعدها همزة مفتوح- ذكروا لحي من هذيل، يقال لهم بنو لحيان، فنفروا لهم قريبا من مائتي رجل-كلهم رام-: فاقتصوا آثارهم فلما رآهم عاصم، وأصحابه لجؤوا إلى فدفد -أي: إلى موضع مرتفع- وأحاط بهم القوم: فقالوا لهم: انزلوا وأعطونا بأيديكم، ولكم العهد والميثاق، ولا نقتل منكم أحدا، فقال عاصم بن ثابت-رضي الله عنه- أمير السرية: أما أنا فوالله لا أنزل اليوم في ذمة كافر، اللهم أخبر عنا نبيك، فرموهم بالنبل: فقتلوا عاصما في سبعة.

وبقي خبيب وزيد ورجل آخر (عبد الله بن طارق) فأعطوهم العهد، والميثاق، فلما أعطوهم العهد، والميثاق نزلوا إليهم، فلما استمكنوا منهم حلوا أوتار قسيهم: فربطوهم بها، فقال الرجل الثالث الذي معهما: هذا أول الغدر: فأبى أن يصحبهم: فجروه وعالجوه على أن يصحبهم فلم يفعل: فقتلوه.

وانطلقوا بخبيب، وزيد حتى باعوهما بمكة: فاشترى خبيبا بنو الحارث بن عامر بن نوفل، وكان خبيب هو قتل الحارث يوم بدر، فمكث عندهم أسيرا، حتى إذا أجمعوا قتله، استعار موسى من بعض بنات الحارث: ليستحد بها فأعارته، قالت: فغفلت عن صبي لي، فدرج إليه حتى أتاه فوضعه على فخذه، قال: فلما رأيته فزعت فزعة عرف ذاك مني، وفي يده الموسى، فقال: أتخشين أن أقتله؟ ما كنت لأفعل ذاك إن شاء الله، وكانت تقول: ما رأيت أسيرا قط خيرا من خبيب، لقد رأيته يأكل من قطف عنب-أي عنقود- وما بمكة يومئذ ثمرة، وإنه لموثق في الحديد، وما كان إلا رزق رزقه الله، فخرجوا به من الحرم -إلى التنعيم- ليقتلوه، فقال: دعوني أصلي ركعتين، ثم انصرف إليهم، فقال: لولا أن تروا أن ما بي جزع من الموت لزدت، فكان أول من سن الركعتين عند القتل

Upload by : altawhedmag.com

هو. ثم قال: اللهم أحصهم عددا، واقتلهم بددا، ولا تبق منهم أحدا، ثم قال:

ما أبالي حين أقتل مسلما

على أي شق كان لله مصرعي.

وذلك في ذات الإله وإن يشأ

يبارك على أوصال شلو ممزع

(أي: "على أعضاء جسم مقطع" النهاية (٥/ ١٦٨)، والفتح: (٨/ ١٣٧))

ثم قام إليه عقبة بن الحارث فقتله. وبعثت قريش إلى عاصم ليؤتوا بشيء من جسده يعرفونه، وكان عاصم قتل عظيما من عظمائهم يوم بدر، فبعث الله عليه مثل الظلة من الدبر، فحمته من رسلهم، فلم يقدروا منه على شيء وفي رواية "فلم يقدروا على أن يقطعوا من لحمه شيئا" البخاري (٣٠٤٥و٣٩٨٩ و٤٠٨٦)

وفيه فوائد:

١- سببها: ذكر العلماء لها سببين:

الأول ما في الحديث: وهو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث عشرة رهط سرية عينا أي- متجسسا- يأتيه بأخبار قريش.

الثاني: ذكر ابن إسحاق أنه قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أحد رهط من عضل والقارة: فقالوا: يا رسول الله، إن فينا إسلاما، فابعث معنا نفرا من أصحابك يفقهوننا في الدين، ويقرئوننا القرآن، ويعلموننا شرائع الإسلام فبعث معهم عددا من أصحابه. ابن هشام (٢/ ١٦٩).

والجمع ممكن بأن يكون الطلب وقع هؤلاء، كما في رواية ابن إسحاق، وكلفهم النبي صلى الله عليه وسلم بمعرفة أخبار الأعداء في أثناء القيام بهذا العمل؛ كما في رواية البخاري.

٢- فيه: أن عددهم كان عشرة لقوله: "بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة رهط سرية عينا"؛ فهذا صريح في أن عددهم كان عشرة..

وخالف ابن إسحاق: فقال: فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم نفرا ستا من أصحابه. وقال السهيلي: وفي البخاري: أنهم كانوا عشرة وهو أصح. والله أعلم. الروض الأنف (٦/ ١٢٣).

٣- قوله " وأمر عليهم عاصم بن ثابت" كذا في الصحيح.

وقد خالف ابن إسحاق البخاري في موضعين:

فعند البخاري: أنهم كانوا عشرة، وعنده: أنهم كانوا ستة. وعند البخاري: أن كبيرهم عاصم بن ثابت، وعند ابن إسحاق: أنه مرثد.

فإذا رجحنا: تعين ترجيح رواية البخاري: لأنها مسألة رواية بلا شك، والعمدة فيها على السند، وإسناد البخاري متصل، وأما ابن إسحاق: فلم يجاوز به عاصم بن عمر بن قتادة، وهو وإن كان ثقة عالما بالمغازي، لكنه من صغار التابعين الذين جل روايتهم عن كبار التابعين. ومثل هذا لا يقدم على الصحيح المسند خاصة إذا كان عند البخاري؛ فهو إمام الأئمة في هذا الشأن. التقريب (٣٠٧١).

قال ابن حجر: وما في الصحيح أصح. فتح الباري (٧/ ٣٨٠).

وإذا لم نرجح أمكن الجمع: لأن ذكر الأقل لا ينفي الأكثر: وذكر أمير يحتمل أن يكون الثاني نائبا عنه: أو أن لكل واحد اختصاصا دون الآخر.

قال ابن حجر: وجمع غيره بأن أمير السرية مرثد. وأن أمير العشرة عاصم بناء على التعدد. فتح الباري (٧/ ٣٨٠).

٤- حرص السلف على العمل بالسنة في أحرج الأوقات: لأن استعار موسى "ليستحد بها" أي: يحلق عانته. الفتح (٧/ ٣٨٢).

٥- أن للأسير أن يمتنع من قبول الأمان، ولا يمكن من نفسه ولو قتل. أنفة من أن يجري عليه حكم كافر، وهذا إذا أراد الأخذ بالشدة، فإن أراد الأخذ بالرخصة له أن يستأمن.

٦- قوله لما خرجوا ليقتلوه: "دعوني أصل" فيه الصلاة عند القتل. وفيه: مثال على السنة التقريرية: لأنه عليه الصلاة والسلام لم ينكر ذلك، ولا يخفى بطلان الاستدلال به على البدع في الدين.

٧- قوله "ثم قال: اللهم أحصهم عددا واقتلهم بددا-أي متفرقين- ولا تبق منهم أحدا" فيه جواز الدعاء على الكفار بمثل هذا الدعاء: لأن هذه الحادثة حصلت في العهد النبوي: فأقرها الرسول صلى الله عليه وسلم، ولم ينكر على خبيب دعاءه.

٨- استجابة الله لدعوة خبيب: قال البيهقي: ورويا عن بريدة بن سفيان استجابة الله دعاء خبيب على الذين قتلوه: فلم يحل الحول ومنهم أحد غير رجل لبد بالأرض حين رآه يدعو"

Upload by : altawhedmag.com

الاعتقاد للبيهقي (ص: ٣١٠)، وأخرجه سعيد في سننه (٢٨٣٧).

٩- حُب خبيب للنبي صلى الله عليه وسلم؛ وذلك أنهم " ناشدوه: أتحبُ مُحمّدًا مكانك؟ فقال: لا والله العظيم ما أحبُ أن يُفدِيني بشوكة يُشاكها في قدمه!"

١٠- فيه دلالة على قوة يقين خُبيب-رضي الله عنه- وشدته في دينه.

١١- وقع مثل ذلك - أيضا- لزيد بن الدثنة؛ حيث أخرجوه من الحرم؛ ليقتلوه. حيث سأله أبو سفيان حين قدم ليُقتل: "أنشدك الله يا زيد، أتحبُ أن مُحمّدًا عندنا الآن في مكانك"؟ قال: والله ما أحبُ أن مُحمّدًا الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبُه شوكة تؤذيه، وأني جالس في أهلي. قال: يقول أبو سفيان: ما رأيت من الناس أحدًا يُحبُ أحدًا كحُب أصحاب مُحمد مُحمدًا، ثم قتله نسطاس. يرحمه الله. سيرة ابن هشام (٢/ ١٧٢)، وانارة الدجى (٤١٤).

١٢- وفيه الوفاء للمُشركين بالعهد، والتورع عن قتل أولادهم.

١٣- وفيه استجابة دُعاء المُسلم، وإكرامه حيًا ومَيتًا. فتح الباري (٨/ ١٣٨).

١٤- فيه مثال عملي على قوله: "وما يعلمُ جُنود ربك إلا هو" وذلك أن الدبر وهي حشرة صغيرة منعت عاصمًا منهم بعد موته، وحمته من رُسلهم قد يقدروا منه على شيء... ثم بعث الله مطرًا، فصار سيلًا، فاحتمل عاصمًا، فذهب به، وقد كان عاصم قد أعطى الله عهدًا: أن لا يمسه مُشرك، ولا يمس مُشركًا أبدًا. سيرة ابن هشام (٣/ ١٨٩)، وفتح الباري (٨/ ١٣٨).

١٥- قوله: "لقد رأيته يأكل من قطف عنب مثل رأس الرجل، وما بمكة يومئذ ثمرة، وإنه لموثق في الحديد، وما كان إلا رزق رزقه الله": قال البيهقي: وفي هذا الحديث الصحيح كرامات ظهرت على من سُمي فيه. الاعتقاد للبيهقي (٣١٠).

١٦- ليس كل خارق للعادة كرامة؛ لأن الخارق قد يظهر على يد المُبطل من ساحر وكاهن وراهب؛ فيحتاج من يستدل بذلك على ولاية أولياء الله تعالى إلى فارق، وأولى ما ذكروه: أن يختبر حال من وقع له ذلك: فإن كان متمسكا بالأوامر الشرعية والنواهي، كان ذلك علامة ولايته، ومن لا فلا. وبالله التوفيق. فتح الباري (٧/ ٣٨٣).

١٧- في الخبر جملة يظهر حكمة الله البالغة بأن يلهم رسوله صلى الله عليه وسلم: أن يبعث مثل هؤلاء الرهط فيكتب لهم الشهادة، ويعودوا قدوة لمن يأتي بعدهم إلى يوم القيامة، في امتناع عن امتناع عن النزول على حكم مشرك. وصبر من صبر لما غدر به الكفار، فكل هؤلاء قدوة بصورة حالة؛ ليكون الامتناع عن النزول على حكم مشرك رضى بتعجل الشهادة إلى يوم القيامة، أيضا سائغا غير مكروه ولا محظور اقتداء بعاصم بن ثابت؛ وليكون النزول على حكم المشركين رضى بعهدهم وأمانهم مباحا اقتداء بخبيب بن عدي رضي الله عنه. وليبتلي الله عباده المؤمنين بمثل هذه الحادثة؛ ليميز الله من ثبت إيمانه عندها ممكن يضطرب قلبه، ويتبع وساوس الشيطان.

١٨- فإن قيل: كيف يرسل النبي صلى الله عليه وسلم قومًا تكون هذه عاقبتهم؟ وإنما كان ذلك بحكم من الله سبحانه، منها: أن يكشف الله بهم المنافقين حول نبيه صلى الله عليه وسلم، مع فوز من فاز بالشهادة مكتوبا له أجر من اقتدى به في عمله.

١٩- ما يدل على صدق عزم خبيب، وحسن ثبات عقله وإيمانه، حين قال هذا الشعر في مثل تلك الحالة الشديدة على تقبل الموت، ومعاينة القتل بأيدي الأعداء.

ومن شعره:

لقد جمع الأحزاب حولي وألبوا
قبائلهم واستجمعوا كل مجمع
وقد جمعوا أبناءهم ونساءهم
وقربت من جذع طويل ممنع
وذلك في ذات الإله وإن يشا
يبارك على أوصال شلو ممزع
لعمري ما أحفل إذا مت مسلما
على أي حال كان لله مضجعي

المعجم الكبير للطبراني (٥٢٨٤).

٢٠- أما إخبار النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه بما جرى للقوم قبل وصول الخبر، فإنه يدل على نبوته صلى الله عليه وسلم. الإفصاح (٧/ ٣٥٨).

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

Upload by : altawhedmag.com

سَرِيَّة القُرَّاء وفَاجِعَة بِئْر مَعُونَة

إعداد: د. سيد عبد العال

الحمد لله رب العالمين، وأشهد ألا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم. أما بعد: فموضوعنا في هذا العدد مع واقعة عظيمة، وفاجعة أليمة تترجم عن مدى التعصب والغدر والخيانة لدى أعداء الإسلام انطلاقًا من عقيدتهم الباطلة. فما هي تلك الواقعة؟ إنها واقعة بئر معونة، أو سرية القراء.

أولًا: ذكر الحديث مجملًا

عَنْ أَنَس بْن مَالك رضي الله عنه قَالَ: جاء نَاسٌ مِنْ بَنِي عَامر إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلَّم؛ فَقَالُوا: ابْعَثْ مَعَنَا رِجَالًا يُعَلِّمُونَا الْقُرْآن وَالسُّنَّة؛ فَبَعَث إِلَيْهِمْ رَسُول الله صلى الله عليه وسلَّم سَبْعِين رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَار كُنَّا نُسَمِّيهِمْ: الْقُرَّاء فِيهِمْ خَالِي حَرَام بْن مِلْحَان، وَكَانُوا يَقْرَءُون الْقُرْآن، وَيَتَدَارَسُون بِاللَّيْل يَتَعَلَّمُونَ، وَكَانُوا بِالنَّهَار يَجِيئُون بِالْمَاء؛ فَيَضَعُونَه فِي الْمَسْجِد، وَيَحْتَطِبُونَ؛ فَيَبِيعُونَه، وَيَشْتَرُون بِه الطَّعَام لِأَهْل الصُّفَّة، وَلِلْفُقَرَاء؛ فَبَعَثَهُمْ رَسُول الله صلى الله عليه وسلَّم إِلَيْهِمْ؛ فَعَرَض لَهُمْ حَيَّان مِنْ بَنِي سُلَيْم: رِعْل وَذَكْوَان عِنْد بِئْر يُقَال لَهَا: بِئْر مَعُونَة؛ فَلَمَّا قَدِمُوا؛ قَالَ خَالِي لِأَمِيرهِمْ: دَعْنِي أَتَقَدَّمُكُمْ فَلْأُخْبِرْ هَؤُلَاء أَنَّا لَسْنَا إِيَّاهُمْ نُرِيد حَتَّى يُخْلُوا وَجْهَنَا فَإِنْ أَمَّنُونِي حَتَّى أُبَلِّغَهُمْ عَن رَسُول الله- صلى الله عليه وسلَّم- وَإِلَّا كُنْتُمْ مِنِّي قَرِيبًا، فَتَقَدَّم فَأَمَّنُوهُ؛ فَقَالَ: وَالله مَا إِيَّاكُمْ أَرَدْنَا، إِنَّمَا نَحْن مُجْتَازُون فِي حَاجَة لِلنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلَّم فَبَيْنَمَا يُحَدِّثُهُمْ عَنْ رَسُول الله صلى الله عليه وسلَّم إِذْ أَوْمَئُوا إِلَى رَجُل مِنْهُمْ؛ فَأَتَاه مِنْ خَلْفه؛ فَطَعَنَه حَتَّى أَنْفَذَه بِالرُّمْح؛ فَقَال حَرَام بِالدَّم هَكَذَا؛ فَنَضَحَه عَلَى وَجْهه وَرَأْسه ثُمَّ قَال الله أَكْبَر، فُزْت وَرَبِّ الْكَعْبَة ثُمَّ مَالُوا عَلَى بَقِيَّة أَصْحَابه فَقَتَلُوهُمْ.

وذلك أن عامرًا قال: لا أحسبه إلا أن له أصحابًا، فاقتصوا أثره، حتى أتوهم ثم استنفر عدو الله لفوره بني عامر إلى قتال الباقين، فلم يجيبوه؛

Upload by : altawhedmag.com

لأجل جوار أبي براء؛ فاستنفر بني سليم، فأجابته عصية ورعل وذكوان؛ فجاءوا حتى أحاطوا بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقاتلوا حتى قتلوا عن آخرهم إلا رجلا أعرج كان في رأس جبل؛ فقالوا: اللهم بلغ عنا نبينا: أنا قد لقيناك فرضينا عنك، ورضيت عنا؛ فأخبر جبريل عليه السلام النبي صلى الله عليه وسلم أنهم قد لقوا ربهم فرضي عنهم وأرضاهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه: إن إخوانكم قد قتلوا، وإنهم قالوا: اللهم بلغ عنا نبينا أنا قد لقيناك؛ فرضينا عنك، ورضيت عنا قال أنس: وأنزل في الذين قتلوا ببئر معونة قرآن قرأناه أن: "بلغوا قومنا أن قد لقينا ربنا فرضي عنا ورضينا عنه"، ثم نسخ بعد "فما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم حزن حزنا قط أشد منه عليهم؛ فلقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في صلاة الغداة رفع يديه يدعو على قتلتهم أربعين صباحا، وفي رواية: ثلاثين صباحا يقول: اللهم العن بني لحيان، ورعلا، وذكوان، وعصية؛ الذين عصوا الله ورسوله وذلك بدء القنوت وما كنا نقنت فلما كان بعد ذلك إذا أبو طلحة يقول لي: هل لك في قاتل حرام؟ فقلت له: ما له فعل الله به وفعل قال: مهلا فإنه قد أسلم. (صحيح البخاري (٢٦٤٧و٢٨٩٩و٣٨٦٠و٣٨٦٤)، وصحيح مسلم (٦٧٧).

ثانيا: الفوائد والدروس والعبر:

١- بئر معونة بفتح الميم وضم المهملة وسكون الواو بعدها نون موضع في بلاد هذيل بين مكة وعسفان وهذه الوقعة تعرف بسرية القراء وكانت مع بني رعل وذكوان.

فأما رعل: فبكسر الراء، وسكون المهملة بطن من بني سليم ينسبون إلى رعل بن عوف بن مالك بن امرئ القيس بن لهيعة بن سليم. وأما ذكوان: فبطن من بني سليم -أيضا- ينسبون إلى ذكوان بن ثعلبة بن بهثة بن سليم فنسبت الغزوة إليهما. فتح الباري (٧/ ٣٧٩).

٢- تاريخها: كانت في صفر من السنة الرابعة للهجرة "أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أحد بقية شوال، وذا القعدة، وذا الحجة وولي تلك الحجة المشركون، والمحرم، ثم بعث أصحاب بئر معونة في صفر على رأس أربعة أشهر من أحد" المعجم الكبير للطبراني (٨٤١).

وهذا صريح في أنها كانت في نفس الشهر الذي كان فيه بعث الرجيع، ولعل هذا أحد أسباب إيراد البخاري لهما في ترجمة واحدة في الصحيح؛ حيث قال: باب غزوة الرجيع، ورعل، وذكوان، وبئر معونة، وحديث عضل، والقارة، وعاصم بن ثابت، وخبيب وأصحابه. قال ابن حجر: سياق هذه الترجمة يوهم أن غزوة الرجيع وبئر معونة شيء واحد وليس كذلك، وكأن المصنف أدرجها معها لقربها منها، وذكر الواقدي: أن خبر بئر معونة، وخبر أصحاب الرجيع جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم في ليلة واحدة، ولم يرد المصنف: أنهما قصة واحدة، والله أعلم. فتح الباري (٧/ ٣٨٠).

٣- جاء في سببها ثلاث روايات:

الأولى: عن أنس رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم أتاه رعل، وذكوان؛ فزعموا: أنهم قد أسلموا، واستمدوه على قومهم، فأمدهم النبي صلى الله عليه وسلم بسبعين من الأنصار. البخاري (٣٠٦٤).

الثانية: أنه صلى الله عليه وسلم أرسل سبعين رجلا لحاجة، يقال لهم القراء..." البخاري (٤٠٨٨).

الثالثة: أن أبا براء عامر بن مالك المعروف بملاعب الأسنة قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة، فعرض عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم الإسلام، ودعاه إليه، فلم يسلم ولم يبعد من الإسلام، وقال: يا محمد، لو بعثت رجالا من أصحابك إلى أهل نجد، فدعوهم إلى أمرك، رجوت أن يستجيبوا لك...فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعين رجلا من أصحابه... الحديث. (مصنف عبد الرزاق (١٠٤٧٩و١٩٦٥٨)، وابن سعد في الطبقات الكبرى (٢/ ٢٧٥). قال ابن حجر: رجاله ثقات إلا أنه مرسل وقد وصله بعضهم عن الزهري ولا يصح. فتح الباري (٥/ ٢٣٠)، وصححه الألباني في الصحيحة (١٧٢٧).

ولا تعارض بين الروايات السابقة؛ لأنه يحتمل:

Upload by : altawhedmag.com

أن أبا براء جاء للنبي صلى الله عليه وسلم وتزامن مع مجيئه مجيء جماعة أظهروا الإسلام؛ فبعث النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه معهم وهذا تفسيرٌ للحاجة المذكورة في الرواية الأخرى؛ أي: أنه بعثهم؛ مددًا لدعوتهم إلى الإسلام؛ وهذا هو القصد من الإمداد المذكور أي أنه أمدهم بأناس للدعوة لا للحرب. فتح الباري (٧/ ٣٨٦) بتصرف.

٤- عددهم: قال ابن القيم: فبعث معه أربعين رجلًا في قول ابن إسحاق. وفي الصحيح "أنهم كانوا سبعين" والذي في الصحيح هو الصحيح. زاد المعاد (٣/ ٢٢١).

وقال ابن حجر: يحتمل: أن الأربعين كانوا رؤساء وبقية العدة أتباعًا. الفتح (٧/ ٣٨٧).

٥- "فزت ورب الكعبة" أي: بما أعدّ الله للشهداء؛ وهو كلام يدل على أن قائله قد كان حريصًا على الشهادة؛ فلما قضيت له تحقق الفوز بها فقال: فزت. وقوله: ورب الكعبة: يمين نشأت عن إيمان منه، بأن الشهادة في سبيل الله فوز. الإفصاح (٥/ ٩٠)، والمفهم (٣/ ٧٤١).

٦- إن هذا المشهد يجعل أقسى القلوب وأعظمها تحجرًا يتأثر، ويستصغر نفسه أمام هؤلاء العظماء الذين لا تصفر وجوههم فزعًا من الموت، وإنما يعلوها البشر والسرور، وتغشاها السكينة والطمأنينة، وهذا الموقف الخارق للعادة يدعونا للتساؤل: هل يتعرض الشهيد لألم الموت؟ وتأتينا الإجابة الشافية في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما يجد الشهيد من مسّ القتل إلا كما يجد أحدكم من مسّ القرصة. أخرجه الترمذي (١٦٦٨) وقال: حسنٌ غريبٌ صحيحٌ.

فللشهيد منزلة خاصة عند الله، فجزاء الثمن الباهظ الذي يدفعه وهو روحه رخيصة في سبيل الله عز وجل لم يبخسه أعدل العادلين حقه فكافأه مكافأة بست جوائز كل واحدة منها تعدل الدنيا بمن فيها.

فعن المقدام بن معدي كرب الكندي، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن للشهيد عند الله ستّ خصال: أن يُغفر له في أول دفعة من دمه، ويرى قال الحكم: ويرى مقعده من الجنة، ويحلّى حلة الإيمان، ويزوّج من الحور العين، ويجار من عذاب القبر، ويأمن من الفزع الأكبر، ويوضع على رأسه تاج الوقار، الياقوتة منه خيرٌ من الدنيا وما فيها، ويزوّج اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين، ويشفع في سبعين إنسانًا من أقاربه" (صحيح أخرجه أحمد ١٧١٨٢).

٧- لقد تأثر القاتل جبار بن سلمى حتى قال: إن مما دعاني إلى الإسلام أني طعنت رجلًا منهم يومئذ بالرمح بين كتفيه، فنظرت إلى سنان الرمح حين خرج من صدره، فسمعته يقول: فزت والله! فقلت في نفسي: ما فاز! ألست قد قتلت الرجل! قال: حتى سألت بعد ذلك عن قوله، فقالوا: للشهادة، فقلت: فاز لعمر الله. (سيرة ابن هشام ٢/ ١٨٧).

لا بد للدعوة من تضحيات؛ فرغم ما في هذه الواقعة من الألم إلا أن ذلك لم يفت في عضد المسلمين، ولا فتر من حميتهم في الدعوة إلى الله ولا كسر من عزمهم في مواصلة الدعوة وخدمة دين الله؛ لأن مصلحة الدعوة فوق الأنفس والدماء. المفصل في السيرة النبوية (١٤٠٧).

٨- فيه فضيلة لهؤلاء القراء لقولهم: "بلغوا عنا إخواننا أنا قد لقينا ربنا فرضي عنا وأرضانا" مستخرج أبي عوانة (٧٣٤٦). وفي رواية "فأخبر جبريل عليه السلام النبي صلى الله عليه وسلم، أنهم قد لقوا ربهم، فرضي عنهم، وأرضاهم"، فكنا نقرأ: أن بلغوا قومنا أن قد لقينا ربنا فرضي عنا، وأرضانا ثم نسخ بعد" البخاري (٢٨٠١).

٩- وفيه جواز أن يجد المؤمن على فقدان أخيه المؤمن استيحاشًا لفقده، وإن كان المفقود من أهل الجنة.

١٠- فيه دليل على أن أهل الحق قد ينال منهم المبطلون، ولا يكون ذلك دالًا على فساد ما عليه أهل الحق، بل كرامة لهم وشقاء لأهل الباطل، فإن هؤلاء حين بعثهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأصيبوا كلهم كان ذلك فتنة للكافرين، ثم إن الله عز وجل أظهر دينه، وأعلا كلمته، ولم يضر ذلك الحق شيئًا. الإفصاح (٥/ ٩٤).

وفي الخبر فوائد وعبر أخرى نذكرها في العدد القادم إن شاء الله.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

Upload by : altawhedmag.com

الحلقة 2

فاجعة بئر مَعُونة

دروس وعبر

إعداد: د. سيد عبد العال

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم. أما بعد: فما زلنا نسرد الفوائد والعبر من واقعة بئر معونة.

وقبل أن نذكر هذه الفوائد نسوق بعض روايات القصة باختصار؛ لتكون نافذة من حجاب التاريخ نُطل منها على الواقعة، وكأنها أمامنا، لتكون مصابيح تضيء لنا الطريق:

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَتَاهُ رِعْلٌ، وَذَكْوَانُ، وَعُصَيَّةُ، وَبَنُو لِحْيَانَ، فَزَعَمُوا أَنَّهُمْ قَدْ أَسْلَمُوا، وَاسْتَمَدُّوهُ عَلَى قَوْمِهِمْ، "فَأَمَدَّهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِسَبْعِينَ مِنَ الأَنْصَارِ"، قَالَ أَنَسٌ: كُنَّا نُسَمِّيهِمُ القُرَّاءَ، يَحْطِبُونَ بِالنَّهَارِ وَيُصَلُّونَ بِاللَّيْلِ، فَانْطَلَقُوا بِهِمْ، حَتَّى بَلَغُوا بِئْرَ مَعُونَةَ، غَدَرُوا بِهِمْ وَقَتَلُوهُمْ. (البخاري ٣٠٦٤). وَأَسَرَ عَمْرُو بْنُ أُمَيَّةَ الضَّمْرِيُّ. (البخاري ١٠٩٤).

الدروس والعبر:

١- شجاعة الصحابة رضي الله عنهم وطلبهم للشهادة في سبيل الله، ويظهر ذلك من تفصيل ما وقع لعمرو بن أمية رضي الله عنه: فعَنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ، وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ حَزْمٍ وَغَيْرِهِمْ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنهم ذكروا هذه الواقعة، وقالوا فيها: فَكَانَ فِي سَرْحِ الْقَوْمِ عَمْرُو بْنُ أُمَيَّةَ الضَّمْرِيُّ، وَرَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ-أَحَدُ بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ-؛ فَلَمْ يُنَبِّئْهُمَا بِمُصَابِ إِخْوَتِهِمَا إِلَّا الطَّيْرُ تَحُومُ عَلَى الْعَسْكَرِ، فَقَالَ: وَاللَّهِ إِنَّ لِهَذِهِ الطَّيْرِ لَشَأْنًا، فَأَقْبَلَا لِيَنْظُرَا فَإِذَا الْقَوْمُ فِي دِمَائِهِمْ، ثُمَّ قَاتَلَ الْأَنْصَارِيُّ الْقَوْمَ حَتَّى قُتِلَ، وَأَخَذَ عَمْرُو بْنُ أُمَيَّةَ أَسِيرًا، فَلَمَّا أَخْبَرَهُمْ: أَنَّهُ مِنْ مُضَرَ أَطْلَقَهُ عَامِرُ بْنُ الطُّفَيْلِ؛ فَخَرَجَ عَمْرُو بْنُ أُمَيَّةَ حَتَّى إِذَا كَانَ بِالْقَرْقَرَةِ مِنْ صَدْرِ قَنَاةَ أَقْبَلَ رَجُلَانِ مِنْ بَنِي عَامِرٍ حَتَّى نَزَلَا مَعَهُ فِي ظِلِّ هُوَ فِيهِ، وَكَانَ لِلْعَامِرِيَّيْنِ عَقْدٌ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَجِوَارٌ، فَلَمْ يَعْلَمْ بِهِ عَمْرُو بْنُ أُمَيَّةَ وَقَدْ سَأَلَهُمَا حِينَ نَزَلَا: مِمَّنْ أَنْتُمَا؟ قَالَا: مِنْ بَنِي عَامِرٍ، فَأَمْهَلَهُمَا حَتَّى إِذَا نَامَا عَدَا عَلَيْهِمَا؛ فَقَتَلَهُمَا، وَهُوَ يَرَى: أَنَّهُ أَصَابَ بِهِمَا ثَأْرَهُ مِنْ بَنِي عَامِرٍ لِمَا أَصَابُوا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا قَدِمَ عَمْرُو بْنُ أُمَيَّةَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخْبَرَهُ الْخَبَرَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لَئِنْ قَتَلْتَ قَتِيلَيْنِ لَأَدِيَنَّهُمَا"

الطبراني في الكبير (٢٠/٣٥٦) وقال الهيثمي: رواه الطبراني ورجاله ثقات إلى ابن إسحاق. مجمع الزوائد (١٠١٣٢).

Upload by : altawhedmag.com

٢- سبب ذلك أن عامرا كان شديد العداوة للنبيّ صلى الله عليه وسلم؛ حيث أتى النبيّ صلى الله عليه وسلم-قبل ذلك- فقال اختر مني ثلاث خصال يكون لك أهل السهل ويكون لي أهل الوبر، أو أكون خليفة من بعدك، أو أغزوك بغطفان ألف أشقر وألف شقراء... الحديث. وعلى أثر ذلك غدر بأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم؛ فقد كان يحقد على النبي صلى الله عليه وسلم ويرى؛ أنه أخذ مكانة لابدّ أن يشركه فيها. مسند أحمد (١٣٣٩٧)، والبخاري (٤٠٩١).

٣- الوفاء بالعهد رغم شدة الألم والحزن؛ وهذا موقف رفيع؛ فقد دفع صلى الله عليه وسلم دية الرجلين العامريين اللذين قتلهما عمرو بن أمية الضمري؛ لكونهما يحملان عقدًا منه صلى الله عليه وسلم، ولم يؤاخذهما بما فعل بعض أفراد قومهما، وهذا يمثل منتهى القمة في الوفاء بالعهود.

قد كان بإمكان النبي صلى الله عليه وسلم؛ أن يعتبر عمل عمرو بن أمية جزاء من الانتقام الذي ينبغي؛ أن يواجه به المجرمون المعتدون، ولكن ما ذنب الأبرياء حتى يؤخذوا بجريرة المعتدين من قومهم! لكن التوجيهات الإسلامية الرفيعة دفعت بالمسلمين ونبيهم صلى الله عليه وسلم إلى الرقي الأخلاقي الذي لا نظير له في دنيا الناس. التاريخ للحميدي (٦/ ٥٠).

٤- كرامة لعامر بن فُهيرة رضي الله عنه؛ لقد كان عامر بن فهيرة رفيق النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وثالثهما في الهجرة إلى المدينة كما في صحيح البخاري (٤٠٩٣) حدّثنا عُبيدُ بْنُ إسماعيل، حدّثنا أبُو أسامة، عنْ هشام، عنْ أبيه، عن عائشة رضي الله عنها؛ أنها ذكرت حديث الهجرة؛ فقالت: وكانتْ لأبي بكر منْحةٌ، فكانَ -عامر بن فهيرة- يرُوحُ بها ويغْدُو عليْهِمْ ويُصْبحُ، فيدْلجُ إليْهما ثمَّ يسْرحُ، فلا يفْطنُ به أحدٌ منَ الرُّعاء، فلمَّا خرج؛ خرجَ معهُما يعْقبانه حتَّى قدما المدينة، فقُتل عامرُ بْنُ فُهيْرة يوْمَ بئْر معُونة.

وعنْ أبي أسامة، قال: قال هشامُ بْنُ عُرْوة، فأخْبرني أبي قال: لمَّا قُتل الذين ببئْر معُونة، وأسر عمْرُو بْنُ أميَّة الضَّمْريُّ-رضي الله عنه-، قال لهُ عامرُ بْنُ الطُّفيْل: منْ هذا؟ فأشار إلى قتيل، فقال لهُ عمْرُو بْنُ أميَّة-رضي الله عنه-: هذا عامرُ بْنُ فُهيْرة، فقال: لقدْ رأيْتُه بعْدما قُتل رُفع إلى السَّماء حتَّى إنِّي لأنْظرُ إلى السَّماء بيْنهُ وبيْنَ الأرْض، ثمَّ وُضع. صحيح البخاري (٤٠٩٣).

وقول البخاري "وعنْ أبي أسامة" معطوف على قوله حدّثنا عُبيْدُ بْنُ إسماعيل حدّثنا أبُو أسامة؛ أي أن عبيدا يرويه أيضا عن أسامة، وإنما فصله؛ ليُبيّن الموصول من المرسل وكأن هشام بْن عُروة حدث به عن أبيه هكذا فذكر؛ قصة الهجرة موصولة بذكر عائشة فيه، وقصة بئر معونة مرسلة ليس فيه ذكر عائشة، والحاصل؛ أن البخاري روى تفصيل قصة مقتل عامر عن عبيد بن إسماعيل مرسلة. قال ابن حجر: وقد وقع عند الإسماعيلي والبيهقي في الدلائل سياق هذه القصة في حديث الهجرة موصولا به مدرجا والصواب ما وقع في الصحيح. فتح الباري (٧/ ٣٩٠).

قلت: قد رويت القصة موصولة عن عروة عن عائشة؛ أخرجها أبو نعيم في الحلية (١/ ١١٠)، والبيهقي في الكبرى (١٨٨٢٤) من طريق خلف بن سالم، ثنا أبو أسامة، ثنا هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة... به.

وخلف: ثقة. قال ابن حبان: كان من الحفاظ المتقنين. الثقات لابن حبان (١٣١٥٣). وقال أبو حاتم: ثقة. الجرح والتعديل (٣/ ٣٧١/ ١٦٩٠). وقال يعقوب بن شيبة: كان ثقة ثبتا. ميزان الاعتدال (١/ ٦٦٠).

وعليه فالظاهر؛ أن هشامًا حدّث به عن عروة على الوجهين فأخذه عنه عبيد بن إسماعيل مرسلاً، وأخذه عنه خلف مسندًا، ويؤيده؛ أن عروة يروي أصل الحديث عن عائشة رضي الله عنها.

٥- قال الزهري: وبلغني أنهم لما دفنوا التمسوا جسد عامر بن فهيرة فلم يقدروا عليه، فيرون أن الملائكة دفنته. مصنف عبد الرزاق الصنعاني (٥/ ٣٨٣). قال الهيثمي: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح. مجمع الزوائد (٦/ ١٨٤).

فيُحتمل؛ أنه رُفع ثم وُضع ثم فُقد بعد ذلك بأن

Upload by : altawhedmag.com

وَارَت المَلائكةُ جُثَّتَهُ. الدلائل (٣/ ٣٥٣).

٦- وفيه: تعظيم عامر بن فهيرة وبيان قدره، وتخويف الكفار، وترهيبهم. عمدة القاري (١٧/ ١٧٥).

٧- عَنْ أَنَسٍ-رضي الله عنه- قَالَ: مَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ-صلى الله عليه وسلم- وَجَدَ عَلَى شَيْءٍ قَطُّ، مَا وَجَدَ عَلَى أَصْحَابِ بِئْرِ مَعُونَةَ، وَأَصْحَابِ سَرِيَّةِ المُنْذِرِ بْنِ عَمْرٍو. البخاري (١٣٠٠و٦٣٩٤).

٨- فيه فضيلة للأنصار رضي الله عنهم: عَنْ قَتَادَةَ، قَالَ: مَا نَعْلَمُ حَيًّا مِنْ أَحْيَاءِ العَرَبِ أَكْثَرَ شَهِيدًا أَعَزَّ يَوْمَ القِيَامَةِ مِنَ الأَنْصَارِ، قَالَ قَتَادَةُ: وَحَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ أَنَّهُ " قُتِلَ مِنْهُمْ يَوْمَ أُحُدٍ سَبْعُونَ، وَيَوْمَ بِئْرِ مَعُونَةَ سَبْعُونَ، وَيَوْمَ اليَمَامَةِ سَبْعُونَ، قَالَ: "وَكَانَ بِئْرُ مَعُونَةَ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَيَوْمُ اليَمَامَةِ عَلَى عَهْدِ أَبِي بَكْرٍ، يَوْمَ مُسَيْلِمَةَ الكَذَّابِ" صحيح البخاري (٤٠٧٨). "وَسَبْعِينَ يَوْمَ مُؤْتَةَ" مستخرج أبي عوانة (٦٨٤٩).

٩- من الحكمة في تمكين يد الغدر من هؤلاء الفتية المؤمنين الذين لم يخرجوا إلا استجابة لأمر الله ورسوله صلى الله عليه وسلم: أن الله تعالى تعبّد عباده بتحقيق أمرين اثنين: إقامة المجتمع الإسلامي، والسعي إلى ذلك في طريق شائكة غير معبّدة، وأن يُمحّص الصادقون عن المنافقين، وأن يتخذ الله منهم شهداء، وأن يتجلى المعنى التنفيذي للمبايعة التي جرت بين الله، وعباده المؤمنين، والتي صرح بها قوله تعالى: « إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ » (التوبة: ١١١).

١٠- مصير عامر بن الطفيل: "لقد طُعِنَ في بَيْتِ امْرَأَةٍ مِنْ بَنِي فُلَانٍ فَقَالَ غُدَّةً كَغُدَّةِ البَعِيرِ فِي بَيْتِ امْرَأَةٍ مِنْ بَنِي فُلَانٍ ائْتُونِي بِفَرَسِي فَأُتِيَ بِهِ فَرَكِبَهُ فَمَاتَ وَهُوَ عَلَى ظَهْرِهِ. (خ٤٠٩١).

وَالغُدَّةُ مِنْ أَمْرَاضِ الإِبِلِ وَهُوَ طَاعُونُهَا وَقَوْلُهُ "فِي بَيْتِ امْرَأَةٍ مِنْ آلِ بَنِي فُلَانٍ" بَيَّنَهَا الطَّبَرَانِيُّ مِنْ حَدِيثِ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ فَقَالَ "امْرَأَةٍ مِنْ آلِ سَلُولَ"، وَبَيَّنَ فِيهِ قُدُومَ عَامِرِ بْنِ الطُّفَيْلِ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَنَّهُ قَالَ فِيهِ لَأَغْزُوَنَّكَ بِأَلْفِ أَشْقَرَ وَأَلْفِ شَقْرَاءَ. وَأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرْسَلَ أَصْحَابَ بِئْرِ مَعُونَةَ بَعْدَ أَنْ رَجَعَ عَامِرٌ، وَأَنَّهُ غَدَرَ بِهِمْ وَأَخْفَرَ ذِمَّةَ عَمِّهِ أَبِي بَرَاءٍ، وَأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَعَا عَلَيْهِ فَقَالَ: اللَّهُمَّ اكْفِنِي عَامِرًا. قَالَ فَجَاءَ إِلَى بَيْتِ امْرَأَةٍ مِنْ بَنِي سَلُولَ. فتح الباري (٧/ ٣٨٧).

وهكذا أصيب عامر بن الطفيل وتلاشت أحلامه بالتملك على أهل المدن في الجزيرة العربية أو خلافة النبي صلى الله عليه وسلم، وأما تلك الجيوش التي هدد النبي صلى الله عليه وسلم بها، فقد تحولت إلى آلام تحبسه في بيت امرأة قد ولى عنه الناس ونفروا منه خشية العدوى" صحيح الأثر (ص: ٢١٧)، وفقه السيرة النبوية (١٨٩).

وَعَامِرُ بْنُ الطُّفَيْلِ هذا مَاتَ كَافِرًا، وَأَمَّا مَا أَخْرَجَهُ المُسْتَغْفِرِيُّ فِي الصَّحَابَةِ مِنْ طَرِيقِ القَاسِمِ عَنْ أَبِي أُمَامَةَ عَنْ عَامِرِ بْنِ الطُّفَيْلِ: أَنَّهُ قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ "زَوِّدْنِي بِكَلِمَاتٍ" قَالَ: "يَا عَامِرُ: أَفْشِ السَّلَامَ وَأَطْعِمِ الطَّعَامَ وَاسْتَحْيِ مِنَ اللَّهِ وَإِذَا أَسَأْتَ فَأَحْسِنْ"؛ فَهُوَ أَسْلَمِيٌّ، وَوَهَمَ المُسْتَغْفِرِيُّ فِي كَوْنِهِ سَاقَ فِي تَرْجَمَتِهِ نَسَبَ عَامِرِ بْنِ الطُّفَيْلِ العَامِرِيِّ، وَقَدْ رَوَى البَغَوِيُّ فِي تَرْجَمَةِ أَبِي بَرَاءٍ عَامِرِ بْنِ مَالِكٍ العَامِرِيِّ مِنْ طَرِيقِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُرَيْدَةَ الأَسْلَمِيِّ قَالَ حَدَّثَنِي عَمِّي عَامِرُ بْنُ الطُّفَيْلِ فَذَكَرَ حَدِيثًا فَعُرِفَ: أَنَّ الصَّحَابِيَّ أَسْلَمِيٌّ، وَوَافَقَ اسْمُهُ، وَاسْمُ أَبِيهِ العَامِرِيَّ؛ فَكَانَ ذَلِكَ سَبَبَ الوَهْمِ. فتح الباري (٧/ ٣٨٨).

١١-أن مسؤولية الدعوة إلى الإسلام يشترك فيها جميع المسلمين، وليست محصورة بالأنبياء والرسل عليهم السلام.

١٢-التسمية بأسماء الصالحين تفاؤلا: كما في حديث عروة السابق: "وأصيبَ يومئذ فيهم عُرْوَةُ بنُ أسماءَ بن الصَّلْت فسُمِّيَ عُرْوَةَ به ومُنْذِرُ بنُ عَمْرٍ ووسُمِّيَ به مُنْذِرا"، وقَوْلُهُ "فسُمِّيَ عُرْوَةَ به" أي: ابن الزبير، وكان بين قتل عُرْوَةَ بن أسماء، ومولد عُرْوَةَ بن الزُّبَيْر بضعة عشر عامًا... قَوْلُهُ "ومُنْذِرُ بن عَمْرٍو سمِّيَ به" مُنْذِرًا"؛ أي: أن الزُّبَيْر سَمَّى ابْنَهُ مُنْذِرًا باسم المُنْذِر بْن عَمْرٍو، ووجه التَّسْمِيَة: فيهما بعُرْوَة ومُنْذِر للتفاؤل باسم من رَضِيَ اللَّه تَعَالَى عَنْهُم، ورَضُوا عَنْهُ، واعلم أن (أسماء) من الأعْلام المُشْتَرَكة؛ فهي اسم أم عُرْوَة بن الزبير، واسم أبي عُرْوَة السَّلَمِيّ المَذْكُور. عمدة القاري (١٧/ ١٧٥).

والحمد لله رب العالمين.

Upload by : altawhedmag.com

«لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون»

إعداد: د. سيد عبد العال

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق وخاتم الأنبياء والمرسلين؛ سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد: فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن، فلرسول الله صلى الله عليه وسلم أجود بالخير من الريح المرسلة. رواه البخاري وغيره.

وقد تلقف الصحابة رضي الله عنهم هذا الهدي من النبي صلى الله عليه، وتنافسوا فيه؛ ونحن بأمس حاجة للنظر في هدي الصحابة رضي الله عنهم، وكيف كانت سرعة امتثالهم لأمر الله تعالى مع تعظيم وحب للأمر سبحانه، ونختار لذلك موقفًا لأحد الصحابة من آية في القرآن؛ ألا وهو أبو طلحة رضي الله عنه.

فماذا حدث؟ وما هي الآية؟

أولًا: سياق الحديث:

عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه "أَنَّ أَبَا طَلْحَةَ رضي الله عنه قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ: إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ: «لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ»، وَإِنَّ أَحَبَّ أَمْوَالِي إِلَيَّ بَيْرَحَاءَ، وَإِنَّهَا صَدَقَةٌ لِلَّهِ أَرْجُو بِرَّهَا، وَذُخْرَهَا عِنْدَ اللَّهِ، فَضَعْهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ حَيْثُ أَرَاكَ اللَّهُ: فَقَالَ: بَخٍ بَخٍ، ذَاكَ مَالٌ رَابِحٌ-مَرَّتَيْنِ- وَقَدْ سَمِعْتُ، وَأَرَى أَنْ تَجْعَلَهَا فِي الْأَقْرَبِينَ، فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ: أَفْعَلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَسَمَهَا أَبُو طَلْحَةَ فِي أَقَارِبِهِ وَبَنِي عَمِّهِ" "وَكَانَ مِنْهُمْ أُبَيٌّ، وَحَسَّانُ" أخرجه: البخاري (١٤٦١و٢٧٥٨)، ومسلم (٩٩٨).

ثانيًا: ذكر الدروس والعبر:

١- معاني الكلمات: "بيرحاء" بفتح الموحدة، وسكون التحتانية، وفتح الراء، وبالمهملة، والمد، وجاء في ضبطه أوجه كثيرة: فيروى بفتح الباء، وبكسرها، وبفتح الراء، وضمها، وبالمد، والقصر؛ فهذه ثمان لغات، ويروى: "بريحا" بفتح أوله، وكسر الراء، وتقديمها على التحتانية وفي سنن أبي داود: باريحا مثله لكن بزيادة ألف، وأفصحها بفتح الباء، وسكون الياء، وفتح الراء مقصورا: فيعلى من البراح، وهو اسم لبستان به بئر، وليس اسما للبئر كما قيل؛ لأن بساتين المدينة تدعى بالآبار التي فيها، أي: البستان الذي فيه بئرحا. فتح الباري

Upload by : altawhedmag.com

(٣٢٦/٣)، واللامع الصبيح (٤٢١/٥).

قوله "أرجو برها" أي: خيرها "وذخرها" أي: نتيجتها المدخرة، وفائدتها المدخرة.

قوله "فضعها" أي: اصرفها. "حيث أراك الله" أي: في مصرف علمك الله إياه.

قوله: "بخ بخ" الاختيار: أن تنون الأولى، وتسكن الثانية، وقد يسكنان جميعًا. وهي: كلمة تقال عند المدح، والرضا بالشيء، ومعناها تفخيم الأمر والإعجاب به، وتكرر للمبالغة. فتح الباري (٣٩٧/٥).

قوله: "أفعل" على صيغة المتكلم من المضارع، والضمير فيه يرجع إلى أبي طلحة. عمدة القاري (٦٧/١٤).

٢- تفسير البر في الآية «لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ» (آل عمران: ٩٢)

يعني بذلك جل ثناؤه: لن تدركوا أيها المؤمنون البر، وهو البر من الله الذي يطلبونه منه بطاعتهم إياه، وعبادتهم له، ويرجونه منه، وذلك تفضله عليهم بإدخاله جنته، وصرف عذابه عنهم؛ ولذلك قال كثير من أهل التأويل: البر الجنة؛ لأن بر الرب بعبده في الآخرة، وإكرامه إياه بإدخاله الجنة؛ فتأويل الكلام: لن تنالوا أيها المؤمنون جنة ربكم، حتى تنفقوا مما تحبون. يقول: حتى تتصدقوا مما تحبون وتهوون أن يكون لكم من نفيس أموالكم. المهذب النقي الجامع لتفسير ابن جرير الطبري (٣٣٥/٢).

٣-الإنفاق مما يحب صفة أهل الجنة!

كما في هذه الآية وغيرها كقوله: «وآتى المال على حبه» أي: أخرجه، وهو محب له، راغب فيه. نص على ذلك ابن مسعود وسعيد بن جبير وغيرهما من السلف والخلف، كما ثبت في الصحيحين من حديث أبي هريرة مرفوعًا: "أفضل الصدقة أن تصدق وأنت صحيح شحيح، تأمل الغنى، وتخشى الفقر". وقال تعالى في صفة الأبرار: «وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا» (الإنسان: ٨، ٩).

وقوله: «وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ» (الحشر: ٩)؛ نمط آخر أرفع من هذا، وهو أنهم آثروا بما هم مضطرون إليه، وهؤلاء أعطوا وأطعموا ما هم محبون له.

٤- نموذج آخر مثل أبي طلحة رضي الله عنه.

عن ابن عمر: "أن عمر أصاب أرضًا من أرض خيبر؛ فقال: يا رسول الله! أصبت أرضًا بخيبر لم أصب مالًا قط أنفس عندي منه! فما تأمرني؟ فقال: إن شئت حبست أصلها، وتصدقت بها! فتصدق بها عمر على أن لا تباع، ولا توهب، ولا تورث؛ في الفقراء، وذوي القربى، والرقاب، والضيف، وابن السبيل".

وعن حمزة بن عبد الله بن عمر، قال: قال عبد الله: حضرتني هذه الآية: «لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون»؛ فذكرت ما أعطاني الله، فلم أجد شيئًا أحب إلي من جارية رومية، فقلت: هي حرة لوجه الله. فلو أني أعود في شيء جعلته لله لنكحتها، يعني تزوجتها. ومثل هذا في الصحابة والسلف كثير، والحمد لله رب العالمين.

٥- اعتبار الصحابة بالقرآن، واتباعهم لما فيه، وتعظيمهم؛ أمر الله تعالى، وسرعة امتثالهم أمر الله تعالى بمجرد سماعه، ولهم في ذلك قدم السبق فرضي الله عنهم، وكذلك ينبغي أن نكون.

٦- رجوعهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وحرصهم على التأسي به علما منهم؛ أن اختيار النبي صلى الله عليه وسلم لهم خير من اختيارهم لأنفسهم، وكذلك يجب علينا أن نرجع لسنته صلى الله عليه وسلم.

٧- أن الصدقة إذا كانت جزلة أن صاحبها يمدح بها ويغبط لقوله صلى الله عليه وسلم: "بخ، ذلك مال رابح"؛ فسلاه بما يناله من ربح الآخرة، وما عوضه الله فيها عما عجله في الدنيا الفانية. وعن ابن مسعود قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: "لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله مالًا فسلط على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها". البخاري (٧٣).

٨- وفيه: أن ما فوته الرجل من ماله، عن ورثته بالصدقة يستحب له أن يرده إلى أقاربه غير الورثة؛ لئلا يفقد أهله نفع ما خوله الله، عز وجل، وفي كتاب الله ما يؤيد هذا، قال تعالى: «وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُم مِّنْهُ» (النساء: ٨)؛ فثبت بهذا المعنى أن الصدقة على الأقارب وضعفاء الأهلين أفضل منها على سائر الناس إذا كانت صدقة تطوع، وقوله

Upload by : altawhedmag.com

«ذوي القربى» هم: قرابات الرجل، وهم أولى من أعطى من الصدقة. فهم أولى الناس بك وببرك وإعطائك. وقد أمر الله تعالى بالإحسان إليهم في غير ما موضع من كتابه العزيز. ودل على ذلك حديث زينب امرأة ابن مسعود حيث سألت النبي صلى الله عليه وسلم: أيجزي عني أن أنفق على زوجي، وأيتام لي في حجري؟ "نعم، لها أجران، أجر القرابة وأجر الصدقة". شرح ابن بطال على البخاري (٤٥٤/٦)، وتفسير ابن كثير (٤٨٧/١، و٢٨٨/٨).

٩- واستدل به على صحة الصدقة المطلقة، ثم يعينها المتصدق لمن يريد، واستدل به للجمهور في أن من أوصى أن يفرق ثلث ماله حيث أرى الله الوصي صحت وصيته ويفرقه الوصي في سبل الخير ولا يأكل منه شيئا ولا يعطي منه وارثا للميت.

١٠- وفيه جواز التصدق من الحي في غير مرض الموت بأكثر من ثلث ماله؛ لأنه صلى الله عليه وسلم لم يستفصل أبا طلحة عن قدر ما تصدق به وقال لسعد بن أبي وقاص: الثلث كثير.

١١- وفيه تقديم الأقرب من الأقارب على غيرهم.

١٢- وفيه جواز إضافة حب المال إلى الرجل الفاضل العالم ولا نقص عليه في ذلك.

١٣- وفيه اتخاذ الحوائط والبساتين، ودخول أهل الفضل، والعلم فيها، والاستظلال بظلها، والأكل من ثمرها والراحة، والتنزه فيها، وقد يكون ذلك مستحبا يترتب عليه الأجر إذا قصد به إجمام النفس من تعب العبادة وتنشيطها للطاعة.

١٤- وفيه إباحة الشرب من دار الصديق، ولو لم يكن حاضرا إذا علم طيب نفسه.

١٥- وفيه إباحة استعذاب الماء وتفضيل بعضه على بعض.

١٦- وفيه التمسك بالعموم؛ لأن أبا طلحة فهم من قوله تعالى: «لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون» تناول ذلك بجميع أفراده فلم يقف حتى يرد عليه البيان عن شيء بعينه بل بدر إلى إنفاق ما يحبه، وأقره النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك.

١٧- واستدل به على أن الصدقة تصح بالقول من قبل القبض فإن كانت لمعين استحق المطالبة بقبضها وإن كانت لجهة عامة خرجت عن ملك القائل، وكان للإمام صرفه في سبيل الصدقة، وكل هذا ما إذا لم يظهر مراد المتصدق فإن ظهر اتبع.

١٨- وفيه جواز تولي المتصدق قسم صدقته.

١٩- وفيه جواز أخذ الغني من صدقة التطوع إذا حصل له بغير مسألة.

٢٠- واستدل به على مشروعية الحبس والوقف.

٢١- وفيه زيادة الصدقة في التطوع على قدر نصاب الزكاة خلافا لمن قيدها به.

٢٢- وفيه فضيلة لأبي طلحة؛ لأن الآية تضمنت الحث على الإنفاق من المحبوب؛ فترقى هو إلى إنفاق أحب المحبوب؛ فصوب صلى الله عليه وسلم رأيه وشكر عن ربه فعله ثم أمره أن يخص بها أهله وكنى عن رضاه بذلك بقوله "بخ".

٢٣- وفيه: أن الوقف يتم بقول الواقف جعلت هذا وقفا.

٢٤- وأن الصدقة على الجهة العامة لا تحتاج إلى قبول معين بل للإمام قبولها منه ووضعها فيما يراه كما في قصة أبي طلحة.

٢٥- وفيه أنه لا يعتبر في القرابة من يجمعه والواقف أب معين لا رابع ولا غيره؛ لأن أبيا إنما يجتمع مع أبي طلحة في الأب السادس.

٢٦- وأنه لا يجب تقديم القريب على القريب الأبعد؛ لأن حسانا، وأخاه أقرب إلى أبي طلحة من أبي، ونبيط، ومع ذلك؛ فقد أشرك معهما أبيا، ونبيط بن جابر.

٢٧- وفيه: أنه لا يجب الاستيعاب؛ لأن بني حرام الذي اجتمع فيه أبو طلحة، وحسان كانوا بالمدينة كثيرا. فتح الباري (٣٩٧/٥).

٢٨- وفي الآية دليل على فضل الكفاف على الغنى، والفقر؛ لقوله تعالى «مما تحبون» (آل عمران: ٩٢)، ولم يقل ما تحبون.

٢٩- فيه: أن الرجل إذا تصدق بمعين يخرجه كله، بخلاف قوله: مالي صدقة أنه يخرج الثلث، فهذا أصل لمن عين شيئا من ماله. التوضيح (٢١٢/١٥).

فيا عباد الله.. علينا أن نغتنم هذه الفرصة في رمضان، وأن نتأسى بالنبي صلى الله عليه وسلم حيث كان أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان.

والحمد لله رب العالمين.

Upload by : altawhedmag.com

أخطاء وبدع ومخالفات يوم العيد

إعداد: د. سيد عبد العال

الحمد لله رب العالمين، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله صلى الله عليه وسلم.

أما بعد: فإن المنكرات التي يفعلها كثير من الناس في العيد كثيرة لا يمكن حصرها؛ فنستمد العون من الله - تعالى- في ذكر بعضها؛ بقصد التحذير منه.

أولا: مقدمة في معرفة الشر من أجل اتقائه

من الجدير بالعاقل أن يعرف الخير ليعمل به ويعرف الشر؛ ليحذر منه

يقول الشاعر:

عرفت الشر لا للشر ... لكن لتوقيه

ومن لا يعرف الشر ... من الخير يقع فيه

وهذا المعنى مستقى من السُّنة؛ كما في حديث حُذَيْفَةَ بْنِ اليَمَانِ، يَقُولُ: "كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الخَيْرِ، وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ، مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي" صحيح البخاري (٧٠٨٤).

ثانيا: ذكر بعض المخالفات:

١ - التعبُّد بالبدع في يوم العيد ومنها تخصيص يوم العيد بزيارة المقابر

قال الشقيري: وذهابهم إلى المقابر في يومي العيدين ورجب وشعبان ورمضان بدعة ضلالة. (السنن والمبتدعات: ص١٦٠).

ومعلوم أن "كل بدعة ضلالة"؛ وقال ابن عثيمين: تخصيص زيارة المقابر في يوم العيد، واعتقاد أن ذلك مشروع يعتبر من البدع؛ لأن ذلك لم يرد عن النبي صلى الله عليه وسلم، ولا علمت أحداً من أهل العلم قال به. فتاوى ابن عثيمين (١٧/ ٢٨٧).

٢- الكبر والإعجاب بالنفس: فبعض الناس أيام العيد يحتقر الناس ويتكبر عليهم، ويُعجب بنفسه، ويختال في مشيته، وهذا مُحرَّم في جميع الأوقات، قال الله -عز وجل-: «وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا».

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "بينما رجل يمشي في حُلة تعجبه نفسه، مرجِّل جُمَّته، إذ خسف الله به فهو يتجلجل إلى يوم القيامة" البخاري (٥٧٨٩).

وعن عياض بن حمار رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الله تعالى أوحى إليَّ أن تواضعوا؛ حتى لا يبغي أحد على أحد، ولا يفخر أحد على أحد". مسلم (٢٨٦٥).

٣- إسبال الثياب: أي إطالته: فكثير من الناس يوم العيد يلبس الملابس وقد خطت على الأرض تكنس الشوارع والأرصفة، وقد قال النبي صلى الله

Upload by : altawhedmag.com

عليه وسلم -: "ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا ينظر إليهم، ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم"؛ فقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات قال أبو ذر: "خابوا وخسروا، مَن هم يا رسول الله؟ قال: "المسبل إزاره، والمنان، والمنفق سلعته بالحلف الكاذب" مسلم (١٠٦).

وعن عبد الله بن عمر عن أبيه رضي الله عنهما، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "مَن جرَّ ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة" البخاري (٥٧٨٤).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: "مررت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي إزاري استرخاء، فقال: "يا عبد الله، ارفع إزارك" فرفعته، ثم قال: "زد" فزدت: فما زلت أتحراها بعد، فقال بعض القوم: إلى أين؟ فقال: "إلى أنصاف الساقين". مسلم (٢٠٨٦).

وهذه الأحاديث وغيرها تدل على أن إسبال الثياب والعمائم، والمشالح، والسراويل من كبائر الذنوب. وأن المسبل من الرجال إن كان متكبرًا فقد ارتكب كبيرتين: الكبر، والإسبال، وان لم يكن متكبرًا فقد ارتكب كبيرة الإسبال. صلاة العيدين (١٥٠).

٤- الغناء، والمزامير، والمعازف: بعض الناس يُضيِّعون أوقات العيد المبارك في الاجتماع على مزامير الشيطان، وآلات اللهو المحرمة. قال الله عز وجل للشيطان: « وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ۝٦ وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسۡتَكۡبِرٗا كَأَن لَّمۡ يَسۡمَعۡهَا كَأَنَّ فِيٓ أُذُنَيۡهِ وَقۡرٗاۖ فَبَشِّرۡهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ »؛ قال ابن مسعود رضي الله عنه في تفسير ذلك: "الغناء والله الذي لا إله إلا هو" يرددها ثلاث مرات، وتبع ابن مسعود عبد الله بن عباس، وجابر، ومجاهد رضي الله عنهم ورحمهم.

وعن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه يرفعه: "ليشربن أناس من أمتي الخمر ويسمونها بغير اسمها، يعزف على رؤوسهم بالمعازف والمغنيات، يخسف الله بهم الأرض ويجعل منهم القردة والخنازير". وعنه رضي الله عنه يرفعه: "ليكونن من أمتي أقوام يستحلون الحرَ والحرير، والخمر، والمعازف". البخاري (٥٥٩٠).

٥- التزين بحلق اللحى يوم العيد: وهو محرم؛ لمخالفته قول النبي صلى الله عليه وسلم "خالفوا المشركين وفروا اللحى وأحفوا الشوارب". وفي لفظ: "أنهكوا الشوارب وأعفوا اللحى" البخاري (٥٨٩٢، ورقم ٥٨٩٣). وقد نص جمهور الفقهاء على حرمة حلق اللحية.

وقال ابن حزم: اتفقوا أن حلق جميع اللحية مُثْلَة لا تجوز. مراتب الإجماع (١٨٠).

وقال ابن عابدين: الأخذ من اللحية دون القبضة لم يُبِحْه أحد. تنقيح الفتاوى الحامدية (١/ ٣٢٩).

٦- مصافحة النساء من غير المحارم محرمة في كل وقت، وقد وقع بعض ضعفاء الإيمان في هذا المحرَّم، وخاصة أيام الأعياد والأفراح، ومما يؤكد تحريم مصافحة النساء الأجنبيات حديث معقل بن يسار رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "لأن يُطعن في رأس أحدكم بمِخيط من حديد خير له من أن يمس امرأة لا تحل له". الطبراني في الكبير (٤٨٦ و٤٨٧)، وحسنه الألباني في الصحيحة (٢٢٦).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: " ولا والله ما مست يد رسول الله صلى الله عليه وسلم يد امرأة قط غير أنه يبايعهن بالكلام" مسلم (١٨٦٦).

٧- التشبه بالكفار والمشركين في الملابس وغيرها، سواء كان التشبه من الرجال أو النساء، فلا يجوز لمسلم أن يتشبه بأعداء الله ورسوله؛ لحديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم -: "ومن تشبه بقوم فهو منهم" أخرجه أحمد (٢/ ٥٠و ٩٢). وصححه الألباني في إرواء الغليل (٥/ ١٠٩).

٨- تشبه الرجال بالنساء في الملابس أو الحركات، أو الزينة أو مما هو من خصائص النساء، وتشبه النساء بالرجال كذلك، وهذا يحصل في الأعياد وفي غيرها، وهو محرم لا يجوز؛ لحديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: "لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم المتشبهين من الرجال بالنساء، والمتشبهات من النساء بالرجال" البخاري (٥٨٨٥و٥٨٨٦).

٩ - الدخول على النساء والخلوة بهن أيام الأعياد: وهي محرمة؛ لأنه ما خلا رجل بامرأة إلا كان الشيطان ثالثهما؛ وعن عقبة بن عامر رضي الله

Upload by : altawhedmag.com

عنه -: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إياكم والدخول على النساء" فقال رجل من الأنصار: يا رسول الله، أفرأيت الحمو؟ قال: "الحمو الموت" البخاري (٥٢٣٢).

والحمو هو أقارب الزوج من غير المحارم؛ وقد جعل النبي صلى الله عليه وسلم خطره أكيدا وشديدا كالموت؛ فلنحذر مما حذر منه نبينا صلى الله عليه وسلم.

١٠- تبرج النساء وخروجهن من البيوت إلى الأسواق، يكثر أيام العيد خروج النساء متبرجات إلا من عصم الله عز وجل، وهذا حرام؛ لقول الله تعالى: «وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى». وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "صنفان من أهل النار لم أرهما... "ونساء كاسيات عاريات" مسلم (٢١٢٨).

قوله: كاسيات عاريات: وصف يندرج تحته صور عديدة ومنها الثوب الشفاف والثوب الضيق والقصير الذي يكشف بعض البدن.

١١- التبذير والإسراف، يقول الله عز وجل -: «وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ» (الأعراف: ٣٢).

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «كُلُوا وَاشْرَبُوا وَالْبَسُوا وَتَصَدَّقُوا، فِي غَيْرِ إِسْرَافٍ وَلَا مَخِيلَةٍ» وقال ابن عباس: " كُلْ مَا شِئْتَ، وَالْبَسْ مَا شِئْتَ، مَا أَخْطَأَتْكَ اثْنَتَانِ: سَرَفٌ، أَوْ مَخِيلَةٌ " صحيح البخاري (٧/ ١٤٠). وأخرجه أحمد (٦٦٩٥).

١٢- عدم العناية بالفقراء والمساكين، وكثيرا ما يُظهر أبناء الأغنياء السرور والفرح، ويأكلون المأكولات المتنوعة، يفعلون ذلك أمام الفقراء وأبنائهم، دون رحمة أو شفقة، ولا تعاون، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم -: "لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه" البخاري، (١٣).

١٣- عدم صلة الأرحام بما يحتاجونه من مساعدات، أو زيارات، أو إحسان، أو إدخال سرور، أو غير ذلك من أنواع الإحسان؛ لحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم -: يقول: "من سره أن يُبسط له في رزقه أو يُنسأ له في أثره فليصل رحمه". وفي لفظ: "مَن أحب أن يُبسط له في رزقه، ويُنسأ له في أثره، فليصل رحمه" البخاري (٢٠٦٧)

واعلموا -يا إخوة الإسلام- أنه ليس الواصل بالمكافئ ولكن الواصل من إذا قطعت رحمه وصلها.

١٤- التجارة في الألعاب النارية واستعمالها

قال أهل العلم: إن الأصل في البيع والشراء الإباحة، ويدخل في ذلك المتاجرة في الألعاب النارية لو أنها استُعملت بطريق مأمون، ولم يترتب عليها ضرر، وأذى، وترويع للناس، واسراف وتبذير، وبما أن كل المفاسد السابقة قد وُجدت في الألعاب النارية فإن الحكم ينتقل من الإباحة إلى التحريم؛ فشراء الألعاب النارية، واستعمالها مباح أدى إلى الحرام، وما أدى إلى الحرام؛ فهو حرام. وقد قرر العلماء: أن للوسائل أحكام المقاصد. قال الإمام العز بن عبد السلام رحمة الله عليه: "للوسائل أحكام المقاصد فالوسيلة إلى أفضل المقاصد هي أفضل الوسائل، والوسيلة إلى أرذل المقاصد هي أرذل الوسائل" قواعد الأحكام (١/ ٤٦) فوسيلة المحرم محرمة، أي: إن ما أدى إلى الحرام فهو حرام، فإيذاء الناس حرام فما أدى إليه فهو حرام.

١٥- اللعب بمسدس الخرز

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُغَفَّلٍ المُزَنِيِّ، قَالَ: نَهَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الخَذْفِ، وَقَالَ: "إِنَّهُ لَا يُقْتَلُ الصَّيْدَ، وَلَا يَنْكَأُ العَدُوَّ، وَإِنَّهُ يَفْقَأُ العَيْنَ، وَيَكْسِرُ السِّنَّ"

عن ابن مُغفل، قال: رأى رجلًا من أصحابه يخذف، فقال: " لا تخذف، فإن نبيَّ الله صلى الله عليه وسلم كان يكرهُ الخذف، أو قال: ينهى عنه كهمس يقول ذلك، فإنها لا يُنكأ بها عدوٌّ، ولا يُصاد بها صيدٌ، ولكنها تفقأ العين، وتكسر السن "، ثم رآه بعد ذلك يخذف، فقال أخبرك أن نبيَّ الله صلى الله عليه وسلم: كان ينهى عن الخذف، أو يكرهه، ثم أراك تخذف لا أكلمك كلمة كذا، وكذا. مسند أحمد (٢٠٥٦١)، صحيح البخاري (٦٢٢٠). واللفظ لأحمد.

والخذف هو اللعب برمي صغار الحصى ويدخل فيه النبلة، ومسدس الخزر، وقد كثرت إصابات العيون في الأعياد بسببه. فلنتق الله ولنبعد أطفالنا عن هذه المسدسات بأشكالها المختلفة حتى لا تفسد علينا فرحة العيد. وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين والحمد لله رب العالمين.

Upload by : altawhedmag.com